أدب الرحلات المصرية إلى الهند منذ عام 1947م مع إشارة خاصة إلى أعمال أشرف أبو اليزيد: دراسة تحليلية

(نسخة منقحة)

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

قدمها

محمد سعيد

تحت إشراف

د. جابر كي. تي.

الأستاذ المساعد، قسم البحوث والدراسات العربية

كلية تونجان الحكومية، تيرور

كلية تونجان الحكومية، تيرور

جامعة كاليكوت، كيرالا

الهند.2025 م

المحتويات

مقدمة 1

تحليل العنوان 4

دو افع اختيار الموضوع 5

أهداف البحث 6

إشكالية البحث 7

منهجية البحث 8

خطة البحث 9

الدراسات السابقة 11

كلمة الشكر 15

الباب الأول : أدب الرحلة في مصر 16

الفصل الأول : نشأة أدب الرحلة وتطوره 17

الرحلة في اللغة: 17

مصطلح أدب الرحلة 18

أنواع أدب الرحلة 20

أشكال أدب الرحلة 21

مقومات أدب الرحلة 23

أهمية أدب الرحلة 24

نشأة الرحلة وتطورها في الأدب العربي 25

أدب الرحلة في العصر الحديث 28

الفصل الثاني : القيمة الفنية لأدب الرحلة 30

نماذج للسمات الفنية 32

الفصل الثالث : الرحلة عند المصريين 34

الرحلات الحجازية للمصرين 37

أدب الرحلة المعاصر في مصر 39

الباب الثاني : الرحلات المصرية إلى الهند قبل 1947 43

الفصل الأول : الرحلات المصرية إلى الهند من العصورالوسطى إلى القرن العشرين..... 45

العلماء المصريون الذين وفدوا إلى الهند 49

الفصل الثاني : الرحلات المصرية إلى الهند في فترة(1900- 1947) 53

الأسباب والدوافع لكثرة الرحلات 53

الفصل الثالث : التعريف بكتب الرحلات والرحالة 57

عجالة من رحلة الهند لرشيد رضا..... 57

عجالة في رحلة الهند..... 57

سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير للأمير يوسف كمال 60

سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير1913-1914 60

الهند كما رأيتها لفتح الله أنطاكي..... 63

رحلاتي في مشارق الأرض ومغاربها لمحمد ثابت 66

وصف الرحلة 67

رحلة حسين فوزي 70

سندباد عصري جولات في المحيط الهندي 70

مشاهدات في الهند لأمينة سعيد..... 71

مشاهدات في الهند 71

رحلة إلى الهند لعبد الوهاب عزام..... 73

رحلة إلى الهند 74

الباب الثالث : الرحلات المصرية إلى الهند منذ عام 1947 77

الفصل الأول : أهداف الرحلة وعوامل ازديادها بعد 1947 79

أسباب كثرة الرحلات بعد 1947 79
أولا: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية(Indian Council For Cultural Relations) 80
ثانيا: مركز مولانا آزاد الثقافي الهندي (Maulana Azad Centre for Indian Culture) 81
ثالثا: رحلات العلماء الهنود إلى مصر 81
رابعا: مجلة ثقافة الهند 85
خامسا: مجلة صوت الهند (صوت الشرق) 85
سادسا: الجهود المشتركة بين السيد نهرو والرئيس جمال في حركة عدم الانحياز 86
أهداف الرحلات 87
أولا: رحلات علمية 88
ثانيا: رحلات سياسية ودبلوماسية 89
ثالثا: دوافع سياحية 89
رابعا: رحلات ثقافية وأكادمية 90
خامسا: رحلات إعلامية وصحفية 91
أغراض ودوافع أخرى: 91
الفصل الثاني : وصف كتب الرحلات وتحليلها مع ترجمة الرحالة 93
رحلةمحمد حسين هيكل 95
بواعث الرحلة ووصفها 96
وضع المرأة الهندية 97
فلسفة غاندي وتعاليمه 98
رحلة إيهاب الشريف 100
الهند أسرار ومفاتيح 101
صورة كيرالا 103
رحلة نوال السعدواي 106
رحلاتي في العالم 106
لقاء مع الكاتبات الهنديات 108
لقاء مع إندرا غاندي 111
الفلسفة والتاريخ 112
التشابه الحضاري بين الهند ومصر 114

القيمة الأدبية 115
رحلة محمد حسنين هيكل 117
جواهر لال نهرو المثقف والسلطة 117
وصف تفاصيل الرحلة 119
مقابلات مع الزعيم جواهر لال نهرو 120
رحلة عبد المنعم النمر 124
عبد المنعم النمر 1913 -1991 124
اهتمامه بالدراسات الهندية 124
تاريخ الإسلام في الهند 125
نظام الطبقات ومعاناة المنبوذين 127
البوذية ونالندا 128
أنيس منصور 129
حول العالم في 200يوم 129
مع نمبودريباد في كيرالا 131
مقابلة الدلاي لاما 132
الانتقاد على طقوس وتقاليد الهنود 132
القيمة الفنية 134
انتقادات الرحلة 136
رحلة البدوي 138
انبهاره بشعر طاغور 139
يوسف إدريس 141
اكتشاف قارة 141
رحلة محمد عبد المنعم الخفاجي 145
تفاصيل المؤتمر وموضوعات المناقشة 147
رحلة الجوادي 149
محمد الجوادي عبد الوهاب الجوادي 149
رحلات شاب مسلم في الهند 149
رحلة المخزنجي 152

جنوبا وشرقا رحلات ورؤى 153
الديانات الهندية 155
ناماستي لسامية علي 158
علاقتها مع الهند 158
كتاب ناماستي 159
العادات والطقوس 160
في حضرة ستيا ساي بابا ببوتابرتي 161
أوشو داهود أشرام 162
رحلة سعد القرش 164
رحلاته إلى الهند 165
اهتمامات الرحالة ومحتويات الرحلة 166
السينما الهندية 169
الطابع الروائي في النصوص 170
رحلة مهدي مبارك 172
البحث عن شاروخان : 40 يوما في الهند 172
صورة الهند في الأفلام بين الواقع والخيال 174
الثقافة الهندية 177
الآداب الهندية 179
الفصل الثالث : الصورولوجيا وتمثلات الأنا والآخر 181
المظاهر والمناظر العامة عن الهند 190
الفصل الرابع :تأثير الرحلات في الأدب العربي 193
الباب الرابع :رحلات أشرف أبو اليزيد إلى الهند 198
الفصل الأول :أشرف أبو اليزيد: حياته وأعماله 199
الحياة والنشأة 199
مؤلفات أشرف أبو اليزيد 204
الروايات 204
الإصدارات الشعرية 204

الإصدارات في أدب الرحلة 205
الكتب المترجمة عن الإنجليزية إلى العربية 205
أدب الأطفال 206
الدراسات والسير 207
السيرة العملية 208
الجوائز والتكريمات والعضويات 209
إنجازاته في أدب الرحلة 209
أدب الرحلة للأطفال 210
نماذج من كتاباته للأطفال 211
أعمال أشرف أبو اليزيد في أدب الطفل 213
مؤلفاته في أدب الرحلة 213
سيرة مسافر 213
نهر على سفر 214
قافلة حكايات مغربية 215
أيامٌ دِمشْقية 216
طريق الحرير 216
الفصل الثاني :علاقته مع الهند ورحلاته إليها 217
انعكاسات الهند في أعماله 217
رواية حديقة خلفية 220
رواية الترجمان 225
رحلاته إلى الهند 226
تحت سماء كوجرات 227
عرش السلطان أكبر 228
مومباي قصيدة برية 230
على خطى ابن بطُّوطة ... في قَالِقُوطهْ 231
نيلامبور: جسر على نهر تشاليار 233
الفصل الثالث : المنهج وآليات السرد 234

آليات السرد في الخطاب الرحلي 235
لغة الكاتب 238
القيمة الفنية 238
الفصل الرابع : الموضوعات المطروحة في نصوص الرحلات 242
السياسة 242
الفن والسينما 243
الآداب والعلوم 245
العادات والتقاليد 248
التاريخ والآثار 249
العمارة والهندسة 254
العلم والثقافة 255
ثنائيات الثقافة الهندية والصور المتناقضة 257
الخصائص والمميزات 258
تأثير الرحلات في الأدب العربي والهندي 260
المؤاخذات على صاحب الرحلة 261
الخاتمة 263
نتائج البحث 264
التوصيات والاقتراحات 272
المصادروالمراجع 273

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه.

هذه أطروحة بحث أكاديمي بعنوان "أدب الرحلات المصرية إلى الهند منذ عام 1947م مع إشارة خاصة إلى أعمال أشرف أبو اليزيد : دراسة تحليلية"، تم إعدادها للتقديم إلى جامعة كاليكوت لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة في اللغة العربية وآدابها.

ما زالت الكتابات والدراسات عن الهند تحظى بإقبال القراء العرب، لمكانتها المرموقة في مخيلة العرب قديما وحديثا، كما هو الواقع الملحوظ من كتاب الهند للبيروني ورحلة ابن بطوطة الطنجي وكتب اليعقوبي والمسعودي وكتابات وديع البستاني، مترجم الملاحم الهندية الكبرى 'رامايانا ومهابهارتا'. وتتمثل عناية الأدباء العرب بالثقافة الهندية في موسوعة عربية ضخمة، أصدرت تحت رعاية محمد سعيد الطريحي، وكتاب 'الفن الهندي' لثروت عكاشة و 'الهند أسرار ومفاتيح' لإيهاب الشريف، كما أن التراث العربي زاخر بالآداب الهندية وروائع الأعمال الكلاسيكية المترجمة مثل 'في غابة الشياطين' لكامل الكيلاني ونحوها.

يعد أدب الرحلة من أهم وأمتع معالم الإبداع العربي، لمزجه بين المعرفة والمتعة، والمغامرة والاستكشاف، والمناظر والوقائع، كما تضمنت المشاهدات والانطباعات، بلغة شيقة ظريفة، حافلة بعناصر الفن والأدب، مع ما فيه من تداخل الأجناس الأدبية وانفتاحه على مجالات العلوم المختلفة من الجغرافيا والتاريخ والأنثروبولوجيا والأثنولوجيا وعلوم الاجتماع، بالإضافة

إلى دوره الملموس في دراسات النقد الثقافي والتفاعل الحضاري، لتطرقه إلى مقاربات ومفاهيم حديثة من الصورولوجيا وتمثل الأنا والأخر ونحوها.

وقد مثلت كتب الرحلات العربية المعاصرة، الهند شكلا ومضمونا، وعكستها مغزى وجوهرا، وصورتها ثقافة وحضارة، بشتى أبعادها من العادات والطقوس والتقاليد والديانات والمعتقدات، والمعالم والآثار والفنون العريقة والتنوع والتعدد في الألوان والأشكال والألسن والتقدم التكنولوجي والصناعي؛ مما دفعت مجموعة من أعلام الأدب والسياسة والثقافة إلى القيام برحلات في أرجاء الهند للاستكشاف والاستطلاع إلى جانب المتعة والمغامرة، وتسببت لانتشار الآداب الهندية وروائع الأعمال في الأوساط الأكادمية العربية، وحظيت بإقبال القراء واهتمام المثقفين، إلى جانب ما لعبت من الأدوار المهمة في تعزيز العلاقات الثنائية في كافة الأصعدة بين الهند والوطن العربي.

ومن المعلوم أن شبه القارة الهندية، كانت وما زالت محط أنظار التجار والرحالين والجغرافيين العرب وغيرهم، ومهوى أفئدة الرحالة المغامرين والمستكشفين المستطلعين منذ القدم، بوصفها واحدة من أقدم الحضارات العريقة ومهد الديانات العالمية وبلاد العجائب والغرائب. ولم تنقطع سلسلة الرحلات والجولات ورصد المشاهدات والانطباعات في العصور اللاحقة، بل تتابعت وتزايدت كثافة الرحلات منذ مطلع القرن العشرين، لأهداف وبواعث مختلفة وبشكل متزايد منذ 1947.

ومن الرحالة العرب المعاصرين الذين قاموا بزيارة الهند، ودونوا أخبار وتفاصيل تجوالهم في شتى أرجاء الهند بشكل كتاب أو مقال : وديع البستاني، محمد سعيد الطريحي، الشيخ الرحالة محمد ناصر العبودي، أغناطيوس نوري صاحب 'رحلة إلى الهند'، عبد الله ناصر سلطان العامري صاحب 'على ضفاف نهر الغانج'، عبد الوهاب العمراني مؤلف 'رؤية يمنية في أدب الرحلات'، محمد مجذوب، وارد بدر السالم مؤلف 'الهندوس يطرقون باب السماء'، لويس شيخو صاحب 'من بيروت إلى الهند'، علي الطنطاوي، محمد النابلسي صاحب 'تمر ومسالا'، خليل النعيمي صاحب 'كتاب الهند الحج إلى هاري دوار'، يحيى مطر صاحب'آسيا بعيون العربي'، رابح خدوسي صاحب 'رأيت في الهند'، المؤرخ العراقي أحمد زكي صالح صاحب 'رحلة إلى الهند'، د.سناء شعلان صاحبة 'الطريق إلى كريشنا رحلات في كشمير والهند'، وفهد عامر الأحمدي صاحب 'حول العالم في 80مقالا' وأمثالهم من شتى بلدان العالم العربي.

وبالنسبة لمصر، فقد كانت تربطها بالهند علاقات تاريخية مشتركة وعناصر ثقافية راسخة، وتوطدت روابط التبادلات والتفاعلات السياسية بشكل ملحوظ، منذ مطلع القرن العشرين، ولا تزال قائمة ومستمرة حتى الآن، ولذا لفتت بلاد الهند أنظار وتوجهات الرحالة المصريين بشكل كبير، لأسباب و بواعث سيأتي ذكرها. ويأتي في طليعة الرحالة المصريين في العصر الحديث: الأمير يوسف كمال، السيد رشيد رضا، فتح الله أنطاكي، أمينة سعيد، عبد الوهاب عزام، محمد ثابت، حسين فوزي، يوسف إدريس، حسين هيكل، حسنين هيكل، عبدالمنصف محمود، أنيس منصور، سامية علي، الشيخ عبد المنعم النمر، نوال سعداوي، إيهاب الشريف، سعد القرش، محمد المخزنجي، مهدي مبارك ونحوهم، سيتناولهم البحث بالتحليل والوصف.

تحليل العنوان

أدب الرحلة: "هي مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته أو يجمع بين كل هذا في آن واحد."[1]

مصر (جمهورِيّة مصر العربيّة): "دولة عربية تقع في الركن الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا، ولديها امتداد آسيوي، حيث تقع شبه جزيرة سيناء داخل قارة آسيا فهي دولة عابرة للقارات"[2].

الهند: "أكبر دولة في العالم من حيث عدد السكان، تتميز بالتنوع الثقافي والعرقي، وتعدد الألسنة والمعتقدات . وتحتل موقعا استراتيجيا بوقوعها بالقرب من الطرق التجارية الهامة."[3]

منذ ١٩٤٧: هذا الجزء من العنوان يحدد الفترة الزمنية المعينة. يعني عام استقلال الهند عن الاستعمار البريطاني سنة ١٩٤٧ بعد كفاح طويل. والمراد بهذا التعبير أن البحث يتمحور حول الرحلات المصرية إلى الهند بعد فترة الاستقلال بشكل مركز. وذلك لأجل تحديد دائرة الموضوع وضبطها وتعيينها إلى فترة خاصة، ولتأثير تلك الظروف والحقب التاريخية بالنسبة للبلدين في تكثر عدد الرحلات لدوافع وأهداف ثقافية واجتماعية وسياسية.

إشارة خاصة: إن هذه الدراسة تتناول بالبحث والتفحص والتحليل الدقيق، رغم كثرة وكثافة عدد الرحلات المصرية، أعمال أشرف الرحلية إلى الهند بشكل مركز خاص.

---

[1] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط2 ، 1984ص 17

[2] https://www.presidency.eg/ar

[3] https://new-delhi.embassy.qa/

أعمال: جمع عمل، يعني الأعمال الأدبية الرحلية لأشرف أبو اليزيد. يتطرق ههنا بالدراسة والتحليل إلى كتاباته وإسهاماته في الرحلة بشكل موجز، وإلى مدوناته الرحلية إلى الهند بشكل مفصل ومعمق.

أشرف أبو اليزيد: روائي، شاعر،صحفي مصري، وكاتب متخصص في أدب الرحلة، له قرابة 40 كتابا في الرواية والشعر وأدب الرحلة والسير الذاتية والترجمة وأدب الأطفال.

دراسة تحليلية: يتمثل البحث في شكل دراسة قائمة على جمع ورصد نصوص الرحلات المصرية إلى الهند، وتحليلها شكلا ومضمونا مع المناقشة الموضوعية بشكل سطحي موجز، وإبراز السمات الفنية فيها، وفي بعض الأحيان، نقد المحتويات والمضامين حسب الحاجة. والتحليل يركز بشكل خاص، على رحلات أشرف أبو اليزيد من نواحي شتى؛ المنهج والأسلوب وطرق السرد والوصف، ومميزاتها الفريدة والتقنيات الموظفة، مع إلقاء الضوء على قيمته الفنية والمقاربات المستخدمة، بالإضافة إلى الانتقادات الموجهة عليه في بعض الأماكن.

دو افع اختيار الموضوع

ومن الأسباب التي دفعت إلى اختيار الموضوع:

- رغبة الباحث في تناول موضوع هادف، مرتبط بأحد أشكال الأدب تارة، والثقافة الهندية وحضارتها الرائعة في نفس الوقت. وأثناء ذلك وقف على مقال بعنوان " أدب الرحلة العربية المعاصرة إلى الهند" لأشرف أبو اليزيد، يسلّط الضوء على عدد من

الرحلات المصرية إلى الهند في القرن العشرين. وبعد البحث والفحص الدقيق، اتضح أن هذا الجانب الشيق الممتع، لم يتناول بدراسة شاملة في شكل رسالة أو بحث علمي.

- الهند ومصر يمثلان تشابها ملحوظا في الثقافة والحضارة، والكفاحات السياسية ضد الاستعمار البريطاني، وأنهما من منابع الحضارات والثقافات العريقة في العالم منذ القدم.
- تمثل مصر مهد النهضة الأدبية الحديثة، لسبقها في الفنون الأدبيةالمستحدثة دوما، ولتلقيحها الأدب العربي بآثار الفكر الغربي على الإطلاق. وبها ازدهرت اللغة والثقافة العربية ازدهارا بالغا، وأنجبت أرضها عباقر اللغة وأساطين الإبداع في كل لون من ألوان الأدب الحديث وأدب الرحلة بوجه خاص.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل الرحلات المصرية إلى الهند منذ عام 1947م، مع التركيز على أعمال الكاتب والرحالة أشرف أبو اليزيد، وذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية:

- دراسة تطور أدب الرحلات المصرية إلى الهند منذ عام 1947م وتأثير التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية عليه.
- تحليل دوافع الرحالة المصريين إلى توثيق رحلاتهم إلى الهند،مع ذكر البواعث التي جذبتهم إلى الهند.

- استكشاف السمات الأدبية والفنية لأدب الرحلات المصرية عن الهند، بما في ذلك الأسلوب واللغة والسرد.
- تسليط الضوء على أعمال أشرف أبو اليزيد الرحلية إلى الهند مع عرض مميزاتها وخصائصها الفنية.
- إبراز الأساليب الأدبية وآليات السرد التي اعتمد عليها أشرف أبو اليزيد في الكتابة والرصد.
- تقييم دور أدب الرحلة المصرية في تعزيز التفاعل الثقافي والحضاري بين مصر والهند
- استكشاف تأثيرات الرحلات المصرية إلى الهند في الأدب العربي بشكل عام .
- توظيف أدب الرحلة في الدراسات الثقافية والنقدية، مع التركيز على مفاهيم الصورولوجيا و تمثيل "الأنا والآخر".

إشكالية البحث

يسعى هذا البحث ليصل إلى حل المشكلات الآتية:

1. كيف تطورت الرحلات المصرية إلى الهند في العصور الوسطى؟ ومن هم أبرز الرحالة المصريين؟
2. كيف تعززت العلاقات الثقافية والسياسية بين الهند ومصر في فترة ما قبل استقلال الهند؟ ومن هم أبرز الرحالة وما هي كتاباتهم الرحلية؟

3. ما هي الأعمال الرحلية المصرية إلى الهند منذ عام 1947؟
4. كيف أثرت الرحلات المصرية إلى الهند في الأدب العربي بشكل عام؟
5. كيف انعكست حضارة الهند وثقافتها بتاريخها وأعلامها وآثارها في المدونات الرحلية؟
6. إلى أي مدى يتجلى مفهوم الصورولوجيا وتمثلات الأنا والآخر عبر النصوص؟
7. ما هي المظاهر والملامح العامة للثقافة الهندية التي لاحظها وعلق عليها معظم الرحالة؟
8. ما هي الكتابات الرحلية لأشرف أبو اليزيد عن الهند، وما خصائصها ومميزاتها؟
9. ما هي الأساليب الأدبية وآليات السرد في الخطاب الرحلي التي اعتمد عليها أشرف في الكتابة والرصد؟

منهجية البحث

يعتمد البحث بشكل عام على المنهج الوصفي التحليلي، القائم على تحليل نصوص الرحلات والمناقشة الموضوعية، وإبراز السمات الفنية، وفي بعض الأحيان نقد المحتويات والمضامين. ولقيام هذه الدراسة على تتبع وجمع ورصد معظم الرحلات المصرية إلى الهند المتوفرة، لابد من استخدام المنهج التاريخي بتصفح كتب التاريخ، والوقوف على مدونات الرحالة، والاطلاع على المعلومات والمعارف الهامة التي تضمنتها، بصفتها مرجعا هاما من مصادر تاريخ الهند.

فأولا، قام الباحث بجمع المواد من المصادر الأصلية؛ أي كتابات الرحلة ومدوناتها من خلال التواصل مع الرحالة أنفسهم عبر سوشيال ميديا والدردشة، والاتصال مع من أطلعوا على

غيرهم من الرحالة، ثم الاعتماد على المراجع وكتب التاريخ والموسوعات والدوريات والمقالات المنشورة عبر الإنترنت ذات الصلة بأدب الرحلة و المقاربات والمفاهيم الحديثة المرتبطة بها.

خطة البحث

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة أبواب وفصول ومباحث تحتها وخاتمة:

الباب الأول:"أدب الرحلة في مصر": يشتمل على ثلاثة فصول؛

- نشأة أدب الرحلة وتطوره
- القيمة الفنية لأدب الرحلة
- الرحلة عند المصريين

يتناول الفصل الأول نشأة أدب الرحلة وتطوره عبر العصور، مع توضيح مفهوم أدب الرحلة لغة واصطلاحا، وفي الفصل الثاني، يأتي الحديث عن أدب الرحلة في مصر، مع الإشارة إلى تاريخ أدب الرحلة عند المصريين بشكل موجز، و الرحلات الحجازية للمصريين وأدب الرحلة المعاصرة في مصر نشأة وتطورا، إلى جانب تسليط الضوء على أبرز المصريين في مجال الرحلة وأعمالهم المبدعة، والفصل الأخير يتناول القيمة الفنية لأدب الرحلة.

الباب الثاني: "الرحلات المصرية إلى الهند قبل 1947".

- الرحلات المصرية إلى الهند من العصور الوسطى إلى القرن العشرين
- الرحلات المصرية إلى الهند في فترة (1900- 1947)

- التعريف بكتب الرحلات والرحالة .

الباب الثالث: الرحلات المصرية إلى الهند منذ عام ١٩٤٧

- أهداف الرحلة وعوامل ازديادها بعد 1947
- وصف كتب الرحلات وتحليلها مع ترجمة الرحالة
- الصورولوجيا وتمثلات الأنا والآخر
- تأثير الرحلات في الأدب العربي

وهذا الباب يتناول رحلات ما بعد الاستقلال بدراسة مستفيضة، وتقصي معظم الرحلات المتوفرة، مع توضيح أهداف الرحلة وبواعثها، وعوامل كثرة الرحلات إلى الهند بعد ١٩٤٧م إلى جانب القيام بتحليل كتابات الرحلة ووصفها، وإلقاء الضوء على السياقات المعرفية والثقافية، وصور انعكاس الهند في ثنايا النصوص، وإبراز الجوانب الفنية والطابع الأدبي الذي حفلت بها المدونات. ويتناول أيضا مفاهيم ومقاربات الصورولوجيا وتمثلات الأنا والآخر، من خلال الأعمال الرحلية مع توضيح تأثيرات تلك الرحلات في الأدب العربي والمصري بشكل عام .

الباب الرابع: رحلات أشرف أبو اليزيد إلى الهند.

- أشرف أبو اليزيد:حياته وأعماله
- علاقته مع الهند ورحلاته إليها

- المنهجية وآليات السرد
- الموضوعات المطروحة في نصوص الرحلات

أفرد هذا الباب لدراسة معمقة عن رحلات أشرف أبو اليزيد إلى الهند، وأعماله في مجال الرحلة. يتطرق إلى ترجمة أشرف باستعراض مسيرته الإبداعية وإسهاماته في مجال أدب الرحلة الاستطلاعية الصحفية، وتوظيف الرحلة للأطفال وعلاقته مع الهند وشغفه بحب الهند وآدابها الهادفة، مع توضيح دوره في تعريف الأدب الهندي في ساحة الثقافة العربية إلى جانب تجليات الهند في أعماله من الرواية والشعر والترجمة وأدب الرحلة. وفي الفصول بحث عن رحلاته إلى الهند بدراسة تحليلية عن المنهج والأسلوب واللغة والتقنيات السردية التي استخدمها الكاتب، مع الكشف عن القيمة الفنية والموضوعات المعالجة عبر النصوص، بالإضافة إلى الحقائق والمميزات التي اتسمت بها كتاباته الرحلية. وفي الختام يتناول تأثير رحلاته في الأدب العربي ودوره في تعزيز التبادلات الثقافية بين الهند ومصر، مع عرض بعض المؤاخذات على صاحب الرحلة من ناحية اللغة والمضمون.

الدراسات السابقة

ثمة عدد من المقالات والبحوث، تناولت الرحلات العربية المعاصرة إلى الهند بصفة عامة، دون تخصيص مصر، منها ما تركزت على مجموعة الرحلات بشكل موجز، أو تطرقت إلى بعضها بشكل مستقل في صورة مقال أو رسالة جامعية أو بحث علمي، نشر في المجلات والدوريات. ولعل من أقرب الدراسات السابقة لموضوع البحث:

- **"أدب الرحلة العربية المعاصرة إلى الهند"** لأشرف أبو اليزيد. مقال نشر في بوابة الأهرام عام ٢٠١٧، عرف الكاتب ببعض أبرز الرحلات في القرن العشرين، مثل رحلة وديع البستاني، والأمير يوسف كمال، إيهاب الشريف. وكشف فيه عن ثلاثة كتب تناول رحلات عربية إلى الهند؛ "آسيا بعيون العربي" بأقلام نخبة من الرحالة في 496 صفحة، و"جنوبا وشرقا رحلات ورؤى" لمحمد المخزنجي، و"نهرٌ على سفر" للكاتب نفسه.
- **"الهند كما صورها عبد الوهاب عزام في رحلته"** لثمامة فيصل. مقالة تلقى الضوء على عدد من الرحلات العربية والمصرية إلى الهند، مثل رحلات رشيد رضا، أنطاكي، عبد الرحمن بدوي، عبد المنعم خفاجي، محمد الجوادي، حسين هيكل، أمينة سعيد وغيرهم مع دراسة شاملة تحليلية لرحلة عبد الوهاب عزام.
- **"تجليات الثقافة الهندية في الأدب العربي الحديث"** د. عبد الرحمن آدرشيري. أطروحة الدكتوراه . جامعة كاليكوت.
- **"الصورولوجيا وأدبية الرحلة في الأدب العربي المعاصر:رحلة الأديب المصري الرحالة محمد المخزنجي إلى الهند أنموذجا"**.البراء صفوان عبد الغني.مجلة كيرالا، يناير 2021
- **"سويعات مع نوال السعداوي في الهند" . د . محمد عفان، مجلة المجمع العلمي العربي الهندي، المجلد 37**، العدد الثاني 2018
- **"الشرق الجديد للدكتور محمد حسين هيكل" د. عائشة قدسي القدوائي، البعث الإسلامي. يونيو 2023م.**

و بالنسبة للدراسات المتعلقة بأشرف أبو اليزيد وإنجازاته في أدب الرحلة:

- **"الهند في الرحلة العربية المعاصرة نهر على سفر أنموذجا"** لهيام المعمري . مقال نشر في الجيل الجديد. يتضمن تعريف صاحب الرحلة وكتابه "نهر على سفر" مع بيان سيمائية العنوان وصفحة الغلاف و تعكيس صورة الهند كما تمظهرت في رحلتيه إلى الهند 'تحت سماء كوجرات'، 'عرش السلطان أكبر'.
- **"شعرية السرد في روايات أشرف أبو اليزيد"**. رسالة الدكتوراه للباحثة سبينة، تتطرق إلى سيرة أشرف وترجمته والتجربة الشعرية عنده وإنجازاته في أدب الرحلة وأدب الأطفال وموقع الهند وثقافتها في نتاجه الأدبي. يتناول البحث بشكل تفصيلي روايات أشرف أبو اليزيد: شماوس، حديقة خلفية، 31، والترجمان مع أشكال شعرية السرد فيها.

يتضح من استقراء الدراسات السابقة من مقالات و بحوث علمية، أن موضوع أدب الرحلة المصرية إلى الهند بعد عام 1947لم يتناوله بشكل خاص -على حد علم الباحث- أحد من الدارسين في رسالة علمية أو بحث متكامل داخل الهند وخارجها في الجامعات، يقوم فيه برصد معظم الرحلات المصرية إلى الهند المستقلة ودراستها مع القيام بتحليل النصوص شكلا ومضمونا وإبراز ما فيها من معلومات وحقائق تاريخية مع الكشف عن قيمتها الفنية وتمثيل صور الهند وثقافتها العامة كما تجلت في ثنايا الرحلة ودور تلك الرحلات في توطيد العلاقات الثقافية بين الهند ومصر و تحقيق التفاعل الحضاري

والتفهم الثقافي بين الهند وعالم الأدب العربي بالإضافة إلى تأثير الرحلات على الأدب العربي.

الصعوبات التي واجهها الباحث

- الصعوبة في جمع مواد الرحلات و التتبع والرصد والاستيعاب والاختيار للتحليل على سبيل النماذج؛ وذلك لكون نصوص الرحلات مبعثرة ومتشتة مع كثرتها ووفرتها في ثنايا الكتب والمجلات والدوريات ومجموعة البحوث والدراسات وبعضها متوفرة في الأرشيفات والمخطوطات لم يتمكن الوصول إليها مثل كتاب "في بلاد البقرة المقدسة".
- إن كتّاب الرحلات لم يعتمدوا على منهج معيّن أو طريقة سرد واحدة، شكلا ومضمونا لأجل تنوّعهم وتشعّبهم في مجال الإبداع حيث يشمل الأدباء والروائيّين والشعراء والملوك والإعلاميّين والدبلوماسيّين وغيرهم من جملة المستكشفين والمغامرين، ولذا ليس من السهل ترتيب وتنظيم وتصنيف الفصول والعناوين والمباحث لاختلاط المعلومات والمحتويات حيث يتطلب بذل الجهد بدقة في تحليل المواد والسياقات المعرفية والثقافية والقيام بتنظيمها وتحديدها بشكل بحث جامعي.

- قلة المصادر والمراجع المتعلقة بخصوص الموضوع، أي الرحلات المصرية إلى الهند المستقلة رغم كثرة الدراسات والمقالات عن الرحلات العربية القديمة والمعاصرة إلى الهند.

كلمة الشكر

أتقدم بجزيل الشكر إلى الله المولى جلّ في علاه، على منّه وكرمه وتوفيقه لإنجاز هذا العمل .أقدم أسمى آيات الشكر والامتنان للأستاذ المشرف د.جابر كي. تي، لتوجيهاته القيمة وتعليقاته الدقيقة. وأتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأديب الرحالة أشرف أبو اليزيد لدعمه وتجاوبه وتفاعله معي من خلال المراسلات والدردشة والاتصالات المستمرة، كما لا أنسى كلا من الرحالة المصريين مثل مهدي مبارك، سعد القرش، سامية علي، محمد الجوادي لسماحهم بالتواصل، وتزويدهم البحث بمواد ثرية. والشكر موصول للأستاذ جعفر صادق رئيس قسم العربية و الأستاذ زين الدين بي تي، وسائر الأساتذة والزملاء الباحثين، وكل من قام معي بالدعم والعون والتزويد والتشجيع من الوالدين والأهل والأقرباء و الأصدقاء الأحباب والطلاب، شكر الله جهودهم وجزاهم خير الجزاء.

الباب الأول

أدب الرحلة في مصر

الفصل الأول : نشأة أدب الرحلة وتطوره

الفصل الثاني : القيمة الفنية لأدب الرحلة

الفصل الثالث : الرحلة عند المصريين

الفصل الأول

نشأة أدب الرحلة وتطوره

أدب الرحلة مصطلح عام، يرتبط بالكثير من المعاني والدلالات، والاهتمام بها يختلف باختلاف الزاوية التي ينظر إليها، مثل: الرحلة والجغرافيا، الرحلة والتاريخ، الرحلة والعلوم الاجتماعية من الإثنوغرافيا والأنثربولوجيا، الرحلة والاستكشاف، الرحلة والأدب، الرحلة والصحافة والإعلام والاستطلاع، والسيرة الذاتية والنقد الثقافي والتفاعل الحضاري، والمذكرة والمغامرة والمتعة ... إلى غير ذلك من المناحي المرتبطة بها، وشتى مجالات البحوث التي تتخذ من الرحلة مادة دسمة لها.

الرحلة في اللغة:

جاءت'الرحلة' لغة بمعنى"السير والضرب في الأرض:الترحيل والإرحال بمعنى الإشخاص والإزعاج. يقال: رحل الرجل إذا سار، ورجل رحُول وقوم رُحّل أي يرتحلون كثيرا. ورجل رَحّال: عالم بذلك مجيد له، وإبل مُرَحّلة: عليها رحالها، وهي أيضا التي وضعت عنها رحالها".[4]وجاءت أيضا بمعنى "الانتقال من مكان لآخر: ارتحل البعير رحلة: سار فمضى، وارتحل القوم عن المكان: انتقلوا، كترحّلوا، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان ارتحالا. ورحل عن المكان يرحَل وهو رَاحلٌ من قوم رُحَّل: انتقل". [5]

[4]ابن منظور ، جمال الدين . لسان العرب ط 3. دار صادر بيروت ، 1994 ، ج 11 ، ص 276

[5]الفيروزابادي ، مجد الدين محمد. القاموس المحيط . دار الحديث ، القاهرة، 2008ص 626

ومن معاني الرحلة: "الجهة التي يقصدها الإنسان: الرحلة الارتحال، والرُّحلة بالضم، الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول: أنتم رُحلتي أي الذين أرتحل إليهم. وتطلق الرحلة على السَّفرَة الواحدة. فالشخص الذي قام بالرحلة قد ترك موطنه وانتقل وسافر من موطنه قاصدا جهة أخرى، لذا كان لفظ رحلة أعم وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان إلى آخر."[6] "والرحال والرحالة اصطلاح يطلق مبالغة على الرجل يخرج إلى بلد آخر أو أكثر، ويقع جمعا، فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهوالرحلة"[7]. "الرحال : صانع الرحال، الكثير الترحال، ج رحالة، الرحالة : كثير الترحال".[8] "الرحلة : الارتحال. (ج) رِحل. وفى التنزيل العزيز: ﴿ رِحْلَةَ الشَّتَاء وَالصَّيْف). و- كتاب يصف فيه الرحالة ما رأى. وبعير ذو رحلة :ذو قوة على السير"[9].

مصطلح أدب الرحلة

وأما تحديد الرحلة اصطلاحا من الناحية الأدبية، فلا يعثر على تعريف شامل محدد، اتفق عليه الباحثون أو أرباب الفن بأجمعهم، بل التعاريف والمفاهيم متعددة، تختلف بحسب اتجاه وخلفية كل باحث وزاوية اهتمامه بها. يرى شوقي ضيف الرحلة "واحدة من أهم فنون الأدب العربي،تتضمن أحداثا ومغامرات عدة، تصاغ في أسلوب قصصي بديع، يؤكد الواقع أحيانا وينشئ لنا عوالم خيالية أخرى".

---

[6] د. الجوهرة بنت عبد الرحمن. الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية . مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.ص28.

[7] نواب،عواطف. الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين . مكتبة ملك فهد الوطنية ، الرياض . ص 40 ، 41

[8] منجد الطلاب، دار المشرق ، ص 262

[9] المعجم الوسيط. ص 335،المكتبة الإسلامية تركيا.

فأدب الرحلة هي"مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته أو يجمع بين كل هذا في آن واحد."[10]

وبعبارة أخرى: "الرحلة التي يقوم بها رحال إلى بلد من بلاد العالم، ويدون وصفا لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب. ومنهم من عرف: ذلك النثر الذي يصف رحلة أو رحلات واقعية، قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه"[11].

وقد عرف بأنه"فن عريق من الفنون النثرية التي ضمنها كتابها أخبار أسفارهم وسياحتهم ومغامراتهم البرية والبحرية،وما انطوى عليه من غرائب وعجائب وما قاسوه في ثنايا تلك الرحلات من الفظائع والأهوال، وما شاهدوه في البلدان والأصقاع والمناطق التي دخلوها من أحوال ساكنيها وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ونظمهم السياسية ومظاهر عمرانهم."[12]

فهذا اللون من الأدب، نمط تعبيري يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب. ولذا يمكن القول: بأن أدب الرحلة هو الفن الذي تنصهر فيه مجموعة من الخطابات الأدبية لتتزاوج فيما بينها، وتعطي لنا مادة ثرية تزاوج بين المعلومة والفنية في التقديم، كما أنها مادة متعددة الجوانب.

[10] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط2 ، 1984ص 17

[11] الموافي ، الرحلة في الأدب العربي، ص 41

[12] الفاضل أحمد، تاريخ وعصور الأدب العربي ، دار الفكر اللبناني، ص 54

كما لاحظ مؤرخ الأدب الجغرافي : "لقد أثار هذا الأدب اهتماما بالغا بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي وتارة شعبي، وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء، تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة. لذا فهو يقدم مادة دسمة متعددة الجوانب ليس لها مثيل في أدب أي شعب معاصر العرب."[13]

وبالمجمل يمكن القول: بأن أدب الرحلة هو نوع من الأدب النثري يتناول سرد تجارب الرحّالة ومشاهداتهم وانطباعاتهم أثناء تنقلهم من مكان إلى آخر. يدمج هذا الأدب بين السرد الوصفي والتحليل الثقافي والتاريخي والجغرافي، مما يجعله مصدراً غنياً للمعرفة والتوثيق الثقافي والحضاري. ويعتبر وسيلة لاستكشاف العالم وتقديم صورة شاملة عن الحياة في مختلف المجتمعات.

أنواع أدب الرحلة

يتنوع أدب الرحلة وفقًا لأغراضه ومجالاته، يمكن تصنيفه إلى الأنواع التالية:

- **الرحلة الجغرافية**:تهدف إلى وصف الأماكن والتضاريس والمعالم الطبيعية مثل الجبال، الأنهار، والصحاري.
- **الرحلة الثقافية**: تركز على توثيق العادات والتقاليد والممارسات الثقافية للشعوب المختلفة. مثل وصف الرحالة للعادات الغذائية، والأزياء، والاحتفالات المحلية.

[13] كراتشوفسكي أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صالح الدين عثمان هاشم، ص 28

- **الرحلة الدينية:** تكتب حول رحلات ذات طابع ديني مثل الحج، العمرة، وزيارة الأماكن المقدسة.
- **الرحلة الاستكشافية:**تهدف إلى اكتشاف مناطق جديدة أو دراسة بيئات غير مألوفة
- **الرحلة العلمية:** تركز على البحث العلمي ودراسة الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية.
- **الرحلة العلاجية:** تهدف إلى السفر بغرض العلاج أو الاستشفاء في أماكن ذات مناخ أو مياه معدنية خاصة.
- **الرحلة التعليمية:** تركز على السفر لغرض التعلم أو التبادل الثقافي.
- **الرحلة السياسية:** تكتب عن رحلات ذات طابع دبلوماسي أو سياسي، وتوثق المفاوضات والعلاقات بين الدول.
- **الرحلة التجارية:** تهدف إلى توثيق التجارب التجارية والاقتصادية خلال السفر.
- **الرحلة السياحية:** تركز على الترفيه واكتشاف معالم جديدة بقصد المتعة والاستجمام.

أشكال أدب الرحلة

يتنوع الخطاب الرحلي حسب مر الدهور إلى أشكال وألوان وطرائق مستجدة، وتجارب سردية متفردة في عرض المشاهدات والمناظر، وتقديم الانطباعات باستخدام وسائل التكنولوجيا وسوشيال ميديا من المدونات(Blogging)،مدونات فيديو(Vlogging) ، والبث على قناة يوتيوب، ولقطات فيديو، والبث المباشر عبر فيسبوك ونحوها، حتى ظل عرض الرحلات ورصد

أخبارها ميسورا وسهلا لكل من يمتلك هاتفا ذكيا وكاميرا وملكة البيان والتقديم. وهذا البحث يعنى بالرحلات المسجلة والمدونة في شكل كتاب أو رسالة أو مقال أو مذكرة فقط .

ومن أبرز أشكال أدب الرحلة في العصر الحالي ، على سبيل النماذج لا الحصر:

1. **الكتب المطبوعة :** ما زال أدب الرحلة يكتب على شكل كتب توثّق تجارب السفر.
2. **المقالات الصحفية :** يكتبها الرحالة في الصحف أو المجلات لتوثيق رحلاتهم بشكل مختصر.
3. **المدونات الإلكترونية (Blogs):** أصبحت المدونات وسيلة شائعة لنشر أدب الرحلة عبر الإنترنت.
4. **الفيديوهات الوثائقية:** يعبر الرحالة من خلالها عن تجاربهم بأسلوب مرئي، عبر منصات مثل يوتيوب.
5. **وسائل التواصل الاجتماعي :** تُنشر انطباعات الرحلات بشكل يومي أو لحظي عبر المنشورات والصور. تستخدم المنصات مثل "إنستغرام" و"فيسبوك" لنشر الصور ومقاطع الفيديو مع تعليقات قصيرة حول تفاصيل الرحلات.
6. **البودكاست (Podcast):** يستخدم البعض الحوارات الصوتية لتوثيق تجاربهم ورواية قصصهم عن الرحلات،كما يستخدم بودكاست مرئي أو مدونة فيديو(Vodcast).

مقومات أدب الرحلة

كل هذه الألوان والأشكال المستجدة، ربما لا تتحلى بوصف الأدبية ولا يطبع بطابع الفنية؛ فلا يمكن عدها من جملة أدب الرحلة، بل يأتي من قبيل مجرد عرض وتقديم الرحلة وتوثيق مشاهدها وأخباره. هناك صفتان بشكل عام، لابد من توافرهما في أدب الرحلة ليمثل لونا أدبيا فنيا :

الأولى: أن يكون كاتب الرحلات رحالا بطبعه، محبا لها و متذوق الفن يكتسب مهارات وتقنيات السرد الرحلي.

الثانية: أن يكتب بالأسلوب الأدبي الذي يجعل وصفه وسرده لأخبار وتفاصيل الرحلة وانطباعاته الشخصية، يعكس روح الرحلة والمتعةالفنية والطابع الجمالي والرغبة الشديدة التي تتملكه للقيام بها إلى جانب تجربة سردية فنية.

ولنجاح أدب الرحلة وتميّزه، يعتمد على مجموعة من المقومات الأساسية التي تجعله جاذبًا وغنيًا بالمعلومات والمتعة، ومن أهم هذه المقومات:

- السرد الوصفي

- التوثيق والمصداقية
- الهدف والغاية
- البعد الثقافي والاجتماعي
- عنصر المغامرة والتشويق
- الأسلوب السلس
- التوازن بين الذات والموضوع

وبالمجمل، مقومات أدب الرحلة تجمع بين الوصف الدقيق، المصداقية، الهدف الثقافي، التشويق، والأسلوب السلس، مما يجعله نوعًا أدبيًا غنيًا وممتعًا يعكس تجربة السفر بجوانبها المختلفة. وبتتبع تاريخ الفترة التي بدأ فيها استعمال عبارة (أدب الرحلة)، ليحل محل كلمة (الرحلة) الاسم السائد، يمكن الوقوف على إطلاق كراتشكوفسكي[14] هذا المصطلح فيما كتب عن الأدب الجغرافي في بداية القرن التاسع عشر.

أهمية أدب الرحلة

تأتي أهمية أدب الرحلة من نواحي عدة؛ ومن أهمها:

- **توثيق التاريخ والجغرافيا** :يسهم في توثيق الأحداث والظروف التاريخية والجغرافية.
- **تعزيز التفاهم الثقافي** :يساهم في تعزيز الحوار بين الثقافات المختلفة.

[14] Ignaty karachkovsky (1883-1951) مستشرق روسي، ترجم القرآن إلى اللغة الروسية

- **توسيع المدارك** :يُلهم القراء لاستكشاف عوالم جديدة وفهم تنوع الحياة البشرية.
- **الإلهام والاكتشاف** :يُلهم الآخرين للسفر واستكشاف أماكن جديدة وتوسيع آفاقهم.
- **المتعة والمعرفة والمغامرة** : يمنح القارئ تجربة ممتعة من خلال سرد مغامرات الرحالة، كما يتيح له اكتشاف العادات والتقاليد والموروثات الثقافية لشعوب مختلفة.

نشأة الرحلة وتطورها في الأدب العربي

ارتبطت الرحلات بتاريخ البشر منذ أقدم العصور، عرفها العرب وبلدان الشرق، ثم انتشرت عندالغرب بعد اكتشافاتهم خارج القارة الأوربية. والعرب قد جبلوا بحب الرحل والأسفار، فتواترت الأخبار عن رحل فردية وجماعية طلبا للرزق والتجارة والاطلاع والمعرفة، فقام بعض الشعراء في الجاهلية بالرحلة إلى الحيرة ودمشق وبلاد الروم، وذكروا ما جرى معهم في هذه الرحل. كما كان لقريش رحلتان إحداهما في الشتاء والأخرى في الصيف، وجاء ذكرها في القرآن الكريم.

وأدب الرحلات عند العرب غني بتراثه منذ أكثر من ألف سنة مضت، بل وتعود بداياته التوثيقية إلى مطلع القرن الثاني الهجري. فعندما توسعت الفتوحات الإسلامية وأصبحت حدود الدولة الإسلامية تمتد من الهند والصين شرقا إلى مياه الأطلسي غربا ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز شمالا إلى الصحراء الإفريقية الكبرى جنوبا. ووجد الفاتحون أمامهم آفاق عوالم جديدة تزاحمت فيها الغرائب والعجائب واختلفت فيها الألسن وتلونت المشاهد الطبيعية

وتغايرت الأقوام والشعوب، بعد أن كانوا حبيسي جزيرتهم وصحرائهم، وأثارت هذه العوالم في نفوس الفاتحين مكامن الاطلاع وحب المعرفة، وسرعان ما انطلقت جموع الرحالين والمستكشفين والعلماء والتجار نحو هذه الآفاق. وخلال بضعة قرون من السنين تراكمت نصوص هذا الأدب وتكونت في نهاية العصور الإسلامية الوسيطة مكتبة أدبية جغرافية عظيمة تعتبر في أيامنا واحدة من أندر وأثمن كنوز تراثنا العربي الإسلامي.[15]

"ولعل من أقدم نماذجه الذاتية[16]في القرن الثالث الهجري وفي عهد الدولة العباسية، رحلة سليمان السيرافي[17] بحرا إلى المحيط الهندي ورحلته للهند والصين وآسيا الوسطى، ورحلة سلام الترجمان إلى جبال القوقاز وبحر قزوين بتكليف من الخليفة العباسي الواثق بالله للبحث عن سد يأجوج ومأجوج، حيث بدأ رحلته من سر من رأى (سامراء)". وظهرت في تلك الفترة رحلات كل من وهب القرشي واليعقوبي لبلدان في آسيا وشمال إفريقيا.

وفي القرن الرابع الهجري، وقعت رحلات ابن فضلان والمسعودي وابن حوقل المقدسي وغيرهم،[18] كما شهد القرن الخامس الهجري بروز ابن بطلان والبيروني الذي اقتدى نموذجا جديدا في أدب الرحلة،حيث تجاوز التأريخ والجغرافيا إلى دراسة ثقافات المجتمعات وعاداتها ولغاتها، بعد أن عاش في بلاد الهند ردحا من الزمن، حتى أجاد اللغة الهندية القديمة.

---

[15] عبد الوهاب العمراني، رؤية يمنية في أدب الرحلات. مؤسسة الرسالة، دمشق . ص 19

[16] حمود خضرموسى محمد . أشهر أعلام الرحالة العرب ونتاجهم . دار الكتب العلمية . بيروت، 2011، ص 25

[17] هي رحلة سليمان التاجر إلى الصين والهند تلقاها مؤرخ جغرافي هو أبو زيد السيرافي، ونقلها عنه ومحّص روايتها وأضاف إليها معلومات كثيرة حول الصين نقلها عن ابن وهب القرشي الذي سافر إلى الصين في سنة 257 هـ / 870 م. ويبدو أن أبا زيد وضع اسم «أخبار الصين والهند» على مدونات السيرافي بعد إضافته معلومات ابن وهب.

[18] الموسوعة العربية العالمية ، مادة: الرحلات

ومن أبرز الرحالة في القرن السادس الهجري، الإدريسي الذي وضع خريطة للعالم، صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" واحد من أعظم مؤلفات القرون الوسطى. وفي ضمن الأعلام الرواد، يأتي أبو بكر بن العربي الأشبيلي الأندلسي(ت 543هـ / 1148م)، مؤسس أدب الرحلة في الأندلس, له مصنفات عدة منها "ترتيب الرحلة للترغيب في الرحلة". وهذه الرحلة لم توجد كاملة، فقد فُقدت في زمن المؤلف نفسه، ولكنه كتب ملخصا عنها في مقدمة كتابه: "قانون التأويل". ويعدّ ابن العربي أول من استخدم لفظ «رحلة» في عنوان مؤلف، ولذا يمكن اعتباره أول من وضع أساس أدب الرحلة المعتمدة على الصورة الفنية. ويأتي الرحالة أبو حامد الغرناطي في هذا القرن، يكاد يبلغ مكانة ابن بطوطة في العصور اللاحقة، نظرا لكثرة البلدان التي تنقل فيها بما فيها الشرق والغرب والصين والهند وإفريقيا.

وفي طليعة الرحالة الجغرافيين في القرن السادس، يأتي ابن جبير الأندلسي مؤلف كتاب"رحلة ابن جبير"، وفي القرن السابع الهجري عرفت رحلات كل من ياقوت الحموي وابن سعيد الأندلسي ولسان الدين الخطيب، قبل أن تظهر رحلات ابن بطوطة الشهيرة، مؤلف"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار".

ولابن خلدون المتوفى سنة 808م، دور ملحوظ في تطوير هذا الفن، وإدراجه ضمن السيرة الذاتية، حيث أورد ترجمة ذاتية وافية مع ذكر تفاصيل رحلاته في كتاب 'التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا'. وفي القرن التاسع، عرفت رحلة سليمان بن أحمد المهري وابن ماجد، كما

برز في القرن العاشر، الفزان الفاسي الغرناطي وفي القرن الذي تلاه، كانت رحلة التونسي العياشي المالكي، وهكذا تتابعت وتوالت في القرون التالية.

أدب الرحلة في العصر الحديث

وفي العصر الحديث دخل أدب الرحلة طورا جديدا، فغدا شكلا فنيا داخلا في الأدب، ولم يعد دراسة تاريخية وجغرافية حية كما كان من قبل. ومن نماذجه في القرن التاسع عشر على سبيل المثال؛ رفاعة الطهطاوي الأزهري الذي رافق أول بعثة أرسلها محمد علي باشا للدراسة في فرنسا ليكون واعظاً وإماما لتلك البعثة، فكتب كتابه الشهير المسمى ب"تخليص الإبريز في تلخيص باريز". ولأحمد فارس الشدياق (ت1887م) كتاب باسم (الواسطة في أحوال مالطة)[19]، وصف صنوفا من العادات والتقاليد، وخاصة النساء المالطيات. ويعد كتاب 'حديث عيسى بن هشام' من كتب الرحلات الخيالية كما يعتبر إرهاصا بظهور أدب الرواية العربية الحديثة. [20]

والمكتبة العربية زاخرة بكتابات ومدونات رحلية ذات طابع فني، كرحلات الأمير شكيب أرسلان ومؤلفه الشهير'الحلل السندسيّة في أخبار البلاد الأندلسية'، وجرجي زيدان و حسين فوزي صاحب السندباد العصري ورحلة توفيق الحكيم المسماة ب"زهرة العمر". ومن ضمن تلك الرحلات"ملوك العرب" لأمين الريحاني حيث وصف زياراته لبعض البلدان العربية بما فيها مصر والعراق والشام واليمن.

[19] MALTA جمهورية مالطا هي مجموعة ثلاث جزر منها مأهولة (مالطا – غوزو – كومينو) انضمت للاتحاد الأوروبي منذ 1 مايو 2004م، شهدت مرور 200 حضارة على مر العصور.

[20] ابن بطوطة الطنجي، رحلة ابن بطوطة . دار الكتاب العربي ، القاهرة. ص 09

وتمثل من خلال هذه الرحلات لون جديد، متصلا بالجانب الديني ما يسمى بالرحلات الحجازية، كما انعكست مظاهرها في الرحلة الحجازية للبتانوني، و'الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف' لشكيب أرسلان. وقد عرف حمد الجاسر شكلا جديدا، يتميز بشكل تام من بين مثيلاتها، إذ سجل رحلاته إلى مكتبات أوربا، بحثا عن المخطوطات المتصلة بالجزيرة العربية، وهكذا ظهر عدد من الرحالة، أو من كتبوا في مجال أدب الرحلة أمثال محمد ثابت، علي الطنطاوي وناجي جواد وناصر العبودي والعامري وأنيس منصور، نوال سعداوي، أشرف أبو اليزيد وغيرهم.

الفصل الثاني

القيمة الفنية لأدب الرحلة

أدب الرحلة جنس أدبي، تكون فيه شخصية الكاتب وملكته الأدبية أهم من الموضوع، وتكمن قيمتها بالأحرى في أنها تقدم موضوعا للعمل الأدبي. [21] وقد عرف"بأنه ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة موضوعا أو بمعنى آخر، الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز، وفي لغة خاصة ومن خلال تصور بناء فني، له ملامحه وسماته المستقلة."[22]

ومما سبق يتضح الفرق بين تسجيل الرحلة وبين أدب الرحلة جليا، فبينما تعتبر الأولى مجرد ذكر للتفاصيل الواقعية للرحلة، فإن للثانية قالبا أدبيا، تتأثر فيه فكرة الكاتب وتجاربه بشخصيته وخياله ونزعاته الأدبية. ولذا لا يمكن إطلاق أدب الرحلة بمعناه المصطلح عليه، على كل ما دون فيه مجرد أخبار وتفاصيل الرحلة البحتة، بل لا بد من توافر عناصر الفن والإبداع خلال المدونات الرحلية. ومن هنا يمكن أن تعالج الرحلات بوصفها فنا سرديا، ذا طابع أدبي له سماته وملامحه الذاتية التي تميزه عن غيره من الفنون الأدبية، وذلك من جهة كشف خصائص البناء الفني له، واستكناه الأبعاد القصصية والروائية من خلال النصوص المتضمنة على عناصر الفن من البداية والنهاية، وأزمنة الأحداث وأمكنة الوقائع وأساليب اللغة والتعبير، مع تسليط الضوء على الأشخاص وظروفهم والمجتمعات والشعوب، وما إلى ذلك من أبعاد وأنماط مختلفة مما تجسد الأدبية والجمال.

---

[21] راشد شاز . الطريق إلى الجزيرة العربية . الدار العربية للموساعات ، بيروت. 2007ص 11

[22] النساج ، سيد حامد . أدب الرحلات في حياتنا الثقافية . مجلة العربي ، 1987ص 133

"إن أهمية الرحلات تكمن في قيمتها العلمية والفنية، فالقيمة العلمية تمثلت بتزويد أهل التاريخ والجغرافية والآثار والأدب وغيرهم بمعلومات قيمة عن وصف المدن والطرق والعمران والبلدان وأخبار الناس وعاداتهم وتقاليدهم والحوادث الغريبة. أما القيمة الفنية فتزود القراء بمعلومات، وصور ممتعة، وأخبار تلذ وتمتع، وتستعرض الأحداث بصورة أدبية، تتسق مع النفس البشرية، فتشكل رافدا ثرا من روافد الفن والمتعة الأدبية". [23]

ومن الملاحظ أن "القيمة الأدبية لكتب الرحلات، تتجلى في ما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني، وبرغم ما يتسم به أدب الرحلة من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي، إلى الحوار، إلى الوصف، فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى". [24]

"فمادة أدب الرحلات، وإن لم تصل إلى مستوى الفن القائم بذاته كالفنون الأخرى: القصة أو الشعر أو المسرحية أو المقالة الأدبية، مثلا، إلا أن أساليب هذه الفنون ومضامينها تجتمع بشكل عام في أدب الرحلات، كما يلحظ حسين نصار: إن لم تكن الرحلة الأدبية قصة ولا رواية بالمعنى الدقيق، فهي أخت شقيقة لها. وبالحقيقة إن المفتاح السحري في كتابة الرحلات، لا يكمن في إجادة وصف الديار والأنهار والجبال والوديان والسهول، ولا في الحديث عن اختلاف العادات والتقاليد بين المجتمعات المختلفة، وما يشبه الأساطير في تصوير غوامض المدن، بل يكمن في هذه اللغة البديعة أو بالأصح الطقس اللغوي المتميز الذي لا يخلو من عفوية، وهو

[23] الشوابكة، د. نوال عبد الرحمن، *أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري*، دار المأمون، 2008م، عمان، الأردن ص53

[24] حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976، القاهرة ص 10

ما يتمثل في أكثرما كتبه الرحالة الأدباء الموهوبون الذين يكتسون بجمال الفن والإبداع، إضافة إلى المتعة والروعة عن رحلاتهم وجولاتهم في ربوع العالم" .[25]

ومن الباحثين المعاصرين الذين عالجوا فن الرحلة كلون أدبي ذي سمات فنية، الناقد شوقي ضيف. ثمة دراسة مستفيضة لنوال الشوابكة حيث عنيت بإبراز القيمة الفنية من خلال كتب الرحلات الأندلسة والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، موجهة جل اهتماماتها إلى استخراج عناصر الفن والأدب من كتب الرحلات.

نماذج للسمات الفنية

انطلاقا من الملاحظات والرؤى، والضوابط السابقة عن السمات الفنية، والملامح الأدبية التي حفلت بها كتب الرحلات، توجد تلك العناصر الأدبية في مدونات الرحلات المصرية المعاصرة إلى الهند. فهنا محاولة لاستعراض بعض الصور الفنية على سبيل المثال، إبرازا لسمات الفن والأدب، وما تضمنته تلك الكتابات الرحلية من التقنيات السردية الجديدة في مجال الإبداع والفن. ولعل من أبرز ميزات رحلة أمينة سعيد، ما تضمنته من تنوع أساليب التعبير الفني القصصي حيث تمثل رحلتها البناء السردي، كما هو الشأن في ابتداء قصة أو رواية، وذلك كما يلي: "كان الهدوء شاملا والليل باردا وهواء الشتاء القارس ينفح الوجوه والقاهرة بنت المرح والنور تنام في ظلام دامس لايخفف من رهبته غير التماع بعض النجوم الساهرة، وهي تطل بين آونة وأخرى، فتلقى علينا من السماء الملبدة بالغيوم بسمة متألقة. وتسللت بنا سيارة المطار في

[25] عبد العزيز المقالح، تقديمه لكتاب مقاصد الأسفار للجمال الغيطاني . دار نهضة مصر . ص 8

تهاد وبطء، كأنها تشفق أن يزعج صوت عجلاتها الضخمة هذا السحر المصرى العجيب! جلسنا جميعا صامتين، وقد تدثر كل منا بمختلف الأغطية والمعاطف استعدادا لدرء البرد في طبقات الجو العليا، التي سنشقها بالطائرة في رحلة طويلة إلى الهند". 26

و الروائي محمد المخزنجي يسجل مشاهداته خلال طريق راجستان: "الكافور الوارف والتين البنغالي السابغ وما لا أعرف من شجر الهند ظل يظل الطريق.. وفي بقع الظل والآفاق المشمسة رأيت أحلى وأرق بشر وقع عليهم بصري... الفلاحات الهنديات اللائي يحملن الجرار وهن يدارين وجوههن خجلا منا بأطراف (شيلانهن) الملونة (برغم أن بطونهن عارية كما هو شأن الساري الهندي) .. ورعاة القطعان البيضاء من الأغنام بملابسهم البيضاء الخفيفة وعصي الرعي الطويلة والعمائم على رؤوسهم تشتعل ببهجة الألوان المشتقة كلها من نارية الأحمر وزهو الأصفر وائتلاق الأخضر، حتى العاملات البائسات في الحقول، كانت وجوههن الحنطية تقطر حلاوة وهن يركضن في ثيابهن الملونة لتحيتنا على الطريق. أما الطيور فقد لفتت نظري بينها كثرة من عصافير كبيرة مشقوقة ذيولها الطويلة وكانت خضراء يضيء لونها بألق مفسفر وهي تنتقل كأنها تنداح بين هامات الشجر. رأيت الأطفال يتعلمون في مدارس مفتوحة تحت ظل الأشجار الكبيرة. ورأيت موكبا رقيقا من البشر أظنه لأفراد قرية كاملة نساء ورجالا وأطفالا كانوا عائدين من المعبد في صف طويل يمضي في حبور بينما علامة البركة الحمراء مطبوعة على جباههم وأطواق الياسمين البرتقالي تطوق أعناقهم". [27]

[26] أمينة السعيد، مشاهدات في الهند . دار المعارف للطباعة والنشر، مصر 1946 ص: 1

[27] المخزنجي، محمد . جنوبا وشرقا رحلات ورؤى . دار الشروق، القاهرة، 2010ص ، 132

الفصل الثالث

الرحلة عند المصريين

الإنسان مجبول على حب الحركة والتجوال، ينتقل من موضع لآخر بحثا عن طعامه وشرابه، وهربا من القوى المعادية سواء كانت طبيعية من برق ورعد وعواصف أو فيضانات وزلازل وبراكين، أو كانت حيوانات ضخمة كالأفيال أو مفترسة كالأسود والنمور . يرتبط السفر بارتياد المجهول وحب المعرفة، لذلك شغف الإنسان بعشق التجوال منذ القدم، فقام المصريون القدماء والسومريون والفينيقيون ثم الإغريق والرومان برحلات طويلة. وسجل المصريون رحلاتهم على جدران المعابد، وخاض الفينيقيون عباب المحيط الأطلسي، وعني الإغريق عناية واسعة بوصف البلدان والأقاليم التي رأوها وقدموا الكثير من المعارف الجغرافية. يذكر التاريخ بأن المصريين كانت لهم منذ حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، رحلات متعددة بالبر والبحر إلى بلاد بنط (ساحل الصومال)، وأن الملكة"حتشبسوت"جهزت حملة إلى هذه البلاد عام 1495 ق. م، سيرت فيها خمس سفن كبيرة في البحر الأحمر، وأن النقوش البارزة في (الدير البحري) بمصر تخبرنا كيف سيرت هذه السفن وكيف، استقبلت (بنط) المصريين وكيف عادوا.[28] فبقيت هذه الرسوم والنقوش شاهدة على تلك السفرات والمغامرات التي شهدتها تلك الفترة الزمنية.

[28] أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط1 ديسمبر ، 1961 ص 7.

فبالنسبة لمصر، بصفة كونها من أقدم المناطق المأهولة في العالم، سكنها الفراعنة القدماء الذين يرجع تاريخ وجودهم في مصر إلى حوالي 3200 عام قبل الميلاد، وسكنت الحضارات القديمة في مصر في شمال وادي النيل بسبب وجود مقومات الحياة كاملة، وبعد حكم الأُسَر الفرعونية المتلاحقة، وقعت مصر تحت الحكم اليوناني عام 332 قبل الميلاد، وبعد ثلاثة قرون من الحكم اليوناني، غزاها الرومان عام 30 قبل الميلاد، واستمرُّوا في حكمها حتى الفتح الإسلامي في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد عهدت الرحلات في طبعها وعايشت مع أحداث الزمان، وعاشت حياة الترحال كسائر الأمم والشعوب والحضارات التاريخية عبر مختلف مراحل التاريخ، وإن لم تدون تفاصيل ذلك في مؤلفات قائمة بذاتها بشكل فني أصيل، بل بقيت آثارها مبعثرة ومشتتة في صفحات كتب التاريخ.

وبتتبع تاريخ كتابات الرحلات العربية، لم يعثر من خلال قائمة أشهر الأعمال الرحلية في العصور الوسطى وما تلاها من القرون، على كتب فنية مستقلة بالمعنى الصحيح مفردة بالرحلة للمصريين إلا ما وجدت من أخبار وتفاصيل الرحلات ضمن كتب السير والتاريخ وتراجم الأعلام والجغرافيا حيث يوجد من العلماء والأعلام المؤرخين المصريين، من ترجم لنفسه من خلال صفحات كتب التاريخ والطبقات والسير الذاتية مع تسليط الضوء على مسيرة حياتهم ورحلاتهم في جانب العلم وزيارة الأراضي المقدسة.

ويأتي في هذا الإطار رحلة العالم والسياسي والمؤرخ تونسي المولد عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808 هـ/ 1406 م) عاش واستقر في مصر زهاء ربع قرن من حياته وتوفي بالقاهرة، أوردها ضمن

كتابه 'التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً'. والكتاب كما يعد في ضمن كتب السير الذاتية الرائعة، يعتبر أيضا من أبرز كتب الرحلات في التراث العربي رغم كون هدفه المهم، عرض مسيرة حياته الشخصية غير أنه غلب عليه الطابع الرحلي، بصفة كونه أديبا مبدعا وكاتبا متميزا سجل انطاباعاته ودون مشاهداته بطريق فني ممتع، إلى جانب أحداث ووقائع حياته الذاتية في ميادين العلم ونشره والقضاء والسياسة وما كابده من مرارة الهجرة والاغتراب واللجوء في شتى أصقاع العالم في بلاد المغرب العربي وأفريقيا والعواصم الإسلامية في القرن الثامن الهجري.

ومن أهم إنجازات الرحالة المصريين التي يمكن عدها من قائمة كتب الرحلة، رحلة عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري المصري في القرن التاسع الهجري . ولد في ملطية سنة 844هـ، درس الفقه والأدب والطب واشتغل بالتجارة والتأليف. انطلق سفره من الإسكندرية سنة ٨٦٦هـ على إحدى سفن البندقية ومر بجزيرة رودس، ثم نزل في تونس بعد رحلة بحرية دامت ثلاثة وثلاثين يومًا. سجل تفاصيل رحلاته إلى الغرب الإسلامي في كتاب"الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم". توفي سنة 1514م. [29]

وقد شهدت مصر في العصر العثماني عددا من الرحالين مثل الرحالة الشهاب الخفاجي صاحب 'ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا' والمرتضى الزبيدي ومحمد البكري وغيرهم من العلماء.[30]

[29] عبد الباسط، زين الدين بن شاهين الحنفي. الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم . المكتبة العصرية للطباعة والنشر . 2014القاهرة.

[30] أدب الرحلات في الأدب العربي في مصر في العصر العثماني رحلة الشهاب الخفاجي إلى الحرمين الشريفين نموذجا. أحمد حامد محمد حجازي. مجلة كلية دار العلوم العدد 144 مارس 2023

وهكذا يمكن الاطلاع على أشتات من أخبار وتفاصيل الرحلات ونصوص رحلية متفرقة في ثنايا كتب التراجم والسير والتاريخ للعلماء والكتاب المصريين أمثال السبكي والمقريزي وابن حجر العسقلاني والسيوطي والسخاوي والجبرتي وغيرهم من المؤرخين.

الرحلات الحجازية للمصرين

ما زال أهل مصر كغيرهم، يتوجهون إلى بلاد الحرمين لأجل القيام بحج بيت الله الحرام قديما وحديثا عبر التاريخ، ويزداد عددهم عاما فعاما. فالذي يهم هذا البحث، أولئك الرحالة المصريون الذين دونوا أخبار رحلات الحجاز، وسجلوا انطاباعاتهم ومشاهداتهم في كتب وصفحات بشكل أدبي فني. ويلحظ من بينهم إنجاز إبراهيم رفعت باشا مستهل القرن العشرين المسمى بمرآة الحرمين، اتسم بطابع أدبي ممتع كما تميز محمد لبيب البتنوني بالرحلة الحجازية سنة 1938م.

ازدادت كثافة الرحلات العربية من مصر إلى المملكة العربية السعودية بعد دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة سنة 1924 م، يمكن أن يستشف من تلك الرحلات الأسباب التي دعت كثيراً من الكتاب والمفكرين والإعلاميين المصريين للقيام بتلك الرحلات، بل بلغ الحماس بعدد منهم أن تكررت رحلاته إلى المملكة العربية السعودية"[31]. "وكان لزيارة الأمير سعود لمصر عام ١٩٢٩م أثرها الواضح في تتابع الرحلات، حيث دعا في زيارته تلك المفكرين والكتاب والإعلاميين لزيارة البلاد والاطلاع على شؤونها، ونشر الحقائق المجردة عنها. وبعد تلك الزيارة مباشرة كانت

[31] الجوهرة. الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة السعودية. ص: 39

رحلة محمد شفيق مصطفى عام ١٩٢٧م، والذي صرح بأن من الأسباب التي شجعته للقيام برحلته دعوة الأمير سعود.[32]

وتتابعت الرحلات المصرية حين دعت الحكومة السعودية عام ١٩٢٩م وفدا من المفكرين ورجال الصحافة في مصر لحضور الاحتفال بمناسبة عيد جلوس الملك عبد العزيز، ولا شك أن زيارة هؤلاء كان لها أثرها الواضح من حيث الصورة التي نقلوها عن المملكة في تلك الفترة، وعاد هؤلاء كما يقول هيكل: يلهجون بالثناء على الأمن والنظام هناك، وسئلوا عن شدة الوهابيين فهونوا الأمر غاية التهوين[33]، وكان أولئك الصحفيون يبعثون البرقيات إلى مكاتب صحفهم أثناء تلك الرحلة.[34] إلا أن منهم من لم يكتف بمقالاته تلك، بل أفرد لرحلته كتابا خاصا بها مثل المازني، حيث وضع عنها كتابا بعنوان 'رحلة الحجاز'، وعبدالوهاب خضير 'مشاهداتي في بلاد الحجاز'، وتركت تلك الرحلة أثرها الواضح في محيي الدين رضا، حيث تعددت رحلاته فيما بعد، ووضع عنها مؤلفات كثيرة[35].

ومن أبرز الكتاب الذين أثروا المكتبة العربية برحلاتهم الحجازية، إبراهيم محمد حبيب صاحب 'في الأرض المقدسة'، أحمد حسين صاحب 'مشاهداتي في جزيرة العرب'، أحمد عيسى صاحب الحجاز عام 1356هـ، متولي نجيب مؤلف نفحات الحج والزيارة، محمد ثابت صاحب 'رحلاتي في مشارق الأرض ومغاربها'، محمد رفعت المحامي صاحب 'أسد الجزيرة قال لي'، عائشة عبد

[32] مصطفى،محمد شفيق. في قلب نجد والحجاز .القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،ص8،7

[33] هيكل، محمد. في منزل الوحي -ط5-القاهرة :دار المعارف،ص:148

[34] المازني، إبراهيم عبد القادر. رحلة الحجاز .ط1-القاهرة :مطبعة فؤاد،1349هـ،ص: 15،14

[35] الرحلات العربية مصدر من مصادر المملكة العربية السعودية.ص: 40

الرحمن بنت الشاطئ مؤلفة 'أرض المعجزات'، و عباس محمود العقاد في كتاب "مع عاهل الجزيرة العربية".[36]

أدب الرحلة المعاصر في مصر

عادت الرحلات العربية إلى البزوغ والازدهار من جديد، بعدما تضاءل حجمها في عصور الانحطاط، في ثوب مختلف مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، فاتصل العالم الغربي بالعالم العربي من جديد، وأخذ يتزايد مبلغ بعثات علمية من قبل العرب إلى الغرب بشكل ملحوظ. توجهت رحلات العرب عموما والمصريين واللبنانيين بصفة خاصة، وبكثافة ضخمة آنذاك إلى أوربابشكل خاص، وعنيت كتبهم بوصف مناظر بلدان أوربا الطبيعية وما شاكل ذلك. ثم وجه العرب اهتمامهم برحلات نحو الولاية المتحدة الأمريكية بشطريها، في حين أولى بعض الرحالة العرب عنايتهم بالتجوال في وسط أفريقيا وجنوبيها، كما قام البعض بجولات في ربوع الهند والصين حتى لم يتركوا أي منطقة إلا وقد رحلوا إليها و وصفوها. وأما مصر فقد كانت البعثات التي أرسلها محمد علي إلى أوروبا، البنية الأساسية الوطنية التي أسس عليها بنيان عمليات التحديث التي قامت في مصر خلال القرن التاسع عشر، فلم يكن الرحالة والمبشرون هم الذين مهدوا للتغيير في أرض مصر، بل جاء ذلك وبصورة أساسية من أفواج المبعوثين من شباب مصر الذين أوفدوا إلى قلب أوروبا، ونهلوا من العلوم والأفكار الحديثة. أرسل محمد علي أولى البعثات إلى أوروبا بعد أربعة أعوام فقط من ذلك اليوم الذي قبل فيه أن يتولى السلطة

[36] د. الجوهرة بنت عبد الرحمن. الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية . مكتبة الملك فهد الوطنية . الرياض . ص 91.

كوالي على مصر، ففي عام/1809 سافرت البعثة الأولى إلى إيطاليا لدراسة العلوم العسكرية وبناء السفن والطباعة وفنون الهندسة.

وقد مهدت تلك البعثات العلمية ساحة لظهور أدب الرحلة العربية المعاصرة في مصر، حيث يعد'تخليص الإبريز في تلخيص باريز' للطهطاوي، أول إنتاج فني بارز، بمعناه المصطلح عليه في مجال أدب الرحلة. والكتاب يعتبر علامة بارزة من علامات التاريخ الثقافى المصري والعربي الحديث، وقد كتبه الطهطاوي بعد ما رشحه الشيخ حسن العطّار إلى محمد على باشا, حاكم مصر آنذاك، بأن يكون إمام البعثة الدراسية المصرية المتوجهة إلى باريس فى فرنسا، ليرعى الطلبة هناك ويسجل أفعالهم، وقد نصح المدير الفرنسي لهذه الرحلة, رفاعة بأن يتعلم اللغة الفرنسية، وأن يترجم مدوناته فى كتاب، وبالفعل أخذ الطهطاوي بنصيحته، وألف هذا الكتاب الذى قضى فى تأليفه تدوينًا وترجمةً خمس سنوات، فأخرج عملًا بديعًا، يوضح ما كانت عليه أحوال العلوم التاريخية والجغرافية والسياسية والاجتماعية فى كل من مصر وفرنسا فى هذه الفترة.[37]

ثم ظهرت في مصر أعمال إبداعية متميزة لأعلام العلم والفكر والسياسة، تتضمن أخبار الرحلات في العقود المتتالية، اشتهر منهم حسن توفيق العدل (1862- 1904)، أديب وتربوي من مصر، من مواليد الإسكندرية، يحتل مكانة مرموقة في تطوير وتنمية فن الرحلة المعاصرة بكتابه 'رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا'، الذي يعد ضمن أقدم كتاب دونه عربي

[37]الطهطاوي، رفاعة رافع . تخليص الإبريز في تلخيص باريز . مؤسسة هنداوي، 2011.

عن سياحته في ألمانيا وسويسرا، جمع بين دفتيه يومياته وانطباعاته عن رحلة قام بها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، كما تميز محمد فريد الذي سافر إلى الجزائر وتونس وفرنسا بعمله "من مصر إلى مصر"، وأحمد زكي باشا صاحب 'السفر إلى المؤتمر'.

شهدت أرض مصر منذ مطلع القرن العشرين، رحلات شتى لأهداف ودوافع مختلفة؛ لأبناءها من الأدباء وأعلام الفكر والسياسة، حتى نبغ من بينهم روادا لهذا اللون، مشاهير الكتاب وعمالقة الفكر والفن، أمثال الأديب محمود تيمور الذي أسهم في أدب الرحلة بمؤلفات فريدة مثل 'أبو الهول يطير'، شمس وليل، جزيرة الحب، و محمد حسين هيكل مؤلف كتابي"عشرة أيام في السودان"و"يوميات باريس". كما أثرت المكتبة العربية كتابات الأستاذ حسين فوزي مثل: 'سندباد مصري' و'سندباد في سيارة' و'سندباد عصري' و'حديث السندباد القديم'، أسهمت أيضا كتب أنيس منصور الرحلية مثل: 'حول العالم في 200 يوم'، و'اليمن ذلك المجهول'، و'بلاد الله خلق الله'، و'أعجب الرحلات في التاريخ'. ولأحمد محمد حسنين باشا كتاب'في صحراء ليبيا'، والشاعر طاهر أبو فاشا 'وراء تمثال الحرية'، والدكتور مصطفى محمود 'مغامرات في الصحراء والغابة'، والقاص عبد الفتاح رزق 'مسافر على الموج'، و'رحلة إلى شمس المغرب'، والقاص خيري شلبي"فلاح مصري في بلاد الفرنجة".

ولا يستهان في هذا المضمار أدوار كل من الأديب رائد أدب الطفل، كامل كيلاني، صاحب "ذكريات الأقطار الشقيقة"، سجل فيه انطباعاته عن رحلاته في كل من فلسطين ولبنان وسوريا. وإبراهيم عبد القادر المازني صاحب 'رحلة الحجاز'، وزكي مبارك له 'ذكريات بغداد'

و'ذكريات باريس'. وللكاتبة المصرية د. عزة بدر 'كتاب أم الدنيا'، 'صورة قلمية عن القاهرة والناس'، و'رحلات بنت قطقوطة'، تسرد فيه رحلتها إلى اليونان وإيطاليا وبلاد أخرى. ولمحمد عفيفي كتاب رحلة بعنوان "تائه في لندن".

وبتصفح تاريخ الرحلات المصرية، يمكن الوقوف على عدد ضخم من كتب الرحلات مثل الأمير يوسف كمال، رشيد رضا، عبد الوهاب عزام، فتح الله أنطاكي، أمينة سعيد، د. إيهاب شريف عبد المنصف محمود، نعمات أحمد فؤاد، د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، نوال سعداوي، يوسف إدريس، حسنين هيكل، محمد الجوادي، سامية علي، وأمثالهم من الأدباء والكتاب المصريين . وفي النصف الأخير من القرن العشرين، وبداية الحادي والعشرين، برز كتاب مبدعون في مجال الرحلة، حتى أتحفوا التراث العربي المصري بنتاجات ثرة، كأمثال جمال الغيطاني، صاحب 'كتاب الأسفار'، ويوسف القعيد، مؤلف 'مفاكهة الخلان في رحلة اليابان'، إبراهيم عبد المجيد في كتاب 'أين تذهب طيور المحيط'، ومحمد المخزنجي صاحب "جنوبا وشرقا رحلات ورؤى"، وسعد القرش صاحب 'سبع سماوات'، ومصطفى عبادة مؤلف' 30 يوما في المستقبل'، وشيرين عادل، والكاتب مهدي مبارك، والروائي أشرف أبو اليزيد.

الباب الثاني

الرحلات المصرية إلى الهند قبل عام 1947

الفصل الأول : الرحلات المصرية إلى الهند من العصور الوسطى إلى القرن العشرين.

الفصل الثاني : الرحلات المصرية إلى الهند في فترة(1900- 1947)

الفصل الثالث : التعريف بكتب الرحلات والرحالة.

الباب الثاني

الرحلات المصرية إلى الهند قبل عام 1947

العلاقات بين الهند ومصر قائمة منذ القدم من أوجه شتى: تربط الجغرافيا بين البلدين، وتمثلان أقدم حضارتين في الشرق، والاستعمار البريطاني أيضا قد ربط بينهما؛ فقد كان استعمار مصر السبب الرئيسي فيه هو تأمين التجارة البريطانية الآتية من جزر الهند الشرقية عبر قناة السويس، وأن ميناء مصر تتوسط بين طرق الهنود إلى أوربا. انطلاقا من هذه الروابط، يفترض أن الرحلات بينهما ما زالت مستمرة وجارية عبر التاريخ لأجل أسباب ودوافع متعددة، ربما لم تكن تفاصيلها مسجلة في الصفحات. وهذا الباب يبحث في المسجلات الرحلية قبل 1947م.

الفصل الأول
الرحلات المصرية في العصور الوسطى

منذ ظهور الدين الإسلامي في القرن السابع للميلاد، شهدت الهند ومصر تطوراً مهما، فقد وصلهما الدين الإسلامي بوقت مبكر؛ إذ أصبحت مصر إقليماً من أقاليم الدولة العربية الإسلامية في العصر الراشدي، كما أن الجزء الغربي من الهند (السند)، أصبح إقليماً أيضاً من أقاليم الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي. وفي العصر العباسي حدثت عدة تطورات سياسية مهمة، لها صلة بكل من مصر والهند. ففي مصر ظهرت الدولة الفاطمية المناوئة للعباسيين سنة (358-559هـ/969-1163م)، ثم أعقبها حكم الأيوبيين (559-648هـ/1163-1250م). أما في السند فقد انتهى فيها العصر العربي الإسلامي ببداية ضعف الخلافة العباسية، ثم بدأت تتعرض لنفوذ وفتوح السلطنة الغزنوية (388-582هـ/998-1186م) ثم السلطنة الغورية (582-602هـ/1186-1206م).

"تشاء الظروف في كل من مصر والهند بمجيء حكم المماليك؛ إذ ظهر في الهند حكم السلطنة الإسلامية لأول مرة في تاريخ حكم الإسلام في الهند واستمر لغاية سنة 930هـ/1526م، فضلاً عن ظهور عدد من الأسر الإسلامية الحاكمة في الأقاليم الهندية. أما في مصر، فكان حكم المماليك بمثابة فترة جديدة في تاريخ مصر؛ إذ امتد نفوذهم السياسي إلى مناطق واسعة شملت جزءاً من شبه الجزيرة العربية والحجاز وبلاد الشام. وقد حتمت الظروف السياسية لكل من

سلاطين مصر والهند توثيق العلاقات بينهما بخاصة وأن بغداد عاصمة الخلافة العربية الإسلامية قد سقطت سنة 656هـ/1258م."[38]

"وبدأت القاهرة بشكل خاص ومصر عامة، تأخذ دور بغداد والعراق في خدمة الحضارة العربية الإسلامية، فهي لم تتعرض بشكل مباشر إلى أخطار الغزو المغولي، كما أن الغزو التيموري للهند لم يستمر طويلاً؛ إذ أعقبه حاجة السلاطين الهنود إلى دور ونفوذ مصر السياسي والديني لتوثيق مشروعية الحكم الإسلامي لهم في الهند. ولذلك كان من المتوقع والطبيعي؛ أن تشهد علاقات البلدين تطورات إيجابية مهمة، امتد أثرها في كثير من جوانب الحياة، وأسهمت في ازدهار وإغناء الحضارة العربية الإسلامية آنذاك. ففي الجانب السياسي، شهدت علاقات البلدين تبادل الوفود والسفارات، وحاجة السلاطين الهنود إلى مراسيم التقليد الشرعي من الخليفة العباسي. كما شهدت تبادل الهدايا ومظاهر التكريم الأخرى، وتوظيف ذلك لخدمة علاقات البلدين".[39]

أما في الجانب التجاري، فقد تبين وجود حاجة ماسة للبلدين كليهما في تطوير علاقاتهما،صحيح أن العلاقات التجارية بين مصر والهند قديمة، ولم تنقطع خلال العصور التاريخية السابقة، إلا أنها قد تطورت كثيراً خلال المدة (648-923هـ/1250-1517م). فقد كان مماليك مصر بحاجة إلى مختلف المنتجات الهندية للاستفادة من استهلاك قسم منها داخل مصر، وتصدير القسم الآخر إلى أوربا، وما يترتب على ذلك من ضرائب لمصلحة سلاطين مصر وسكانها. كما أن

[38] المشهداني، د ياسر عبد الجواد . العلاقات المصرية - الهندية في العصر المملوكي دراسة في الجوانب السياسية والحضارية.المكتب العربي للمعارف، القاهرة ، 2018.

[39] المصدر نفسه

سلاطين الهند الذين امتازت بلادهم عبر التاريخ بالكثير من المنتجات والبضائع والحيوانات النادرة، لم يكن لهم أفضل من الاتجاه إلى مصر. وفي هذا الجانب كان استيراد البضائع وتصديرها للبلدين كليهما غالباً ما يتم من خلال الطريق البحري المعروف بموانئه (البحر الأحمر). وهنا من الضروري، الإشارة إلى دور تجار (الكارم) الذين لم يكونوا تجاراً تقليديين بل أدوا دوراً مهماً في تقوية العلاقات بين الجانبين بما قدموه من أموال لخدمة الأماكن الإسلامية المقدسة ودور العلم وإقراض السلاطين أثناء الأزمات وغيرها. وقد تبين في هذا الجانب أيضاً أن الميزان التجاري كان يميل لصالح الهند من حيث كثرة صادراتها من التوابل والعطور والمواد الأخرى، مع العلم أن هناك أسلوبين كانا سائدين في التعامل التجاري وهما: التعامل النقدي، وطريقة المقايضة.

"أما الصلات الثقافية والعلمية، فقد تبين أن العلوم الدينية والعلوم العقلية كانت هي السائدة في التعليم في كل من مصر والهند، وكانت تدرّس في المساجد ثم المدارس، وأثناء ذلك كانت الظروف ملائمة لنمو حركة واسعة من العلماء وطلاب العلم بين البلدين، لوحظ خلالها الدور البارز لمصر بضوء مكانتها الحضارية والدينية، وقد استمر ذلك لغاية وصول طلائع الغزو البرتغالي إلى مياه المحيط الهندي سنة 905هـ/1499م وسقوط المماليك فيما بعد على يد العثمانيين في معركة مرج دابق سنة 923هـ/1517م.

كان من مظاهر الاتصال الثقافي بين مصر والهند في العصر المملوكي، وجود الكثير من العلماء المسلمين البارزين من بلاد مختلفة، دخلوا الديار المصرية وشبه القارة الهندية لأسباب؛ منها:

سقوط الخلافة في بغداد، والفوضى السياسية التي أحدثها الغزو المغولي وغيرهما، وقد حفل عدد من المصادر التاريخية بأسماء شخصيات علمية عديدة، قصدت البلدين لمواصلة الحركة العلمية والأدبية فيهما، مما يدل من دون شك على أهمية مكانة البلدين في نفوس المسلمين. وقد باتت الشخصيات العلمية والدينية تتبادل الزيارات والرحلات، وحظوا باستقبال حار من سلاطين المماليك وسلاطين الهند الإسلامية."[40]

ومما يدل على ذلك ما وصفه الرحالة ابن بطوطة في بلاط السلطان محمد تغلق، من كرم الضيافة والمنازل الرفيعة التي أنزله إياها حتى بالغ في إظهار مدحه له، إلى جانب ما تلقاه العلماء المصريون من الإكرام والتبجيل، الذين وفدوا سفراء الخلفاء على سلاطين الهند، كما تلمس صورته من تعليق ابن بطوطة في معرض ذكره عن عطاء السلطان أبي المجاهد محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلق شاه لشيخ الشيوخ ركن الدين المصري حين قدومه عليه: "وكان السلطان قد بعث هدية إلى الخليفة بديار مصر أبي العباس، وطلب له أن يبعث له أمر التقدمة على بلاد الهند والسند، اعتقادا منه في الخلافة، فبعث إليه الخليفة أبو العباس ما طلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر ركن الدين، فلما قدم عليه، بالغ في إكرامه وأعطاه عطاء جزلا. وكان يقوم له متى دخل عليه ويعظمه، ثم صرفه وأعطاه أموالا طائلة، وفي جملة ما أعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها، كل ذلك من الذهب الخالص، وقال له: إذا نزلت من البحر، فأنعل أفراسك بها، فتوجه إلى كنباية ليركب البحر منها إلى بلاد اليمن"... [41]

---

[40] المصدرنفسه. ص: 90

[41] ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد أبي عبدالله بن بطوطة الطنجي . تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب العربي، دمشق . ص 347

وقد استقر الكثير من العلماء العرب المسلمين في الهند، في حين فضل عدد آخر منهم العودة إلى بلادهم بعد استقرار الأوضاع السياسية فيها، وجمع الثروات الكافية لهم.

العلماء المصريون الذين وفدوا إلى الهند

وجد العلماء المصريون في الهند مكاناً ملائماً لممارسة نشاطهم العلمي والأدبي للتدريس في مساجد الهند ومدارسها. وفيما يلي: معلومات وتراجم مختصرة، تلقي الضوء على طبيعة حركة العلماء وتنقلاتهم بين مصر والهند في مجال الثقافة، وأوجه أخرى من الصلات الثقافية والاجتماعية والدينية بين البلدين .

ومن الذين قدموا الهند في أواخر القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد: محمد بن تميم الإسكندراني الذي عاش مدة طويلة في ساحل مليبار،وعمل لدى أميرها ناسخاً وكاتباً، وألف مقامات طويلة وجيدة سمّاها (تواضع المقامات)، توفي سنة 715هـ/1315م.[42]

ومنهم الشيخ بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني المالكي النحوي[43]، ولد بالإسكندرية سنة 764هـ/1362م، وتلقى تعاليمه فيها، وعني بالأدب والفقه والنحو واللغة، وتصدر التدريس في الجامع الأزهر، وعيّن قاضي القضاة المالكية في مصر أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون. وفي سنة 820هـ/1417م، سافر بحراً إلى الهند ووصل كوجرات، وأغدق عليه سلطانها أحمد شاه العطايا والهدايا، وأخذ عنه الهنود الكثير من علومه وعظّموه. له مصنفات عديدة وشروح

[42] العسقلاني، ابن حجر : الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج5، ص150-151

[43] الندوي عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر ، طيب أكادمي، ملتان . ج3، ص 97، 98

مثل(شرح التسهيل لابن مالك)،و(تحفة الغريب في شرح مغني اللبيب)، وأهدى مصنفاته هذه إلى السلطان أحمد شاه، ثم رحل إلى الدكن، وتوفي فيها سنة 828هـ/1424م.[44]

وفي سنة 744هـ/1343م، سافر إلى الهند الشيخ زكي الدين الملطي، ونشر خلال مدة إقامته فيها أفكاره وزهده وعلمه في مجال التصوف والأخلاق، وفي سنة 754هـ/1353م عاد إلى الديار المصرية فتلقاه الناس بالأفراح والاحتفالات، وخلع عليه السلطان صالح بن قلاوون(752-755هـ/1351-1354م) للخلع، وأعاده إلى وظيفته السابقة في مشيخة الخانقاه الناصرية لسرياقوس. ومن كبار العلماء المصريين الذين جذبتهم سلطنة كوجرات، الشيخ جلال الدين بن محمد المصري، ولد بمصر سنة 856هـ/1452م، وتلقى تعليمه فيها، ثم سافر إلى كوجرات وحظي بمكانة كبيرة عند سلطانها، توفي سنة 929هـ/1522م، ولقبه بملك المحدثين[45]. ووصل كوجرات الشيخ محمد بن محمد بن سويد المصري الذي تلقى ترحيباً كبيراً من لدن سلطانها. ومن الذين توطنوا أحمد آباد، الشيخ أبو القاسم بن أحمد بن فهد الذي أحضر معه كتاب 'فتح الباري في شرح صحيح البخاري' وأهداه إلى السلطان أحمد شاه.

وفي القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، حدثت اضطرابات سياسية في بلاد الهند إثر تعرض الهند للغزو التيموري، وما أعقبه من تقسيم للبلاد، إلا أن ذلك لم يؤثر كثيراً في حركة العلماء والتبادل الثقافي مع مصر، فقد وصل إلى الهند العديد من العلماء المصريين مثل الشيخ صلاح الدين الأقفهسي المصري المحدث الحافظ، ولدسنة 773هـ/1371م، واشتغل بالفقه

[44] النمر الشيخ عبد المنعم، تاريخ الإسلام في الهند ، ص 204

[45] النمر ،ص 206

والفرائض ولازم شيوخ مصر وعلمائها،ثم سافر إلى كمباية[46] في بلاد الهند وتوفي سنة 821هـ/1420م. ومنهم الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الصوفي أحد أهل النسك والعبادة، اتصل بالسلطان الظاهر برقوق، وزار أقطاراً عديدة من ضمنها الهند، توفي سنة 831هـ/1430م. وسكن بلاد الهند الشيخ علاء الدين البخاري الحنفي الذي كان من أهل الزهد والورع والصلاح والتعفف عن التردد إلى أحد من الأكابر، على الرغم مما اشتهر به من علوم شرعية وعقلية من تفسير وفقه ولغة وبيان، وكان قد جمع ثروة كبيرة خلال إقامته بالهند، توفي سنة 841هـ/1440م.

ومن أبرز الدوافع لقدوم العلماء من مصر إلى بلاد الهند في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ما شهدته بلاد الهند وبصفة خاصة، نواحي مومباي وكوجرات، من نهضة جديدة لعلم الحديث، حيث ازدهرت حركة السنة تحت ظلال الدولة المظفرية بكجرات والدولة البهمنية بدكن، ولعب ملوكهما دورا بارزا في نشر السنة وحمايتها ورعاية أهلها، وطار صيتهما في الآفاق فتبادر إليهما أهل العلم من كل أنحاء العالم، وتتابع وفود العلماء إليهما من إيران والحجاز ومصر. كانت حركة السنة قوية في مصر والحجاز في ذلك الوقت؛ وكانت لمصر شهرة فائقة بسبب حضور الإمام ابن حجر العسقلاني فيها، الذي قصر همته على خدمة السنة وانتفع بعلمه كثير، كتلميذه الإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي الذي تصدر للتدريس في الحرمين، وانتشر تلاميذه في الآفاق، وقصد غير واحد منهم إلى أراضي الهند، كما توافد تلاميذ المحدث زين الدين زكريا الأنصاري الذي تصدر للتدريس بالقاهرة، حتى ظلت الهند وكجرات بشكل ملحوظ، محط

[46] خليج كمباية (Gulf of Khambhat)يقع في ولاية كجرات

أنظار المهتمين بعلم الحديث ومرتع المحدثين الأجانب. ومن الذين قدموا الهند من تلامذة السخاوي، الشيخ وجيه الدين محمد المالكي توفي سنة 929هـ، قام بمهمة التدريس والإفادة بكجرات. والشيخ شهاب الدين أحمد العباسي الذي تصدر لعلم الحديث في كوجرات من تلامذة الإمام زكريا الأنصاري، كان مولده بمصر سنة 903هـ، حفظ العمدة في الحديث للمقدسي والأربعين للنووي، وتتلمذ عليه محمد بن عبد الرحمن العمودي الأحمدآبادي، توفي سنة 992هـ. ويوجد في قائمة العلماء المصريين الشهاب أحمد بن بدر الدين المصري المتوفى بأحمداباد سنة 992هـ، والشيخ محمد بن محمد عبد الرحمن المالكي المصري، توفي بأحمداباد سنة 919هـ. [47]

ويوجد اسم العلامة جلال الدين السيوطي ضمن العلماء الوافدين المصريين إلى الهند، كما أوضح ذلك في كتاب 'حسن المحاضرة': "و سافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب و التكرور"...[48]

وبالمجمل يمكن الملاحظة: بأنه"بفضل هؤلاء العلماء والكثيرين غيرهم،من الذين حملوا علومهم ومعارفهم وكتبهم القيمة، نمت المعرفة والعلوم وتطورت في الهند وانتشرت مئات المدارس، فأصبحت دلهي تضم أكبر جزء من المخطوطات العربية الإسلامية النادرة والمصادر الإسلامية التي لا تزال محفوظة في مكتباتها الواسعة الخاصة والعامة."[49]

[47] نزهة الخواطر، ج4،ص 279

[48] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. مكتبة الخانجي، القاهرة .

[49] العلاقات المصرية - الهندية في العصر المملوكي .ص 94

الفصل الثاني

الرحلات المصرية إلى الهند في فترة ما قبل الاستقلال

ومن خلال تتبع تاريخ الرحلات العربية إلى الهند، يبدو أنه كما يتم العثور على كم ضخم من بلاد الخليج العربي ودول آسيا وبلاد المغرب العربي، يمكن الوقوف على عدد من كتابات الرحالة المصريين المبدعة ذات طابع أدبي، خاصة فيما بعد عصر النهضة الحديثة - من حملة نابليون- ومنذ بداية القرن العشرين، وذلك لأغراض وبواعث شتى: من السياحة والاستكشاف، التجارة، الصيد والاستجمام، الصحافة، الدوافع الدبلوماسية، الأكادمية العلمية والثقافية وما إلى ذلك من الأهداف والأسباب.

الأسباب والدو افع لكثرة الرحلات

وبتتبع أسباب ودوافع كثافة الرحلات المصرية إلى الهند وكثرتها يطلع على عوامل وعناصر مختلفة، هيأت الظروف لكثرة السير والترحال بين البلدين وقربت أوجه التشابه من أنحية وأشكال مختلفة، وذلك من ناحية ربطهما السواحل البحرية حيث تتوسط ميناء مصر بين طرق الأوربيين إلى الهند، وبشكل أنهما بقيتا سنين مستعمرات تحت سيطرة الإنجليز. و لعل من أهم دوافع استعمار الإنجليز لمصر تأمين طرقهم إلى الهند حسب ملاحظة الشيخ عبد المنعم النمر: "وهكذا كان اسم الهند وما يحيط بها من أفكار، ضوءا لامعا يجذب إليها الأنظار مما سبب لها الاستعمار الإنجليزي، ذلك الاستعمار الذي ظلت ترزح تحته طويلا وكبدها ما كبدها من متاعب وأهوال، وكان استعمار الهند مدعاة لأن يؤمن الإنجليز طرقهم إليها، فعمدوا إلى

استعمار مصر ومداخل البحر الأحمر في عدن، والشواطئ الشرقية لأفريقية، ثم الشواطئ الجنوبية لجزيرة العرب."[50]

وفي العصر الحديث، كانت هناك اتصالات بين الزعيم سعد زغلول ومهاتماغاندي لتشابه مظاهر ومبادئ الحركة الوطنية في كل من البلدين، تتعلق بالحصول على الاستقلال من بريطانيا من جهة، والمحافظة على الوحدة الوطنية بين مختلف طوائف الشعب المصري والشعب الهندي من جهة أخرى. يقول غاندي منوها بحركة سعد زغلول: "على هذا التقدير، يكون سعد هو صاحب الفضل في السبق والابتداء، ثق أن الحركة الهندية سارت على أعقاب الحركة المصرية، إني اقتديت بسعد في إعداد طبقة بعد طبقة من العاملين في القضية الهندية، فلا تعتقل طبقة منهم إلا لحق بها خلفاؤها على الأثر، وعن سعد أخذت توحيد العنصرين، ولكني لم أنجح كما نجح فيه، إن سعدا ليس لكم وحدكم، ولكنه لنا أجمعين".[51]

ومن ناحية أخرى، هناك عدد من أعلام الهند الذين أسهموا في إقامة وتوطيد العلاقات بين الهند ومصر، خصوصا في فترة ما قبل الاستقلال. ويأتي في طليعة هؤلاء الذين برزوا في مجالات شتى، أدبا وفكرا وسياسة إلى جانب تأثيراتهم في الأوساط الثقافية العالمية، الشاعر الهندي رابندرانات طاغور ومهاتما غاندي[52]وجواهر لال نهرو ومحمد إقبال وأبو الكلام آزاد والمؤرخ شبلي النعماني ونحوهم. وقد حظي هؤلاء بزيارة مصر لأسباب وأغراض مختلفة؛ ومنهم من زار

[50] النمر، عبد المنعم. تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. ص 35

[51] الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة. ص: 41

[52] اسمه الكامل:موهانداس كرمشاند غاندي(1869-1948)

مصر وسط طريقه إلى إنجلترا. فقد ذاع صيت طاغور في مصر لأجل قيامه بزيارة مصر عندما كان في ريعان شبابه عام 1878م، ثم زارها بعد ذلك عندما ذاع صيته كشاعر وفيلسوف في عام 1926م، كما التقى بالملك فؤاد، وتحاور مع أدباء في الإسكندرية والقاهرة. وقد ذاع خبر الصداقة التي ربطته بالشاعر المصري أحمد شوقي، وكتب رثاء قويا عندما توفي أحمد شوقي في عام 1932. وكان معجبا بالاتجاهات الأدبية والحركة الفكرية في مصر. كما كتب عن العلاقة الجميلة التي تربط نهر النيل العظيم بالحضارة المصرية. وقد قامت جريدة الأهرام مشكورة بنشر صفحة كاملة عن زيارة قام بها طاغور لمصر (في ديسمبر 1926)، والتقى خلالها ببعض المفكرين المصريين، كأحمد شوقي وطه حسين والشيخ مصطفى عبد الرازق.

كما أن الهند ومصر تربطهما علاقات قديمة تجارية بحرية، ظلت الاتصالات الثقافية عميقة بين البلدين في العصر الحديث، حيث تزايدت التفاعلات الثقافية، وتسنحت الفرص بين المثقفين والفنانين وغيرهم من الشخصيات البارزة في البلدين مع بعضهم البعض. عندما نقلت جثة محمد علي جوهر من لندن، على متن سفينة عبر قناة السويس، قام أحمد شوقي بتأليف قصيدة طويلة نعى فيها وفاته.

وقد شهدت الهند لزيارات المطرب الشهير عبد الحليم حافظ في أواخر الستينات، و الفنان نور الشريف، وزوجته الفنانة بوسي في السبعينات، علاوة على زيارات الصحفي محمد حسنين هيكل وتفاعلاته الطويلة مع طلاب الجامعات في الهند، ومحادثاته في نادي الصحافة في الهند. وكذلك المساهمة العظيمة لعشرات الشخصيات المصرية البارزة، بما في ذلك عائشة عبد

الرحمن بنت الشاطئ، والشاعر صلاح عبد الصبور الذي عقد العديد من الجلسات الأكاديمية لإلقاء الشعر في مختلف أنحاء الهند[53].

[53] ذكر الرحمن. تعميق العلاقات الهندية -المصرية. مركز الاتحاد للأخبار. 5يوليو،2023.

الفصل الثالث
التعريف بكتب الرحلات والرحالة

وفيما يلي ترجمة لبعض من الرحالة المصريين على سبيل النماذج لا الحصر، مع تسليط الضوء على مدوناتهم وكتاباتهم الرحلية من مقالة، كتاب، مؤلف أو مسجل ، في فترة ما قبل الاستقلال منذ طلوع القرن العشرين إلى سنة 1947عام استقلال الهند من الحكم البريطاني، إلى جانب التحليل والوصف بشكل يسير، وإبراز ملامح الثقافة الهندية والأوضاع السياسية والاجتماعة وصور تمظهرها في نصوص الرحلة.

عجالة من رحلة الهند لرشيد رضا

عجالة في رحلة الهند

قام السيد رشيد رضا برحلته إلى الهند عام 1912م تلبية لدعوة وجهت إليه من قبل جمعية ندوة العلماء لترأس احتفالها -اجتماعها العام- في نفس السنة. وكان من جملة دوافع رضا من وراء الرحلة، علاوة على الحضور في الحفل العظيم، الاطلاع على أوضاع وأحوال المسلمين من أهل الهند في كافة المجالات الدينية والعلمية الثقافية، موليا جل اهتماماته على جانب التعليم والدراسات العليا وطرقها المتنوعة. بدأ رحلته من بور سعيد إلى بومباي في إحدى بواخر البريد الإنكليزية بين أوربا والهند مع رفاقه الإنجليزيين، معجبا بمدى عنايتهم بالرياضة البدنية، ومتأثرا بالأخلاق العالية والآداب السامية التي عايشها مع زملائه في السفينة.

دون الكاتب مشاهدات وأحداث رحلته في صورة مقالات بعنوان "عجالة في رحلة الهند"ضمن صفحات"مجلة المنار"مع تصميم العزم على تدوين انطباعاته ومشاهداته في كتاب مستقل. يقول واصفا لأزياء أهل الهند باعتبارها أول ما يشغل نظر السائح ويثير تعجبه: "يرى السائح في بومبي ألوفًا من النساء الوثنيات مكشوفات البطون والسوق والأفخاذ، يجلسن في الشوارع والأسواق، غاديات رائحات، بائعات مبتاعات، ويرى الرجال حتى الأغنياء منهم مشدودي الأوساط بأُزر بيضاء، مرفوعات الأطراف من بين الرجلين، بحيث يرى باطن الفخذ والساق، ويرى كثيرًا من الرجال والولدان عراة الأجسام لا يسترون منها إلا السوءتين فقط، وهم يبيعون أو يشتغلون في الأسواق". [54]

تتميز مدونته بما تتضمن من العادات والتقاليد في الأكل والطعام والملابس، ووسائل العيش والحالات الاقتصادية التي تنعكس ملامحها بشكل الصناعات الوطنية، والمعامل المشيدة على الطريقة الأوربية. يتحدث عن مدى ولوع أهل الهند بورق البان: "وأما تحفة أهل الهند للزائرين التي هي كالقهوة في مصر وسورية والعراق فهي ورق البان (بالباء المفخمة) وهو شجر معروف عندهم، قد ذكره ابن بطوطة في رحلته، يمضغون هذا الورق في مجالسهم وفي الأسواق والشوارع وبعد الطعام، ويضيفون إليه مواد أخرى منها شيء يسمونه (الفوفل) ويحدث من مضغه لون أحمر أو برتقالي، فترى شفاههم وأشداقهم كأنها مخضبة بالحناء أو تحسب أنه يخرج منها الدم، ومنهم من يبقى ظهور هذا اللون في فمه لأيام. ومن الطُّرَف التي سمعتها من علمائهم

[54] محمد رشيد رضا . عجالة من رحلة الهند. مجلة المنار، يونيو 1912م ، ع 6، ص 449 .

في ذلك، وهي من قبيل المثل في مدح الهند :'من دخل هندستان وأكل الأنب والبان نسي الأهل والأوطان".

بصفة كون الرحالة عالما مفكرا مهتما بالتعاليم وأساليب الدراسات، أولى عناية خاصة من خلال تجواله بالتعليم الدنيوي والديني السائد آنذاك، ولذا يسهب في حديثه عن المدارس والمعاهد العلمية وذلك كما في قوله: "وللأهالي مدارس كثيرة أرقاها وأكثرها مدارس المجوس في بمبي والوثنيين في بنغالة ثم في غيرها، ويذهب كثير من الوثنيين إلى مدارس أوروبا ومدارس اليابان العالية فيتممون دروسهم ويتعلمون من العلوم النظرية والعملية ما لا يوجد في شيء من مدارس الهند، ولطائفة السنك من الوثنيين عناية بتعليم دينهم ونشره بالدعوة إليه وتعليمه، وهذه نزعة جديدة لم تعرف عن أحد من وثني الهند من قبل."[55]

ومن الملاحظ أن هذه الرحلة تأتي قيمتها العلمية في كونها ليست مجرد سرد الأحداث والمشاهدات، بل تحتوي على أفكار وملاحظات قيمة بالنسبة إلى سياسة الهند وظروف الجالية المسلمة، كما يظهر ذلك من عزو الكاتب أسباب تأخر المسلمين في مجال التعليم العصري إلى جفوتهم للإنكليز أثناء ذكر مدرسة عليكرة وما كابده السيد أحمد خان من المشاق في بناءها ورفع أعلامها .

وأما التعليم الديني السائد في الهند، فيفصل الكاتب حديثه عن مدى انشداهه باهتمامات علماء الهند بعلم الحديث ونشره، موجها انتقاده على تعصبهم للمذهب الحنفي فيقول: "يعني

[55]المصدر نفسه.

أهل الهند بالمعقولات من المنطق والفلسفة القديمة والأصول، فعنايتهم بها وبالحديث أشد من عناية أهل مصر والشام، بل أقول: إنني لا أعرف أن شعبًا من شعوب المسلمين يُعْنَى بالحديث كعنايتهم، فهذا الأزهر أشهر المدارس الدينية وأكبرها كاد يكون علم الحديث فيه نسيًا منسيًّا ولكن حظ مسلمي الهند من أحاديث الأحكام الفقهية أنهم يتكلفون تطبيقها كلها على مذهبهم في الفروع وإلا حملوا ما يعيبهم تطبيقه على النسخ عملاً بقاعدة الكرخي وأمثاله من فقهاء المذاهب."[56]

سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير للأمير يوسف كمال

الأمير يوسف كمال باشا: أمير، رحالة، جغرافي مصري، من أسرة محمد علي. كان مولعا بالرحلات والصيد والفنون والعلوم. وكان في مقدمة أمراء الأسرة المالكة الذين اشتهروا بالرحلات النائية والصيد، سافر في سبيل ذلك إلى أفريقيا الجنوبية وبعض بلاد الهند وغيرها، وقام باصطياد العديد من الحيوانات المفترسة والأليفة والطيور.[57]

سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير1913-1914

رحلة الأمير يوسف كمال التي سمّاها سياحتي في بلاد الهند الإنكليزية وكشمير ورحلة صيدي بهذه البلاد سنة 1913- 1914، تعد من الرحلات الهامة والغنية بما فيها، وهي رحلته الأولى إلى تلك البلاد. ورحلته الثانية كانت إلى التيبت الغربية وكشمير سنة 1915م، وكلتاهما تمثلان أحداث مغامرته في تلك المناطق القصية من القارة الآسيوية.

[56] عجالة من رحلة الهند . مجلة المنار، أغسطس 1912، ع 8، ص: 619.

[57] الأمير يوسف كمال. سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير 1913-1914،ص:12 ، دار السويدي ، الطبعة الأولى،2003 أبو ظبي.

فهذه الرحلة الأولى شائقة ممتعة كمثيلتها الثانية، قام الأمير بسرد وقائعها يوما بيوم كعادته في تدوين رحلاته، لكنه لم يجعل من كل يوم وتاريخه عنوانا خاصا لسرد وقائعه كما فعل في رحلته الثانية، بل قام بسرد الوقائع والمشاهدات دون تقطيع، مشيراً إلى كل يوم فيها من خلال عرض الأحداث وتتاليها. وهي رحلة حافلة بالإثارة والتشويق، والتصوير الجميل للطبيعة، والآثار والأماكن ومشاهد القنص والصيد و وصف الحيوانات المختلفة وطباعها، وعادات البشر والأقوام الذين شاهدهم، مع عرض ذكي لمفاهيمهم وأنساقهم المعرفية وطقوسهم الغريب منها والمألوف، يسعفه في ذلك عقله التحليلي الناقد.[58]

وفي رسالة له إلى الأمير كمال الدين حسين، يعبر عن انطباعاته : "قد انتهت سياحتي الثانية في البلاد الهندية وكشمير وإقليم التبت الغربي، وهآنذا في وطننا العزيز من زمن، وقد غادرت الأقطار الهندية، ولكنني أشعر بأن كل ما رأت عيناي مطبوع في مخيلتي، ومحفوظ في ذاكرتي، على تلك اللوحة الحافظة التي ما زالت تذكرني بتلك البحار الواسعة التي عبرتها، والبلاد الجميلة التي رأيتها، والجبال الشاهقة التي علوتها، والغدران العديدة التي شربت من مائها، والغابات الكثيفة التي نزلت بها، والحيوانات الوحشية التي طاردتها، وتلك الأمم المختلفة التي عشرتها، وتلك العادات المختلفة التي شاهدتها، ووجدت من بينها ما يشبه ما هو معلوم عندنا ومتبع في بلادنا، وما هو مجهول لنا لعدم وجوده عندنا... لما وصلت إلى أول بلدة من بلاد الهند، وهي مدينة بومباي، واختلطت بأهلها قلت في نفسي: هل أنا في مصر، أو يكفي المرء أن يكون في بلاد شرقية مهما كانت، حتى يرى من التشابه العظيم ما يجعله يظن أنه لم يفارق بلاده؟

[58] الأمير يوسف كمال ،سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير 1913-1914،ص: 13، دار السويدي ، الطبعة الأولى،2003 أبو ظبي.

،ولكنني أدركت في الحال أنا للمؤلفات التي قرأتها في وصف بلاد الهند وأهلها، تأثيرًا أخذ يتغير، خصوصا لما رأت عيناي شرقيي بلاد المشرق، فأردت أن أزيل عن نفسي كل تأثير مما علمته بوساطة غيري وأخذت أرى، وأقيس ما أشاهده بما في بلادي."[59]

بدأ رحلته من بومباي التي وصلها في بحر هائج بعد تسعة أيام مرورًا بعدن. سنح له من خلال الجولة أن ينزل ضيفا عند المهراجات الهنود، ووضع وصفًا دقيقًا لقصورهم وخدمهم.

وهكذا يبدأ :"وصلنا بومباي يوم الثلاثاء الموافق لثلاثين ديسمبر سنة 1913 م بعد أن قضينا تسعة أيام في البحر، وفي أثناء سفرنا هذا لم تَرس بنا السفينة إلا بضع ساعات على مدينة عدن، وكان البحر أولاً هادئاً ثم هاج، واشتدَّ تلاطم الأمواج نوعاً مدة يومين بعد أن توغلنا في المحيط الهندي. ولما وصلنا بومباي، كان سعادة خليل خالد بك القائم بأعمال الدولة العثمانية في انتظارنا، وكنتُ تعرّفت به قبل توظفه بمدينة بومباي، فلما رسا بنا الوابور حضر جنابه على ظهر سفينتنا لمقابلتنا، وبعد برهة من الزمن قصدنا دار الوكالة العثمانية، فمكثنا بها نحو ساعة، ثم توجهنا إلى الفندق حيث تغدينا، وبعد الظهر طفنا المدينة بالسيارة، فشاهدنا أبنية بومباي العظيمة الفاخرة - ومنها فندق تاج محل الذي نزلنا به، وهو ملك لأحد أغنياء اليارسيس على ما يقال، ثم دار الحقانية ومحطة سكة الحديد العمومية، وغيرها من المباني الجميلة، أما شوارع بومباي فمتسعة جداً، وميادينها فسيحة."[60]

[59] الأمير يوسف كمال. سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير، ارتياد الآفاق، الطبعة الأولى، أبو ظبي، 2004.ص: 139

[60] المصدر نفسه:ص21

الهند كما رأيتها لفتح الله أنطاكي

فتح الله أنطاكي صاحب جريدة العمران بمصر، يزور الهند عام 1932م للسياحة والاطلاع، ويقضي فيها ثمانية أشهر كاملة، متنقلا في أهم المدن دارسا أحوال الهنود، وعاد إلى مصر وجعبته مملوءة بالأخبار والمشاهدات. وليس من المستغرب أن يمدح الإنكليز في رحلته ويثني عليهم،فإنهم والأمراء التابعين لهم هم الذين استضافوه وأحسنوا وفادته أثناء رحلته.

برح القاهرة في أول أكتوبر سنة ١٩٣٢م، قاصدا الهند للسياحة والاطلاع عن طريق الشام وبغداد والبصرة وخليج فارس فكراتشي، وقد قطع تلك المسافة الطويلة في أسبوعين، وقضى في الهند ثمانية شهور كاملة. يقول:"وكيف أنسى تلك الرحلة الميمونة، وقد غمرني إخواني الهنود بألطافهم وحسن ضيافتهم من الأمير الجليل الجالس على العرش إلى الخادم الحقير. وكان موضع الإكرام من كبار الموظفين والوجهاء وقناصل الدول من إنجليز وغيرهم من كرام الأوربيين والشرقيين."[61]و قد أشاد بلطف الهنود وحسن ضيافاتهم، في ضوء ما مكنه السفر من التعرف على عدد كبير من نوابغ الهند ومعايشته معهم. وكان يرغب في لقاء غاندي، ولكنه كان مسجونا أيام إقامته في الهند.

يتضمن هذا الكتاب معلومات عن أمراء الإمارات الهندية تحت حكم الهندوسيين والمسلمين، كما يستعرض صور ديانات الهند وزعمائها الدينيين مثل آغاخان زعيم الطائفة الإسماعيلية، وزعيم الفرقة القاديانية وزعيم البهرة، إلى جانب ذكر ثروة الهند و وسائل إعلامها وحكام

[61]الأنطاكي ، فتح الله . الهند كما رأيتها . مطبعة أبو فضل ، مصر 1933 ص: 9

الإمارات وآداب الهنود، وعن التجارة وعاداتهم في الزواج، مع وصف الفارسيين . وقد ذكر أخبار زياراته لزعماء الهند أمثال طاغور والدكتور أنصاري ومولانا طاهر سيف الدين.

ومن اللافت، أن قيمة هذا الكتاب تكمن في ذكر تراجم وأخبار أعلام الهند، ونوابغها من الأمراء والوزراء والزعماء ورجالات الدين والسياسة، إلى جانب تعريفه بأعيان مصر وملوكها الذين قاموا بزيارة الهند. يقول تحت عنوان 'الفلاسفة والشعراء في الهند': "وفي الهند عدد كبير من الفلاسفة والشعراء والأدباء ونوابغ الكتاب، إلا أن أشهرهم الفيلسوف طاغور والسر محمد إقبال شاعر البنجاب، والأول هندوكي والثاني مسلم، وكلاهما تفتخر بهما الهند وتعتز. أما الأول؛ فأشهر من نار على علم، يعد من كبار الفلاسفة ليس في الهند وحدها بل في العالم بأسره، وقد حاز على جائزة نوبل منذ ثلاثة أعوام... وأما الثاني فهو علم من أعلام الفضل وشاعر عظيم، له عدد كبير من المعجبين، وقد قدرت بريطانيا العظمى علمه وفضله وساحريته في شعره، فأنعمت عليه بلقب سر، و داره في لاهور مقصد الشعراء والأدباء والعلماء وكبار الكتاب، وهو محامي نابغ وكاتب قدير ومقامه كشاعر يعادل مقام المرحوم أحمد شوقي بك في مصر، وقد تشرفت بزيارته ثلاث مرات، فأعجبت بذكائه وتواضعه وأدبه الجم."[62]

وكان هدفه المهم من خلال الرحلة، القيام بزيارة الإمارات الهندية المختلفة، مطلعا على أحوال البلاد والشعوب وأنظمة الملوك والقادة، محاورا معهم في شتى القضايا الاجتماعية والثقافية مع تبادل الثقافات ووصل جسر العلاقات الدبلوماسية بين العرب والهند، مما يدفع إلى اعتباره

[62] المصدر نفسه . ص: 27

كصحافي سفير، يعمل لتوطيد دعائم العلاقة بين أمراء الهند وحكام العرب، كما انعكست نماذجه الرائعة من لقاءاته مع نوابغ الهند وأعلامها من رجالات السياسة والثقافة وأصحاب الفكر والفن. تبدو مهمته الهادفة من خلال تعليقه :"رأيت من واجباتي زيارة الإمارات الهندية المستقلة الكبيرة للوقوف على أحوال تلك البلاد، ونظام الحكم فيها، بصفتها جزء لا يتجزء من الإمبراطورية الهندية الواسعة ونظرا للشهرة العظيمة التي حازها في جميع أنحاء العالم المهارجة والأمراء الهنود الذين اشتهروا بالثروة الطائلة والبذخ والإسراف والذين يعيشون معيشة تفوق حد الوصف، ولم نسمع عنها إلا في كتاب 'ألف ليلة وليلة.'"[63]

يرسم انطباعاته عن إمارة حيدر آباد وأميرها، منبهرا بما شاهده وعاينه من تلك الأراضي: "وبعد لقد ابتدأت بزيارة إمارة حيدر آباد الدكن الشهيرة، وهي أعظم الإمارات الهندية المستقلة وتبلغ مساحتها مساحة القطر المصري وعدد سكانها أربعة عشر مليونا من النفوس، وأميرها هو حضرة صاحب العظمة السر عثمان خان نظام حيدر آباد الدكن، بلغ الثامنة والأربعين من عمره السعيد، متوسط القامة جميل النظر ويحكم البلاد بواسطة وزرائه وأعوانه حكما داخليا مطلقا. يعد من أغنى أغنياء الهند وهو مسلم حنفي، متعصب للدين الإسلامي تعصبا عظيما. يساعده في حكم البلاد ستة من الوزراء ورئيس الوزراء هندوكي المذهب اسمه السر كيشن برشاد وبقية الوزراء من المسلمين."[64]

[63] الهند كما رأيتها. ص: 44

[64] المصدر نفسه ص: 45

تمثل رحلته ثروة معرفية ووثيقة تاريخية، تلقي الضوء على العلاقات الهندية المصرية في مطلع القرن العشرين. وقد أورد تفاصيل تلك التبادلات والتواصلات في فصول 'مصر وملكها في نظر المسلمين الهنود'، 'عظماء مصر الذين زاروا الهند'، 'مجاملة الملك فؤاد لأمراء الهند'.

يقول عن حالة المصريين في الهند: "أما عدد المصريين في تلك البلاد فلا يتجاوز الاثني عشر، وقد نجح منهم ثلاثة؛ أحدهم صاحب المكتبة العربية في بومباي، والثاني المصوراتي المصري في لاهور والثالث المنوم المغنطيسي في مدراس، وأما التسعة الباقون فحالهم يرثى لها، ويا حبذا لو تبرعت حكومة بومباي بنفقات عودتهم إلى مصر لأنهم لا يملكون شروى نقير ويعيشون في تلك البلاد عالة على غيرهم من عرب وهنود"[65]. وأخيرا ينهي مقاله بشكل تنبأ إيجابي:"وبالجملة إني على يقين: أن لتلك البلاد الواسعة العظيمة مستقبلا طيبا وستضاهي اليابان يوما ما، بالصناعة والتجارة، وهذا اليوم ليس بالبعيد، وإن غدا لناظره قريب".[66]

رحلاتي في مشارق الأرض ومغاربها لمحمد ثابت

محمد ثابت أحد من الرحالة البارزين ، ومن أغزرهم إنتاجا. اعتاد أن يقوم برحلة كبيرة في صيف كل سنة، يدوِّن فيها مشاهداته في البلاد التي يرتحل إليها. له أكثر من ١٥ كتابا عن رحلاته ،علاوة على كتب مدرسية. ومن مؤلفاته: جولة في ربوع أستراليا، جولة في ربوع الشرق الأدنى، رحلاتي في مشارق الأرض ومغاربها، جولة في ربوع آسيا، العالم العربي كما رأيته، العالم الديمقراطي كما رأيته، الموجز في الجغرافية الإقليمية، جولة في ربوع أفريقية [67]. توفي سنة 1958 م. وقد أفصح

[65] المصدر نفسه
[66] المصدر نفسه.ص:90
[67] الزركلي ، خير الدين . الأعلام ج 6ص 67

عن هدفه النبيل من وراء الرحلات والجولات المتتابعة في شتى أصقاع العالم من قارة إلى أخرى: لقد كان رغبتي الأكيدة يوم بدأت جولاتي في ربوع الدنيا، أن أدرس شعوب العالم وأتدسس إلى الصميم من حياتهم، لأخلص إلى ما يسود بينهم من الأخلاق والعادات، وقد كنت أصدر عقب كل جولة كتابا يضم مشاهداتي عن البلاد التي زرتها.

وصف الرحلة

بدأ جولته من بور سعيد بطريق قناة سويس سنة 1932م عبر الباخرة اليابانية سوامارو، عابرا خليج عدن حتى وصل جزيرة سرنديب ثم مدراس(تشناي حاليا)، وبعد ذلك واصل رحلته، متنقلا في ربوع الهند جنوبا وشمالا من كلكتا ودار جيلنج في سفح الهماليا، بنارس، دلهي، آجرا، ومومباي، بعين رحال يهتم بالجغرافيا والتاريخ وثقافة الشعوب والأمم؛ حتى يكون ذلك دافعا لأبناء وطنه العزيز والعالم العربي بشكل عام، في تطوير حياتهم وتنمية مستوى عيشهم المادي والحضاري. وقد دون مشاهدات ووقائع جولاته كلها مفصلة في عشر مؤلفات.

فبالنسبة إلى رحلة الهند، سجل تفاصيله في كتاب 'جولة في ربوع آسيا بين مصر واليابان'. ثم قدم خلاصة تلك الرحلة في كتاب 'مشارق الأرض ومغاربها' إلى جانب رصد أخبار جولاته في ربوع العالم من قارة إلى أخرى . وبتصفح كتابه 'جولة في ربوع آسيا'، يمكن العثور على منهجه الذي التزمه، حيث قدم أولا نبذة عن تاريخ الهند بشكل موجز، وذلك بتقسيمه إلى ثلاثة عصور: من العصر الهندوسي والإسلامي والإنجليزي. ثم يخوض إلى وصف تفاصيل رحلته عبر الباخرة، مع

ذكر مناظر الطبيعة وجمال الكون والبيئة، وإحساساته داخل السفينة وتجاربه مع رفاقه وأهل كولونبو (سريلنكا).

ولعل من أبرز العناصر التي تزيد الرحلة أكثر روعة وجمالا، ما أولاه الكاتب من العناية الفائقة بالعادات والتقاليد الاجتماعية التي تختلف بالطبع من شعب إلى شعب، كما تظهر ملامحه من خلال وصفه لنظام الزواج المبكر جدا في مدينة مدراس الهندية وآثاره السلبية، بل الخطيرة على نسل الأمة وصحتها: "ومما أثار اهتمامي، الزوجات الصغيرات اللاتي كن يحملن أطفالا نحالا، لا يزيد وزن الواحد على أربعة أرطال أو خمسة، وكنت أخالهن يحملن إخوتهن لا أبناءهن، لكني دهشت لما علمت أن زواج البنت يبدأ من سن الثامنة، فإن أخرت إلى الثانية عشرة، عد بقاؤها عارا لا يمحى، ودل على وجود عيب فيها، ولذلك لم يكن عجيبا ما يبدو من جسمها الضئيل، وبنيتها الضعيفة لصغر سنها، ولأنها من سلالة ضعيفة مثلها، أما الزوج فقد يكون طفلا مثلها، وقد يكون كهلا أنهكت السنون قواه، وفي الحالين هو غير صالح إلا لإنتاج نسل بائس ضعيف، وهم الزوجين أن يخلفوا من الأبناء ما استطاعوا، وبخاصة الذكور، فإن الأم لا تجد لها حديثا أمام أطفالها إلا ما يتعلق بالزواج، فتنشط بذلك الميول الجنسية بين الأطفال، وتفسد أخلاقهم عاجلا، وهذا يخلف أثره السيء في قوى النشء العقلية والجسمية، والزواج المبكر عند الهندوس واجب لأن فيه عصمة من الأمراض، وتعجيلا بالخلف من الذكور،

ذاك الذي يعده الآباء شرف العائلة، وقد نسي القوم الأثر السيء لذلك في إضعاف الذرية، وإنهاك القوى الحيوية" [68].

يختم كتابه بتعليق عن الهند وحياة أهلها البسيطة، التي تبدو فيهاملامح الديانات والمعتقدات الوراثية، مائلة إلى الزهد والتقشف، وقلة الرغبة في الظواهر المادية. وذلك كما ينعكس في رصده: "غادرت الهند، تلك البلاد التي زهد أهلها في الدنيا، رجاء الخير في الآخرة على ما يقولون. بلاد تعددت عقائدها ومعبوداتها، حتى ملأت آفاق الهند معابدهم، مما أذكرتني بعهد أجدادنا الفراعنة، لذلك كانت شعائر الديانات تبدو في حركاتهم جميعا، وعقلاؤهم يمضون وقتهم في التفكير العميق، ويفنون أجسادهم في سبيل تغذية أرواحهم ونفوسهم، فتقتصر أمانيهم على خرقة تستر العورة، وطعامهم لا يتجاوز سد الرمق وغلاتهم يسمون الفقراء، ويقدسهم مواطنوهم لأنهم نبذوا الدنيا، فكنت أرى بعضهم يعذب نفسه، وينام على الشوك أو المسامير، والبعض يخزم ظهره بسنانير تربط في حبال، ويعلق الواحد منهم في الهواء استرضاء للآلهة، والبعض يدفن نفسه حيا، أو يرفع ذراعه إلى السماء حتى تتصلب عضلاته، أو يقف طول حياته وهو يرعش جسده ولا يتكئ على شيء ليخفف من آلامه. تلك لمحة عن الهند وأهلها الذين لا يسع من يراهم إلا أن يعطف عليهم، ويتألم للسعادة الموهومة التي هم فيها."[69]

[68] جولة في ربوع آسيا ص 22

[69] محمد ثابت، رحلاتي في مشارق الأرض ومغاربها. ص 145مؤسسة هنداوي، القاهرة.

رحلة حسين فوزي

حسين فوزي(1900 - 1988): بيولوجي وعالم بحار،المؤرخ الأديب الشهير بسندباد العلوم والمعارف والفنون والآداب. حصل على بكالوريوس الطب، وسافر إلى فرنسا لدراسة علم الحيوان، وحصل على ليسانس العلوم من جامعة السوربون، ومنح جائزة الدولة التقديرية في 1965م. ومن أعماله : سندباد في سيارة، سندباد في رحلة الحياة، الموسيقى السمفونية، حديث السندباد القديم، سندباد مصري، قلوب للبيع، سندباد إلى الغرب.

سندباد عصري جولات في المحيط الهندي

وهذا الكتاب الذي يتألف من 238 صفحة، صدر في عام ١٩٣٨م، يتضمن أخبار وحوادث سفينة صغيرة، سافرت من ميناء الإسكندرية في موسم الصيف إلى المحيط الهندي، لتضرب في طوله وعرضه تسعة أشهر. وكان من نصيب المؤلف أن يركب هذه السفينة طوال رحلتها الهندية، وأن يشترك في مباحثها العلمية ويشرف على صحة ركابها. ولقد كتب في موضع آخر القصة الرسمية لتلك الرحلة، ومقامها من البعثات البحرية التي جابت بحار العالم، تكشف عن أسرارها منذ أواخر القرن الماضي. وكتابه هذا لا علاقة له بتلك القصة الرسمية، بل إنما هو عبارة عن صفحات ضمنها صورا وخطرات، أوحت بها إلى جولاته في أنحاء المحيط الهندي، وحياته على ظهر السفينة دون إدعاء أوحذلقة فنية.[70]

[70] فوزي حسين . سندباد عصري جولات في المحيط الهندي .ص 11 مكتبة لسان العرب، مطبعة الاعتماد .1938

يبدو من تتبع طرق سير السفينة أثناء الرحلة العلمية، صورة أهم المحطات التي توقفت عندها السفينة، منعكسة في الإسكندرية وعدن وكراتشي ، بومباي، مادورا، ماهابلبرم، كولومبو من جزيرة سيلان، جزائر سيشل وجزيرة ماهي. وقد وصف الرحالة المناطق التي يمر بها مع الإشارة إلى عادات أهلها وتقاليدهم، ومتابعة رحلة السفينة في البحر العربي إلى خليج عمان، ثم انحدارها إلى كراتشي ميناء السند، وعودتها تذرع المحيط الهندي غربا وشرقا، وجنوبا وشمالا. وبالنسبة لتجواله في ربوع الهند، فقد قام بزيارة المعابد المشهورة في تامل نادو بجنوب الهند مثل معبد راميشرم وصخرة ماهابلبرم في مادوري إلى جانب زيارته مومباي وأبراج السكون وارتقاء ذروة تل مالابار، مع التعرف على ديانة المجوسية وما يتابعون من الطقوس والمعتقدات.

مشاهدات في الهند لأمينة سعيد

أمينة السعيد: ولدت بالقاهرة، وتعلّمت اللغة الإنجليزية في مدرسة شبرا، ثم التحقت بالجامعة على مشورة والدها، وتخرّجت في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول. عملت في " دارالهلال " وفي مجلة " المصور"، بدأت بباب "اسألوني" الذي لازمها وعرفت به. تردّ على أسئلة القرّاء. ومن أعمالها: "مشاهدات في الهند". "وحي العزلة" و"أوراق الخريف".

مشاهدات في الهند

لم تقم الكاتبة برحلة الهند لمجرد السياحة أو زيارة المناظر والمعالم، بل كان الحافز من وراء الرحلة، الحضور في المؤتمر النسائي الهندي المنعقد بحيدرآباد السند سنة 1945م، فجذبت

أنظارها معالم الهند وآثارها الرائعة وتأثرت بعادات أبنائها وبناتها وما تميزوا به من الآراء والأفكار، فقيدت مشاهداتها وانطباعاتها باسم "مشاهدات في الهند".

بدأت رحلته من القاهرة حتى وصلت مطار كراتشي بعد سفر دام يومين، غادرت كراتشي بعد إقامة ستة أيام إلى حيدراباد السند بطريقة القطار. والكتاب حافل بوصف مفصل عن مدينة كراتشي ودهلي مع الإشارة إلى طبائع البلاد والعباد،ومظاهر الثقافة الهندية من العادات والتقاليد والظروف السياسية، والمشاكل الطائفية العويصة التي عاشتها الهند فترة ما قبل الاستقلال؛ مما أدى إلى تقسيم الهند إلى دولتين، إلى جانب ما سجلت عن تفاصيل المؤتمر وإجراءاته المدهشة، مسلطة الضوء على ظروف ومستويات المرأة الهندية وقتذاك، ومدى ما أحرزته من التطور والرقي مع بيان أسباب تخلف النساء.

تتحدث عن المهمة التي أداها بشكل ملحوظ أثناء المؤتمر:"وانتهزت فرصة الحفلات التي أقيمت لى، والاجتماعات الصحفية المختلفة، فتحدثت خلالها عن فلسطين، وعن حق العرب الشرعي فيها، ودحضت الادعاءات الصهيونية المنتشرة هناك، فكان لأحاديثي أثر واضح، ظهر على صفحات الجرائد في صورة مقالات تلخص أقوالي. وأقبل الناس على قراءة تلك المقالات بشغف، ورحبوا بوجهات النظر العربية، فلم تمض أيام معدودات حتى كان الهنود على تباين عقائدهم يتحدثون عن فلسطين بعطف ظاهر. وكان يوم افتتاح المؤتمر عظيما مجيدا بمشاركة نحو من خمسة آلاف نسمة بين رجال ونساء، تحت رئاسة الشاعرة العالمية المسماة ببلبل الهند المغرد ساروجيني نايدو(Sarojini Naidu)، مع حضور مندوبات من مختلف أنحاء العالم، بما فيها

أمريكا وأوروبا ومصر وفلسطين، تقول عنها الكاتبة: "وقد ألقت الشاعرة المبدعة يوم الافتتاح خطابا مرتجلا باللغة الإنجليزية، هزت به مشاعر الحاضرين وبعثت السرور والتفاؤل في النفوس، فنالت من التحية شيئا كثيرا. وتكاثرت عليها عقود الزهور المجدولة، فوضعتها حول عنقها، حتى كاد جسدها القصير البدين يختفي تحت أكوامها". [71]

ولعل من أبرز ميزات هذه الرحلة، ما عكستها من صورة الهند الاجتماعية التي تعرضت لمشاكل ومعارك طائفية مستمرة بين الهندوس والمسلمين، عانت منها الهند ما قبل فترة الاستقلال؛ مما أدت إلى تقسيم الملك. ولم تفت الكاتبة أن تسجل ما جرى بينها وبين رئيس حزب رابطة المسلمين 'محمد علي جناح' من تفاصيل مقابلة شخصية التي أتاحت لها الفرصة لإبداء رأيها السلبي تجاه قضية التقسيم وتوجيه النقد لجناح في هذا الصدد.

رحلة إلى الهند لعبد الوهاب عزام

عبد الوهاب عزام: ولد عام 1894م. نشأ بقريته وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالأزهر الشريف. ثم توجه إلى مدرسة القضاء الشرعي، وتخرج فيها ثم أصبح مدرسا بها. ثم اتجه إلى الجامعة المصرية، فحصل منها على شهادة الليسانس في الآداب والفلسفة سنة 1923م، وعين مستشارا للشؤون الدينية في السفارة المصرية بلندن، وفي هذه الأثناء التحق بقسم اللغات الشرقية بجامعة لندن، ثم نال درجة الدكتوراه في الآداب الفارسية من جامعة القاهرة. درس

[71] أمينة السعيد، مشاهدات في الهند . دار المعارف للطباعة والنشر، مصر 1946 ص: 60

الفارسية في كلية الآداب، ثم صار عميدا لها، وكان يجيد اللغات الفرنسية والإنكليزية والفارسية والأردية والتركية.

ومن آثاره العلمية: الرحلات في جزأين، وفصول من المثنوي (ترجمها من الفارسية)، ومحمد إقبال: سيرته وفلسفته وشعره، والتصوف وفريد الدين العطار، ومجالس السلطان الغوري، وديوان رسالة المشرق(ترجمة ديوان الشاعر إقبال من الفارسية) وديوان ضرب الكليم (ترجمة ديوان إقبال من الأردية)، وكتاب المثاني (رباعيات فلسفية وأخلاقية)، والمعتمد بن عباد. وله منظومة 'اللمعات' تبلغ ست مائة بيت، أهداها إلى الشاعر محمد إقبال. نشر مقالاته في 18 حلقة بعنوان 'رحلة إلى الهند' في مجلة الرسالة المصرية. توفي بالرياض في اليوم الثامن عشر من يناير سنة 1959م.[72] .

رحلة إلى الهند

بدأ رحلته بالإشارة إلى رغبته الشديدة، وأمنيته المنشودة لزيارة الهند، وأنه كان قد فاتته هذه الفرصة مرتين، إلى أن سنحت له أخيرا مارس عام 1947م، فسجل هذه الرحلة في سلسلة من المقالات، بلغ عددها ثماني عشرة مقالة، ونشرتها مجلة الرسالة المصرية، وذلك كما يتضح من تعليقه عن الرحلة: "كان السفر إلى الهند أمنية تطاول عليها الزمان، وماطلت بها الأيام، كان شوقي إلى الهند يزداد كلما زادت معرفتي بها، والتقائي بأهلها، واطلاعي على لغاتها وآدابها".

[72]الزركلي، خير الدين. الأعلام ، ط 15، ج 4 بيروت:دار العلم للملايين، 2002ص 186

قام برحلته تلبية لدعوة وجّهها إليه المعهد الهندي للشؤون العالمية، للمشاركة في مؤتمر للعلاقات الآسيوية، فأجابت الدعوة أمم آسيا، ودعيت مصر لأنها إحدى الأمم العربية فهي آسيوية، وإن كانت إفريقية في جغرافيتها. وكان موعد ذلك المؤتمر الثالث والعشرين من شهر مارس عام 1947م، واستمر المؤتمر لعشرة أيام[73] تحت رئاسة السيدة ساروجني نايدو، ومدح نظام المؤتمر بأنه كان محكما كما ذكر محاور المؤتمر[74].

وأشار عزام إلى أهداف ذلك المؤتمر، بأن القائمين عليه -على حد تعبيره- أرادوا بعقده، تعظيم شأن الهند، وإبراز مكانتها في آسيا في طور الانتقال والاستقلال الذي كانت تمر به الهند وقتذاك، كما أنهم -حسب رأيه- أرادوا به إظهار الهند مظهر الأمة المجتمعة الكلمة، الموحدة المقصد أمام الحكومة الإنكليزية المسيطرة، فأرادوا به إخفاء الاضطراب والتوتر الذي كان قد نشب في الهند آنذاك بين الطائفتين من أبنائها .

بدأ عزام مذكرات رحلته بوصف سفره بالطائرة من القاهرة إلى دلهي، وأشار فيه إلى الانزعاج الذي أصابه بسبب تأخر موعد الرحلة في القاهرة أولا، ثم بسبب اضطراب الطائرة وارتجاجها عند الهبوط في مطار دلهي. كما وصف المناظر التي شاهدها من الطائرة من سهول وجبال وأودية وأنهار ومدن وأرياف[75]. قام بزيارة الهند وهي تخطو نحو الاستقلال والتحرر من بريطانيا، ولذا حفلت رحلته بأخبار وأحداث سياسية ساخنة التي عاشتها الهند في فترة ما قبل الاستقلال

[73] عزام،محمد عبد الوهاب . رحلة إلى الهند، الحلقة 2،مجلة الرسالة 7يوليو 1947م، ع:731ص:752

[74] المصدر نفسه. ع: 731ص:752-753

[75] د.ثمامة فيصل، الهند كما صورها عبد الوهاب عزام في رحلته . الجيل الجديد، ع/6-ج/3 يناير -يونيو 2020

من قضية تقسيم الهند إلى دولتين، وما نتجت عنها من الصراعات والفوضى؛ الأمر الذي دفعه إلى الالتقاء بزعماء الطرفين والاستماع إلى مواقفهما وآرائهما أثناء إقامته في الهند.

كما أنه لم يقصر في وصف مدن الهند وآثارها التاريخية، ركز على زيارة أضرح الملوك والقادة وأعلام الهند من الصوفية ورجال الفن والأدب، أمثال الإمبراطور همايون، نظام الدين، وتلميذه الشاعر أمير خسرو، والشاعر ميرزا أسد الله غالب. بعد زيارته لمدينتي دلهي وآكرا، صمم عزيمته لزيارة مدينة لاهور لكونها مدينة الشاعر محمد إقبال، فكان عزام محبا لإقبال، شغوفا بشعره، متأثرا بفكره ومعجبًا برسالته. فلم يستطع رفض دعوة أهالي لاهور لزيارتها، فقال: ولم أجز لنفسي قط أن آتي إلى الهند، وأرجع دون أن أزور قبر إقبال وداره في لاهور، فزار ضريح الشاعر الفيلسوف وأهدى إليه هدية من الشعر، فنظم أبياتًا، وكلف نقاشا أن ينقشها على لوح من الرخام. ووصف زيارته لدار إقبال حيث التقى بابنه جاويد إقبال، و وصف الحجرة التي كان يكتب فيها إقبال أشعاره ومقالاته، وفيها فاضت روحه. وقد حظي بلقاء الزعيم الهندي 'مهاتما غاندي' أثناء المؤتمر وفي معبده، حيث تناقش معه موضوعات هامة بما فيها اللغة العربية.

الباب الثالث

الرحلات المصرية إلى الهند منذ عام 1947

الفصل الأول : أهداف الرحلة وعوامل ازديادها بعد 1947

الفصل الثاني : وصف كتب الرحلات وتحليلها مع ترجمة الرحالة

الفصل الثالث : الصورولوجيا وتمثلات الأنا والآخر

الفصل الرابع : تأثير الرحلات في الأدب العربي

الباب الثالث

الرحلات المصرية إلى الهند منذ 1947

ما زالت الرحلات تتوالى من مصر إلى الهند، منذ فترة ما بعد الاستقلال لأسباب وظروف مختلفة؛ مما جذبت الرحالة المصريين إلى أرجاء الهند، منها ما هو سياسي، حضاري، اقتصادي، صحفي، علمي وأكادمي ونحوه. ولربط التشابه الثقافي والسياسي بين البلدين من جهة التزامن في الكفاح لأجل الاستقلال من الاستعمار البريطاني، ونجاح ثورة 23 يوليو[76] في مصر وهدوء العنف الطائفي الذي اندلع عقب التقسيم، شهدت الهند عددا من رحلات المصريين الساسة. وقد ساعدت حركة عدم الانحياز لتوطيد العلاقات بين البلدين في جوانب شتى؛ مما جمع نهرو وجمال في رصيف واحد، كما فتحت الأغراض الإعلامية والصحفية الأبواب أمام الرحالة، علاوة على ما لعبت العولمة من الدور الهام في الانفتاح على الدول والشعوب والتبادلات التجارية والاقتصادية.

والفصول الآتية تبحث عن أسباب كثرة الرحلات بعد 1947م،والأهداف الباعثة من وراءها مع تسليط الضوء على كتب الرحلات وأصحابها، وتحليل محتوياتها بشكل موجز، إلى جانب تناول مفهوم الصورولوجيا وتمثلات الأنا والآخر، وتأثير تلك الرحلات في الأدب العربي والمصري.

[76] هي حركة قام بها ضباط شباب في الجيش المصري أسموا تنظيمهم باسم «الضباط الأحرار» للإطاحة بالملك فاروق، ومن ثم العهد الملكي، وقاموا بها يوم 23 يوليو سنة 1952، وقد أطلق على الثورة في البداية «حركة الجيش»، ثم اشتهرت فيما بعد باسم ثورة 23 يوليو وأسفرت تلك الحركة عن طرد الملك فاروق وإنهاء الحكم الملكي وإعلان الجمهورية.

الفصل الأول

أهداف الرحلة وعوامل ازديادها بعد 1947

وما زالت العلاقات بين البلدين تتطور وتتوطد شيئا فشيئا منذ مطلع القرن العشرين في مختلف الأصعدة من السياسة والثقافة والاقتصاد والكفاح من أجل تحقيق الأهداف المشتركة، ونيل الحرية والاستقلال من براثن الاستعمار الإنجليزي. وساعدت تلك الجهود التبادلات الثقافية والزيارات المتوالية بين أعلام الهند ومصر من رجالات السياسة والفكر والأدب من أمثال طاغور وأحمد شوقي وغاندي، السيد رشيد رضا، أبو الكلام آزاد ونهرو وغيرهم.

أسباب كثرة الرحلات بعد 1947

والمتتبع لمسيرة الرحلات المصرية إلى الهند في العصر الحديث، يجد أن فترة ما بعد الاستقلال، قد شهدت نسبيا كثرة الرحلات، بعدما استقرت الأوضاع والظروف السياسية وقامت السفارة المصرية في الهند، إلى جانب إنشاء المجلس الهندي للعلاقات الثقافية والمحاولات التكاتفية بين نهرو وجمال عبد الناصر لريادة حركة عدم الانحياز، علاوة على البرامج والأعمال الثقافية العلمية من صدور المجلات والدوريات والحضور في الندوات والمؤتمرات بمناسبات شتى.

ثمة عوامل وأسباب دفعت إلى توفر وتنوع الرحلات والجولات بعد الاستقلال، ولعل من أبرزها ما يأتي:

- قيام المجلس الهندي للعلاقات الثقافية.
- تكاتف نهرو مع جمال عبد الناصر في حركة عدم الانحياز.
- إصدار صوت الشرق ومجلة الثقافة.
- مركز مولانا آزاد الثقافي الهندي.
- رحلات العلماء الهنود إلى مصر.
- عقد الندوات العلمية والمؤتمرات السياسية والمهرجانات الثقافية
- المهام الصحفية والإعلامية

أولا: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية(Indian Council For Cultural Relations)

هي منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية، أنشئت عام 1950م لتطوير وتنمية العلاقات الثقافية، والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الأخرى. تأسست على يد الزعيم الهندي وزير المعارف الأول مولانا أبو الكلام آزاد. كان له عناية ملحوظة بالثقافة العربية وبحضارة مصر بوجه خاص، حيث بدأ علاقته مع العالم العربي باكراً حين زار مصر عام 1908م، والتقى هناك عدداً من الشخصيات الفكرية والدينية مثل رشيد رضا، وظلّ على تواصل معهم بعد عودته إلى الهند، كما حظي بزيارة عدد من البلدان العربية والإسلامية. أنشأ المجلس الهندي للعلاقات الثقافية عام 1950. يهدف إلى إقامة صلات مع البلدان، تقودها حركات تحرر وطنية. تتمثل أهدافها في المشاركة بنشاط في صياغة وتنفيذ السياسات والبرامج المتعلقة بالعلاقات الثقافية الخارجية للهند، وتقوية العلاقات الثقافية والتفاهم المتبادل بين

الهند والدول الأخرى. ومن فعاليات المجلس نشر عدة مجلات في لغات شتى وفي العربية 'مجلة ثقافة الهند'.

ثانيا: مركز مولانا آزاد الثقافي الهندي (Maulana Azad Centre for Indian Culture)

تم توقيع أول اتفاقية ثقافية بين الهندومصر عام 1958م، والتي نصت على إنشاء مراكز ثقافية في أراضي كل منهما. مع إنشاء مركز مولانا آزاد للثقافة الهندية(MACIC) كجناح ثقافي تابع لسفارة الهند في القاهرة، شهدت روح هذا التبادل الثقافي تجسيدًا مؤسسيًا.

تم النظر في جانبين مهمين لافتتاح المركز الثقافي الهندي في مصر: أهمية القاهرة الكبرى كمركز فكري وثقافي للعالم العربي وأفريقيا، الثاني: تاريخ طويل وغني للتبادل الثقافي بين الحضارتين. تم افتتاح MACIC في 14 يناير 1992م، وتم تسميته على اسم مولانا أبو الكلام آزاد (1888-1958)، الذي كان أول وزير للتعليم في الهند والرئيس المؤسس للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية. تنظم MACIC برامج ودورات أكاديمية منتظمة في أشكال الرقص الهندية والأردية والهندية، وتنظم ندوات أكاديمية وعروض أفلام ومعارض ومهرجانات ثقافية من وقت لآخر.

ثالثا: رحلات العلماء الهنود إلى مصر

وقد أدت الرحلات العلمية للعلماء والأعلام الهنود إلى مصر دورا بارزا في تعريف الهند لديهم، و جذب المصريين إلى الهند وبصفة خاصة في الخمسينات وبعدها. وذلك لما ارتحل العلماء إلى مصر لأجل مواصلة الدراسات العليا في جامعة الأزهر والقاهرة، وأقاموا هناك سنوات في الدراسة والنشاطات الأدبية والدعوية، مركزين في مجال الكتابة والتأليف، سنحت الظروف

لانتشار الثقافة الهندية وآدابها وفنونها وأعلامها عبر الساحة العربية والمصرية، الأمر الذي حثهم على شد الرحال إلى بلاد الهند للاستطلاع والتعرف على العجائب والغرائب والموروث الديني والعلمي. وهؤلاء العلماء الذين توجهوا إلى الأزهر والقاهرة لممارسة الدراسات العليا، كانوا يكتبون بشكل مستمر في المجلات المصرية والعربية مثل'صوت الشرق' وصوت الهند ومجلة البعوث ومجلة 'ثقافة الهند' ونحوها، علاوة على مؤلفاتهم الضخمة عن الهند والحركات العلمية فيها.

ويأتي في عداد هؤلاء،الداعية الكبير أبو الحسن علي الندوي،الدكتور محيي الدين آلواي ،السيد عبد الرحمن العيدروس، أبو الصباح أحمد المولوي، د. بشير محيي الدين، والسيد محمد علي الشهاب ونحوهم من الطلاب الوافدين من الهند. وللأستاذ آلواي دور ملحوظ في تعريف ثقافة الهند وفنونها عبر مصر والوطن العربي، مما يمكن عده رائدا و سفيراً ثقافيا بين الهند ومصر، عمل كجسر التواصل الحضاري. التحق بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر سنة 1950م، وحصل على شهادة العالمية بالرتبة العليا، وكان طالبا مجدا مثابرا شغوفا بالعلم والأدب، يمارس النشاطات العلمية والأدبية دوما، كتابة ومحاضرة ولقاء مع الأعلام والكبار. وبينما كان طالبا في الأزهر عمل رئيسا لمجلة 'البعوث' التي كانت لسان الطلبة الأجانب هناك، وكتب مقالات وبحوثا عدة، تعرف بالهند في الأوساط المصرية،حيث ظهرت كتاباته في مجلة 'العالم العربي' عن الصلات الثقافية والاقتصادية بين العرب والهند، وعن كفاح الشعب الهندي لنيل الاستقلال، كما نشر مقالات ودراسات في مجلة الوسيلة عن 'المسلمون في الهند الحاضرة' و'ميزات مسلمي الهند'، وفي مجلة 'صوت الشرق' بشكل عام، وبكثرة متزايدة عن

موضوعات شتى ذات صلة بالهند وقادتها وزعمائها، إلى جانب ما كتب في مجلة جامعة الأزهر الإنجليزية.

ومن اللافت، أن رحلة الداعية أبي الحسن الندوي إلى مصر عام 1951م، وقيامه بإلقاء المحاضرات والدروس واللقاءات مع كبار الكتاب المصريين، قد ساهمت دورا ملموسا في جذب المصريين إلى الهند، للتعرف على الجهود والحركات الدعوية والمدارس العلمية مثل 'دار العلوم' و'ندوة العلماء' التي تديرها الجاليات المسلمة، والاطلاع على التراث الإسلامي في شتى أرجاء الهند. أمضى الشيخ الندوي في القاهرة ستة أشهر، وكان هدف الرحلة يتلخص في عقد اللقاءات والاجتماعات وإلقاء الخطب والمحاضرات، وعقد الصلات والعلاقات بمختلف الأوساط، والتعريف بالهند والدعوة الإسلامية، وقد سجل المؤلف كل هذا بالتفصيل في كتابه 'مذكرات سائح في الشرق العربي'.[77]

وألقى سلسلة من الأحاديث والمحاضرات في مختلف النوادي والجمعيات، التي تعرف فيها على شباب مصر والأوساط القديمة والجديدة، واسترعى انتباههم، والتقى فيها كبار العلماء ومشايخ الأزهر و القادة والزعماء والدعاة والمفكرين الإسلاميين من أمثال سيد قطب و محب الدين الخطيب، وأحمد الشرباصي و محمد الغزالي، وسعيد رمضان و صالح العشماوي، ومن الأدباء: أحمد أمين، محمود محمد شاكر، عباس محمود العقاد، و أحمد حسن الزيات."[78]

[77] الشيخ أبو الحسن الندوي بحوث ودراسات، الرياض. مكتبة العبيكان 2005

[78] الشيخ الندوي كما عرفته . القرضاوي ص: 51

و"في الرحلة نفسها نُشرت رسالته بعنوان:'اسمعي يا مصر'، علّق عليها سيد قطب قائلاً: قرأت (اسمعي يا مصر) ويا ليت مصر قد سمعت!."[79] وكل هذه الجهود والفعاليات التي قام بها الأستاذ الندوي، مهدت السبل لذيوع صيت الهند ومعالم ثقافتها الإسلامية والعربية لدى الأعلام والعلماء المصريين حتى شدوا الرحال للتعرف والاستطلاع على تلك الآثار والموروثات التاريخية.

ومن العلماء الأزهريين البارزين بكيرالا: السيد عبد الرحمن العيدروس، لعب دورا حيويا في نشر الثقافة الهندية، وتاريخ مليبار وعلمائها الأفاضل لدى مصر والوطن العربي، طيلة خمس سنوات، قضاها دارسا وباحثا في جامعة الأزهر الشريف، وكلية الآداب بجامعة القاهرة، كما أفصح عن تفاصيل ذلك في مقدمة كتابه 'العرب والعربية'[80]. ويأتي ههنا اسم السيد محمد علي الشهاب، ارتحل إلى مصر سنة 1958م والتحق بجامعة الأزهر، ثم واصل الماجستير في الأدب العربي بجامعة القاهرة، وبعد ثمان سنوات من الدراسة المصرية، غادر إلى كيرالا سنة 1966.أثناء دراسته كان حريصا على الحضور في صالون الأدباء والكتاب الكبار والتفاعل معهم. وبالجملة يمكن القول: بأن الطلاب الوافدين الى مصر، ساهموا بجهودهم المبدعة والفعاليات الأكاديمية، والكتابات المستمرة في الدوريات في جلب المصريين إلى الهند بشكل متزايد في فترة ما بعد الاستقلال.

[79] الشيخ الندوي كما عرفته. ص 51

[80] السيد عبد الرحمن العيدروس، العرب والعربية ص: 28، ط2

رابعا: مجلة ثقافة الهند

بعد ما استقلت الهند عام 1947م، وشكلت أول حكومة بها، وعين أبوالكلام آزاد وزيرا للمعارف، قام بتأسيس'المجلس الهندي للروابط الثقافية' بدلهي لكي تتبادل الهند من خلال العلاقات الثقافية والفكرية مع دول العالم خاصة مع مصر وتركيا وبقية البلدان الإسلامية في ٢١ أغسطس عام ١٩٤٩م . رأس آزاد هذه الإدارة واهتمت بإصدار مجلة عربية باسم (ثقافة الهند) سنة 1950م، وصدر عددها الأول فى مارس عام 1950م.

تهتم 'ثقافة الهند' بحضارة الهند قديمة كانت أو حديثة كما تولي الاهتمام بالثقافة التي تمثلها الهند قديماً وحديثاً. وقدأدت المجلة دورا كبيرا في تثقيف الشعوب العربية والبلدان الأخرى بآثار الهند القديمة وفلسفتها ولغاتها وآدابها المتعددة ونفيس كتبها. كما أنها خير وسيلة لاطلاع العرب على الاتصال الوطيد الذي كان بين الهند والبلدان العربية في الزمن القديم. وهكذا تمهد هذه المجلة الطريق لتطوير العلاقات الثقافية، وبالتالي علاقات الصداقة بين الهند والبلدان العربية الأخرى. توقف صدور المجلة عام 2017م.[81]

خامسا: مجلة صوت الهند (صوت الشرق)

مجلة مصورة شهرية حكومية، صدر عددها الأول فى أكتوبر عام 1952م ،من مركز استعلامات سفارة الهند بالقاهرة. تركز المجلة اهتمامها البالغ على توطيد العلاقات السياسية والاجتماعية بين الهند و مصر بوجه خاص، والبلاد العربية بوجه عام. كما أنها تعرّف العرب بنشاطات الهند

[81] دليل الجرائد والمجلات العربية في الهند. تحرير: محمد أيوب تاج الدين الندوي. ص: 102

الأدبية، والفنون الجميلة، والتجارة والاقتصاد. وأكثر مقالاتها منقولة من الإنكليزية والهندية والأردية. وهى تعلّم أبناء العرب اللغة الهندية، كما تنبئهم عن الأماكن السياحية والأكلات الهندية والمخترعات الحديثة من قبل الهنود. وقد أسهم في إثراء المجلة بمواد قيمة ومحتويات ثقافية، رجال الفن والأدب المبدعون من أمثال نجيب محفوظ ،أحمد حسن الزيات، د. بطرس غالي، د.عصمت عبد الحميد، إلى جانب ما قدمه الأستاذ محيي الدين آلوائي من الجهود والأنشطة بشكل كاتب مبدع، وجسر تواصل ثقافي بين البلدين سيما في عام 1970م حين عين رئيسا لهيئة تحرير المجلة الصادرة عن سفارة الهند[82].

استمرت المجلة في مسيرة صدورها بانتظام لمدة 55 عاما. "فقد صدرت في البداية باسم (صوت الشرق) في الفترة التي شهدت تنامي العلاقات بين مصر والهند من خلال الرئيسين جمال عبد الناصر والزعيم نهرو، إلى جانب شراكة البلدين في تأسيس رابطة دول عدم الانحياز. والعدد الأول الصادر بعنوان 'صوت الشرق'، يضم كتابات توفيق الحكيم والعقاد وأحمد جودة، وغيرهم من كبار الكتاب."[83]

سادسا: الجهود المشتركة بين السيد نهرو والرئيس جمال في حركة عدم الانحياز

ومما وطدت العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الهند ومصر، الخطوات الجادة والفعاليات المتكاتفة بين نهرو وجمال، بصدد جمع عدة بلاد تحت رصيف حركة عدم الانحياز . الأمر الذي أتاح الفرصة لأعلام السياسة والصحافة لجولات، وتنقلات متوالية بين البلدين مرة في دهلي،

[82] المصدر نفسه.ص: 149

[83] https://aawsat.com/home/article/981776/ الشرق الأوسط .يوليو 2017

وأخرى في القاهرة من المحادثات واللقاءات في فترة ظروف الاستعداد لمؤتمر باندونغ في إندونيسيا.

ومن أبرز العناصر التي دفعت المصريين إلى الهند بعد1947م، تكثر و تضخم كمية الندوات والمؤتمرات في شتى المجالات، ولا سيما بعد استقرار الوضع، وهدوء الحالات وخمود الثورات والاحتجاجات، وجهت البلاد جل عناياتها نحو الارتقاء والنهوض بالشعوب. وهذا الدافع هو الذي أوصل حسين هيكل إلى الوطن، لأجل المشاركة في مؤتمر غاندي، كما هو الحال في غرض رحلة القاص يوسف إدريس، سعد القرش، محمد الجوادي وأمثالهم. وقد أدت المهام الصحفية دورا ملحوظا في توجيه الإعلاميين من مصر مثل حسنين هيكل وأنيس منصور ومحمد المخزنجي، أشرف أبو اليزيد، مهدي المبارك، إضافة إلى الأعمال الدبلوماسية، كما هو الملموس من كتابات إيهاب الشريف والشاعر صلاح عبد الصبور.

أهداف الرحلات

الدوافع والأغراض من وراء الرحلة، تختلف من شخص إلى آخر، ومن قوم لقوم، ومن عهد لعهد،حسب الميول والبواعث التي تبعث الرحالة للقيام بمهامهم المختلفة، كاختلاف الاهتمامات والانطباعات. وهذا يتطلب تقسيم الرحلات بحسب الدوافع والأهداف التي من أجل تحقيقها يسعى أصحاب الرحلة، مع مراعاة تعدد الأهداف والأغراض والميول لرحلة واحدة.

ولعل من أهم تلك الأهداف والبواعث ما يأتي:

- أهداف علمية أو تعليمية
- أهداف إعلامية وصحفية
- أهداف سياسية أو دبلوماسية
- أهداف سياحية وثقافية
- أهداف علاجية واستشفائية ودوافع أخرى...

أولا: رحلات علمية

هي تلك الرحلات التي يقوم بها صاحبها بغرض تحصيل العلم، وتكميل الدراسات العليا، والاستفادة من أصحاب التخصص، وللحصول على شهادات الدورات التدريبية ونيل الدبلوم من منطقة أخرى من أرجاء العالم. وقد يكون الباعث أداء مهمة التعليم والفعاليات الدعوية وإفادة العلوم والمعارف، أو إلقاء المحاضرات في المدارس والجامعات. ومن قبيل ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية والبعثات الاستكشافية الاستطلاعية. يندرج تحت هذا رحلة حسين فوزي، الذي خرج مع بعثة بحرية تسعى لإجراء دراسة بحرية في المحيط الهندي. كما يأتي رحلة عبد المنعم النمر في عداد الرحلة الدعوية حيث عين من قبل دولته وأقام في الهند عامين، محاضرا ومدرسا في المدارس الدينية. وقد قام الشيخ صبري المصري بالتدريس لسنتين 1997- 98 في جامعة دار الهدى الإسلامية بكيرالا، مبعوثا من قبل دولته.

ثانيا: رحلات سياسية ودبلوماسية

تأتي في هذا الإطار المدونات التي يغلب فيها الطابع السياسي، وتهتم بالجوانب السياسية من الساسة ورجال الحكومة والإدارة وسياسة البلاد الداخلية والشؤون الخارجية والعلاقات مع الدول الأخرى. ويتمركز جل عنايات الرحالة بلقاء رجال السياسة ومقابلتهم والحوار معهم. يدخل في تلك الدائرة الوفود والسفارات التي يبعث بها الحكام إلى حكام الدول الأخرى لتوطيد العلاقات، ولتبادل الرأي والتشاور في القضايا ذات الأهمية السياسية والدبلوماسية .

فبالنسبة للرحلات المصرية، يمكن عد رحلة حسنين هيكل من هذا القبيل، باعتبار تركيز اهتماماته على سياسة جواهر لال نهرو والسيدة إندرا وجمال عبد الناصر. ومن الرحلة الدبلوماسية ما قام به الأديب السفير إيهاب الشريف، جعل سنوات سفارته في الهند فرصة لاكتشاف الهند وارتياد آفاقها الثقافية والتاريخية،فأخرج كتابا موسوعيا ب(الهند..أسرار ومفاتيح) في 497 صفحة بعدسته وقلمه.

ثالثا: دو افع سياحية

تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته، وحب التنقل والتجول وتغيير الأجواء، ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، واستكشاف عوالم جديدة، والتلذذ بالمناظر الطبيعية الخلابة بشكل مغامرة، وقد تكون لمعرفة المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات وغيرها. يأتي في هذا الطراز رحلة الأمير يوسف كمال إلى الهند عام 1915م، تحمل عنوان (سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير)، رغم كونه أميرا، كان الباعث وراء السير، الصيد والتنزه والسياحة في

ربوع الهند والتمتع بالمناظر والمشاهد، إضافة إلى اهتمامه بجغرافية البلاد وشغفه بالجانب الطبيعي.

رابعا: رحلات ثقافية وأكادمية

الجولات التي دفع أصحابها غرض أكادمي أو ثقافي، مثل المشاركة في المؤتمرات والندوات والمهرجانات الثقافية والحضارية والمعارض والبرامج العلمية. هناك مجموعة من الرحلات المصرية، توجه أصحابها إلى الهند تلبية لدعوات وجهت إليهم من قبل هيئات ومنظمات أكادمية وكليات وجامعات هندية، بمناسبة عقد ندوات ومؤتمرات ومهرجانات ثقافية. كما هو الملحوظ في رحلة سعد القرش الذي قصد الهند لأجل مشاركة في مهرجان السينما، ورحلة حسين هيكل بمناسبة مؤتمر عن غاندي وحياته، ورحلة يوسف إدريس بمناسبة مؤتمر الكتاب الآفرو آسيوي. وكان غرض الجوادي من زيارة الهند، المشاركة في مؤتمر بكاراد، كما توجه البدوي للمشاركة في المؤتمر الدولي للمستشرقين، المنعقد بعاصمة الهند عام 1964م في قصر قيجان بهافان، كما هو شأن الخفاجي حيث شارك في مؤتمر الأدب العربي المنعقد بكلية أم،إي ،ايس، ورصد تفاصيل المؤتمر ومشاهداته بشكل مقال. ومن خير مثال للرحلة الثقافية، ما قدمت السعدواي من الجوانب العلمية والثقافية للهند من الآداب والفنون والفلسفة وقضايا النساء والمهمشين .

خامسا: رحلات إعلامية وصحفية

وقد جذبت بلاد الهند كثيرا من الإعلاميين من شتى أنحاء العالم، وبشكل خاص من العالم العرب لكونها من أكبر الدول الديموقراطية، تستلفت أنظار السياسيين والمراقبين، ولأن العالم أجمع، يتابع تفاصيل الأحداث والوقائع التي تشهدها الساحة الهندية. والهند لا تزال تظل محط أنظار العالم بتنوع ثقافاتها واختلاف دياناتها وتعدد ألسنتها، ومن هنا يعمد رجال الصحافة والإعلام إلى الهند للاطلاع على الطقوس والتقاليد المستغربة، وتغطية الأحداث وإجراء اللقاءات والمقابلات مع أعلام الهند وتصوير أشكال متلونة أمام العالم والقراء العرب.

ولأجل تحقيق المهام الصحفية، قام كل من حسنين هيكل ومهدي مبارك وأنيس منصورو سامية علي بزيارة الهند، حتى ظفروا بتعكيس صور الهند ثقافة وحضارة، أمام العالم. ومن أبرز تلك الرحلات الصحفية الاستطلاعية رحلات أشرف أبو اليزيد وزملاءه في مجلة العربي، منذ تأسيسها في 1958، حيث شكلت رافدا معاصرا للتعريف بالهند الجديدة والمتطورة بالحرف والصورة. كما يتضح ذلك جليا من "نهر على سفر" لأشرف و"جنوبا و شرقا رحلات ورؤى" للمخزنجي .

أغراض ودو افع أخرى:

وليست الأغراض منحصرة فيما تقدم، بل هناك رحالة، يكون لهم هدف أو غرض شخصي أو ذاتي مثل الاكتساب والتجارة ومجرد زيارة الأشخاص من أقارب وأصدقاء، كما هو الملحوظ من

رحلة السعدواي حيث نزلت ضيفة على زوجها العامل في الهند. ربما يكون الهدف مجرد الاطلاع والمعرفة والسياحة والمتعة والمغامرة مثل رحلة أنطاكي ومحمد ثابت.

الفصل الثاني
وصف كتب الرحلات وتحليلها مع ترجمة الرحالة

لقد كان لتلك الأسباب والعوامل التي سبق ذكرها، أثرها الواضح في قدوم كثير من الرحالة المصريّين إلى بلاد الهند، سيما في العقود المتتالية لحصول الاستقلال، وبعد تحسّن الأحوال والظّروف، وتوطّد دعائم الأمن والاستقرار بعد الخمسينات، تزامنا مع الفترة الحاسمة في تاريخ مصر السياسي حيث شهدت مصر لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وواقعة إجلاء آخر جنديّ بريطانيّ عن مصر في ١٨ يونيو ١٩٥٦م، وتولّى جمال عبد الناصر السلطة رئيسا للجمهورية في ٢٥ يونيو ١٩٥٦م.

وقائمة الرحّالة طويلة متنوعة، تشمل العلماء والقادة والساسة والأدباء والإعلاميّين والمفكرين والدبلوماسيّين وغيرهم من أعلام الفنّ والأدب. ولذا يستعرض هنا ترجمة موجزة لأولئك الرحّالة، تحتوي على حياتهم ومكانتهم العلميّة وأعمالهم، مع التعريف برحلاتهم وتحليل محتويات النصوص، مع الإشارة إلى الجوانب والموضوعات المطروحة في ضمن النصوص ومميزات الرحلة من حيث المغزى والشكل والقيمة الفنّيّة. وكيف تجلّت الهند وثقافتها في الرّحلة، إضافة إلى ملاحظات وانطباعات الكتّاب وتعليقاتهم تجاه الأحداث والمشاهدات.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك عددامن الرحلات المصرية، سجلت في شكل كتاب مستقل أو في حلقات من المقالات أو مقالة واحدة أو ضمن مجموعة الرّحلات أو ضمن مذكرة أو سيرة ذاتيّة أو ترجمة أو دراسة عن الهند. وقد اكتفى الباحث هنا بما توصّل إليه حسب الإمكان من

نصوص الرّحلات المدوّنة من خلال البحث والتفحّص في كتب الرّحلات وتتبّع الدّوريات والمجلّات. وثمة رحلات مصرية أخرى لم يطلع عليها، يمكن ظهورها للاحقين، أو وقف عليها بل لم يتناولها بالتحليل والوصف المسهب مثل كتاب 'في بلاد البقرة المقدسة' لأحمد عبد المنصف محمود و أخبار رحلة الشيخ يوسف القرضاوي بل يكتفي بمجرد الذكر.

وقد حظي القرضاوي برحلات متعددة إلى بلاد الهند في مناسبات مختلفة. وقد زار مرة تلبية لدعوة الشيخ أبي الحسن علي الندوي بمناسبة الاحتفال بمرور خمسة وثمانين عاما على تأسيس ندوة العلماء، وأخرى للمشاركة في مؤتمر 'المستشرقون و الاسلام'. وكانت له رحلة إلى بلاد الهند لإلقاء محاضرات على طلاب دار العلوم في فترات مختلفة، سجل أخبار تلك الرحلات والجولات في كتابه"الشيخ أبو الحسن علي الندوي كما عرفته".[84]يقول تحت عنوان 'مع الشيخ في بلده ومجمع نشاطه': "ومما أذكره ولا أنساه: زيارتنا للشيخ في مدينة (لكهنو) بالهند، مقر ندوة العلماء ودار العلوم، وذلك حين دعانا الشيخ - حفظه الله – للاحتفال بمرور خمسة وثمانين عاماً على تأسيس ندوة العلماء . وقد استجاب لدعوة الشيخ جمهرة من كبار علماء الأمة من أقطار شتى، على رأسهم فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر، والذي أبى الشيخ الندوي إلا أن يجعله رئيس الاحتفال، تكريماً وتقديراً للأزهر في شيخه، وحضر معه الشيخ محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف في مصر. وكانت أياماً حافلة تلك التي قضيناها في رحاب الندوة، وكان مهرجاناً رائعاً وباهراً اجتمع فيه المسلمون والهندوس بعشرات الألوف، وعاش الضيوف في فيْض من كرم الشيخ الندوي وإخوانه، حتى قال أخونا الشيخ

[84] يوسف القرضاوي . الشيخ أبو الحسن علي الندوى كما عرفته.

محمد المهدي البدري مازحاً : لم يبق إلا شيء واحد يقدمه لنا الشيخ ، وهو أن يزوج كلاً منا فتاة هندية مسلمة!".[85]

ومن الملحوظ، ثمة عدد من مقالات قصيرة علقت في الجرائد والمواقع الإلكترونية، تخبر عن تفاصيل رحلات أشخاص، لم يعالجها البحث لقصرها وقلة حجمها، ولعسر الضبط والتصنيف ولصعوبة الجمع والتتبع. ومنها مقال بعنوان "رحلة إلى الهند... مزيج من أطلال التاريخ والتقدم العلمي والطبيعة الخلابة" للإعلامي المصري مصطفى محمود.[86]

وبغض النظر عن السرد الرحلي، يوجد ظهور الهند في كتابات المصريين بشكل رواية، شعر ،قصيدة ،مقال، مذكرة ونحوه كما في رواية 'أذرع وسيقان' لعبد الحميد جودة السحار حيث قدم في الرواية جانبا من حضارات الهند وإندونيسيا في سياق روائي. وقد أخذت ثقافة الهند ومعالمها موقعا خاصا في أعمال صلاح عبد الصبور الذي عمل مستشارا ثقافيا في الهند.

وفيما يلي عرض لكتب الرحلات مع إعطاء نبذة عن الرحّالة.

رحلة محمد حسين هيكل

روائي صحافي وكاتب سياسي مصري، ومن أعماله: رواية زينب، حياة محمد، عشرة أيام في السودان، يوميات باريس، سير حياة شخصيات مصرية وغربية، الفاروق عمر، مذكرات في

[85] القرضاوي، يوسف. الشيخ أبو الحسن علي الندوى كما عرفته.دمشق:دار القلم .ص:23

[86] https://medium.com/@Mustafa_Mahmoud/mustafa-mahmoud-trip-to-india-2017-iimc-d47401915be

السياسة المصرية، الصديق أبو بكر، ولدي، الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة، قصص مصرية قصيرة، عثمان بن عفان ، وكتاب في منزل الوحي في مجال أدب الرحلة.[87]

بواعث الرحلة ووصفها

كان الباعث من وراء رحلة هيكل إلى الهند عام١٩٥٣م، المشاركة في الندوة الدولية التي عقدت في نيودلهي، ممتدة من 5 إلى 17 يناير، لدراسة ما كان لتعاليم غاندي وأساليبه العملية من أثر في توثيق العلاقات الإنسانية في داخل الأمم وبين الأمم بعضها وبعض. وكان مدة إقامته في ربوع الهند خمسة أسابيع من 31 ديسمبر إلى فبراير 3. وبعد انقضاء الندوة، قام هيكل مع صديقه الدكتور أحمد متين دفتري، بتجوال سريع طيلة الأسبوعين عبر أنحاء الهند المحدودة من دهلي وأتربرديش وما حواليها من آغرا وعليكره وفتح بورسكري وحيدرآباد وموميباي وبنكلور.

بدأ رحلته ببيان خواطر المصريين عن الهند وأهلها والتقديرات السائدة لديهم، من أنهم حين يذكرون بلاد العجائب، يذكرون الهند والسند، وأن أهلها يركبون الأفيال، مع بيان نشأة وتطور العلاقات الوطيدة بين الهند ومصر ووجوه التشابه والتضارع اللامثيلة، ابتداء من انقضاء الحرب العالمية الأولى ونشوب الثورة المصرية سنة 1919 تزامنا مع ظهور حركة مهاتماغاندي من جراء استقلال الهند وحرية شعبها من براثن الاستعمار البريطاني. ثم ركز انتباهه على الضرورة القصوى لزيارة الهند وأهميتها البالغة بالنسبة للمصريين، مع الإشارة إلى هدفه من وراء الرحلة وتفاصيل رحلته وتجواله خلال الهند، ورصد مشاهداته وخواطره عن طبيعة الهند

[87] الأعلام، ج 6،ص107

وأراضيها الخصبة والثروات الزراعية الضخمة، كما استعرض الأثار والمعالم التاريخية العريقة من تاج محل وفتحبور سكري ومسجد حيدرآباد والمعابد المختلفة في بنارس على ضفاف نهر الجانج وبالخصوص معبد برلا وبوذا .

ونصوص الرحلة إنما هي مقتطف صغير الحجم بعنوان "حول الهند" يقع في نحو ست عشرة صفحة من الفصل الرابع من كتاب'الشرق الجديد' المنتظم على مجموعة من فصول حسين هيكل ومقالاته. وهذا الفصل يبحث عن الغاندي ودوره الرائدي لتحقيق السلام العالمي وأساليب غاندي وكيف تخفف التوتر داخليا ودوليا، مترجما من محاضرة هيكل في الندوة الهندية.

وضع المرأة الهندية

لم يفت صاحب الرحلة كأمثاله من نوال السعداوي وأمينة السعيد، التعرف على أوضاع المرأة الهندية كما يبدو بداهة من تعليقه: "أما تطور شأن المرأة في الهند فأعظم من تطور شأن الرجال. فقد تناول التطور في أمر الرجال طائفة منهم بعينها. أما المرأة، فقد دفعها التطور في كل الطوائف إلى الأمام وإلى الحرية دفعا لا يكاد الإنسان يصدقه. وكان أكبر الفضل في هذا لمهاتما غاندي، كذلك كانت المرأة الهندية إلى عهد غير بعيد في حالة تقرب من الرق، حتى لكانت تحرق مع زوجها حين يموت، وكانت في حياتها في مركز يكاد يكون مركز الرقيق. فلما أشركها غاندي في حركة المقاومة في غير عنف وفي حركة العصيان المدني، أظهرت من قوة الاحتمال ما عجز عنه الرجال في بعض الأحيان. هنالك ارتفعت الصيحة بأن للمرأة من الحق في الحياة ما للرجل،

وسرعان ما انتقلت من ذلك إلى مساواته في الحقوق كلها، وفي الحقوق السياسية نفسها. ولعمرى إنها بذلك لجديرة. لقد كنت شديد الإعجاب بمدام باندیت شقيقة الرئيس نهرو[88] منذ رأيتها في الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1946وعام 1947، وكنت أحسبها امرأة ممتازة لا يشاركها في امتيازها رجل أو امرأة. فلما ذهبت إلى الهند وأتيح لي أن أتحدث إلى بعض السيدات هناك، رأيت صورة إنسانية بالغة غاية الرقى في تفكيرها وفي ذوقها الحياة. وزادني اقتناعا بذلك، أن شهدت بعض مظاهر النشاط النسوي في الحياة الاجتماعية و في الحياة التربوية لا في دلهي وحدها بل في مدن مختلفة زرتها، وليس عجبا أن تنهض المرأة في أمة كل شيء فيها ناهض أو متوثب للنهوض".

فلسفة غاندي وتعاليمه

لعل أول ما يلفت النظر في هذه الرحلة بشكل ملحوظ، مدى تأثر هيكل وانشداهه بفلسفة غاندي وتعاليمه الخالدة، وأساليب الاحتجاجات التي مثلها على الواقع الهندي، وطريقة تطبيقها لأجل مكافحة الاستقلال وتحرير الشعوب وتحقيق الكرامة الإنسانية والتخفيف من معاناة المنبوذين المهمشين، ورفع مستوى المرأة الاجتماعي والتقدم بها إلى آفاق الحرية ومجالات الأعمال والعلوم والتقنية، وهذا الجانب المهم هو الذي دفع هيكل إلى دراسة مستفيضة عن فلسفة غاندي وحضارة الهند وتطورها ونهضتها الملموسة والتمعن في أبعادها المختلفة، ولأجله

[88] **Vijaya Lakshmi Pandit** دبلوماسية وسياسية هندية تم انتخابها كأول رئيسة للجمعية العامة للأمم المتحدة.

تشرف بالقدوم إلى الهند للمشاركة في الندوة ومعاينة مظاهره وآثاره الحية في تاريخ مسيرة الحركات الهندية.

في معرض الحديث عن المعابد الهندية يعجب هيكل بمعبد 'برلا'،[89] "المعبد الذي أقامه السري الهندي برلا في نيودلهي وافتتحه غاندي، فهذا المعبد مجموعة تحتوي عدة معابد؛أحدها برهمي والآخر بوذي والثالث لمذهب آخر من المذاهب الهندية. وفي كل واحد من المعابد يرى الإنسان مكتوبا بالإنجليزية وحدانية الله، وتشير إلى ما كان يكرره غاندي من أن الله هو الحق، وأن الحق هو الله، وتذكر أن الخلق والحياة والانهيار والفناء مظاهر، وأن البقاء لله وحده، وأن الأرباب التي يصور الخلق والبقاء والتجدد إنما تصور صفات من صفات الله"[90]... يتابع هيكل قوله منوها ومقدرا بشخصية غاندي: "افتتح غاندي هذا المعبد، وكان غاندي رجلا متدينا شديد الإيمان بالله.طلب إليه بعضهم يوما أن يكتب كتابا يصور فيه فلسفته الدينية والسياسية فقال: إنني لست فيلسوفا، ولكنني رجل عمل، فإذا عرضت لي مشكلة استخرت الله فألهمني طريقا فسرت فيه فوفقني إلى ما أبتغيه"[91].

"ليس هذا المقام مقام الحديث عن غاندي وآرائه، لكني وأنا أقص مشاهدتي في الهند، لابد لي من أن أذكر أنني حين قرأت حياته أخذت منها أكثر من كل شيء بمجهوده لمقاومة عقائد تأصلت في الهند خلال عشرات القرون بل مئاتها، ونجاحه في ذلك نجاحا منقطع النظير، حتى لقد كان أول ما دار بخاطري وأنا بالطائرة في طريقي إلى الهند أن أرى مبلغ هذا النجاح. قاوم غاندي نظام

[89] **The Laxminarayan Temple**, also known as the Birla Mandir

[90] الشرق الجديد.ص:239

[91] الشرق الجديد.ص:239

المنبوذين وقاوم عبودية المرأة للرجل، فكان لذلك من أتباعه منبوذون كثيرون، ونساء كثيرات. وقد سألت نفسي: أتأصل هذا في الهند فأصبح بعض عقائدها، أم تراه تطاير فعادت الهند إلى سابق عهدها قبل غاندي؟"[92].

رحلة إيهاب الشريف

إيهاب صلاح الدين أحمد الشريف، ولد 1954م. حصل على ليسانس آداب من جامعة القاهرة عام 1975م، وعمل مترجماً في المركز الصحفي الدولي بهيئة العامة للاستعلامات المصرية، والتحق بالسلك الدبلوماسي عام 1976م، وتدرج في السلك الدبلوماسي، وعمل بسفارات مصر في إفريقيا الوسطى وفرنسا وسوريا حتى أصبح قائمًا بأعمال السفارة المصرية في إسرائيل، ثم مساعدًا لوزير الخارجية المصري للشئون العربية لفترة، وقامت وزارة الخارجية بتكليفه كأول سفير لدولة عربية في بغداد منذ سقوط نظام صدام حسين، ووصل إلى بغداد في 25 مايو 2005م. توفي عام2005.[93]

تجمعت له في رحلاته العديدة عشرات الآلاف من الصور، أتاحت له أن يكون أول من يقدم لوناً جديداً للمكتبة العربية يمكن تسميته"أدب الرحلة المصورة". وللمؤلف إضافة لكتاب "الهند . . أسرار ومفاتيح " كتاب مصور بعنوان" ألمانيا اليوم:جولة في بلاد الفكر والفن والإبداع"

[92] الشرق الجديد ص: 240

[93] بوابة الحركات الاسلامية: إيهاب الشريف "شهيد الدبلوماسية"(islamist-movements.com)

وآخر عن فرنسا" بلاد الجن والملائكة. صور من فرنسا". وثالث عن أوروبا " أوروبا .. الحلم والحقيقة."[94]

الهند أسرار ومفاتيح

يعد"الهند..أسرار ومفاتيح" واحدا من أبرز الكتب، تقدم للقارئ العربي بالصورة والقلم كل الهند بعيون عربية ورؤية عربية، والذي استغرق إنجازه سنوات طويلة من العناء والمتعة، فيما يقول المؤلف: "متعة الألوان التي تستهوي المصور ليست كل ما في جعبة الهند..فهذا البلد استطاع أن يخرج أفكارا تزيد أضعافا عن عدد كأنه الذي تجاوز المليار نسمة، والغريب أنه رغم اختلاف وتنوع تلك الأفكار من النقيض إلى النقيض، إلا أنني لم أجد صعوبة في إيجاد همزة الوصل بين كل هذه الإبداعات الفكرية والفلسفية: احترام الإنسان وتقديس الفكر."[95] يحيط الكتاب الموسوعي بالهند و شتى جوانب ثقافتها و معالمها البارزة من عمارة، مطبخ، صناعات، فن وثقافة بأشكالها وألوانها المتنوعة بما فيها الموسيقى والغناء، الأدب، الرسم ،النحت والسينما. وتأتي قيمة هذا العمل في استعراضه تفاصيل وأخبار ولايات هندية على حدة بخريطة إلى جانب فصول مقسمة إلى الشمال والولايات الداخلية والشرق والجنوب والغرب.

وقد تناول صاحب الرحلة جوانب مشرقة للحضارة الهندية، من الفنون والآداب والمعالم والسينما والموسيقى والعمارة وما إليها من ملامح الفن والإبداع. يتطرق إلى الرسم والنحت:

[94] من ورقة غلاف كتاب الهند أسرار ومفاتيح.

[95] إيهاب الشريف . الهند أسرار ومفاتيح ، من مقدمة المؤلف. المجلس الهندي للعلاقات الثقافية . دلهي .

"سواء كان التعبير الفني الهندي رسما أو نحتا أو عزفا أو رقصا، أو غناء، يصعب أن يخلو من بصمة دينية ما تلعب دورا جوهريا كوقود ومحرك وباعث لهذا الفن أو ذاك. المرأة في كل فنون العالم هي الملهم الأول، أما في الهند فالعقيدة الدينية تسبقها (كما كان الحال في مصر القديمة أيضا)،وقد بلغ الفنان الهندي القمة في تعبيره الفني بالرسم أو النحت. ويكفي أن نشير إلى الرسوم الجدارية البوذية الخالدة التي لاتزال تحتفظ بألوانها ورونقها في كهوف أجانتا، والتي تبدو كأطياف من ماض سحيق (من القرن الخامس والسادس)مخرت عباب بحر الزمن لتطل علينا دون أن يبدو عليها من أثر الرحلة الطويلة إلا أجزاء بسيطة من شروخ ويقع هنا وهناك لم تستطع إلا أن تزيد العمل الفني العبقري جمالا وسحرا". [96] يتحدث عن الرقص الكلاسيكي "وبصفةعامة، فإن هناك ستة أنواع رئيسية من الرقص الكلاسيكي الهندي هي: بهارتا ناتيام،وأوديسي، ومانيبوري، وكاتاك، وكاتاكالي، وكوتشي بودي، ولكل منها منشأ تاريخي يرتبط بجذور تعود لتقاليد فنون الأدب والنحت والموسيقى الهندية للعصرين القديم والوسيط".[97]

تتميز هذه الرحلة بصفة كونها منظمة في شكل موسوعة تاريخية مرجعية، تضم تاريخ الهند وثقافتها، مع تصوير الخرائط والجغرافيا ومظاهر الحياة العادية، تعكسها عدسة كاميرا للمصور البارز الرحالة نفسه. وقد ترجم لجميع ولايات الهند مستقلة بصفة موجزة مع تسليط الضوء على أهم الآثار التاريخية الموجودة هناك. مثلا،يصف بيهار: "أهم معالم بيهار البوذية نلتقيها إلى الجنوب من باتنا،ابتداء من جامعةنالاندا (Nalanda) التاريخية التي وصلت إلى قمة

[96] المصدر نفسه.ص:170

[97] المصدر نفسه.ص: 175

ألقها كمركز جذب للكهنة والدارسين البوذيين في القرن السابع حيث زاد عددهم على عشرة آلاف دارس، وقد ظلت الجامعة تجتذب الدارسين إلى أن دمرهاالغزاة المسلمون في أواخر القرن ١٢. بيهار شريف القريبة من نالاندا ، كانت بين القرنين 13 و16 عاصمة لحكام البهار المسلمين، أما باوابوري Pawapuri فتجتذب الحجاج الجاينا الذين يأتون إليها لزيارة الموقع الذي وصل فيه مؤسس عقيدتهم، مهافيرا إلى النيرفانا في ٤٧٧ ق. م. نعود إلى العقيدة البوذية مع بلدة راجفير ذات التلال الخمسة التي شكلت حول ملكها للبوذية أحد المعالم المبكرة لترسخ العقيدة البوذية منذ القرن الخامس ق. م. يقودنا الطريق إلى جايا (Gaya) حيث تنتشر الكهوف، وتوجد هنا عشرات المعابد، أهمها معبد فيشنوبادا. يأتي الحجاج إلى هنا بالألوف للاحتفال بالشرادها، التي تخلد ذكرى الأجداد ويمارسون طقوسا جاء ذكرها لأول مرة في تعاليم المهابهاراتا المقدسة. كهوف بارابار الجرانيتية السبعة تعتبر الأقدم من نوعها في الهند. إلى بودجايا(Bodhgaya)، جاء بوذا أو الأمير شاكيا موني منذ ما يقرب من ٢٦٠٠ عاما ليستريح قرب ضفاف نهر نارا انجارا بعد أن هام على وجهه لسبع سنوات في أرجاء مملكة ماجادها بحثا عن الحقيقة الكبرى التي عثر عليها هنا بوصوله إلى لحظة الاستنارة بعد أن انتصر للمرة الأخيرة على آخر محاولات مارا الشيطان لغوايته."[98]

صورة كيرالا

و قد بذل الرحالة أقصى ما في وسعه للقيام بجولات في أهم الأماكن ومواضع السياحة، من المعابد والمساجد والمتاحف وسواحل البحار، إلى جانب أبرز المعالم والآثار التي تستحق أهمية

[98] المصدر نفسه ، ص 325

تاريخية. وأثناء تجواله في ربوع كيرالا، لا يفوته أن يصور أهم المواضع، بداية من العاصمة تريفاندروم ومعبد بادهانابها سوامي، حيث يستلقي صنم للرب فيشنو فوق الثعبان أنانتا، ويأتي الحجاج في ملابسهم السوداء الداكنة من كافة أرجاء الهند، ثم يذكر أخبار قصر مهراجات ترافنكور القديم مع الإشارة إلى القلع والقصور التي تزيد العاصمة أكثر رونقا وجمالا. ثم ينتقل إلى كوفالام وآلابوزها وكوتشين وكاليكوت ونحوها من الموانئ الذائعة الصيت عبر تاريخ الصلات التجارية بين كيرالا وبلاد الخليج العربي.

يبدأ فصل كيرالا بالترحيب إلى بلاد التناقضات والتنوعات: "أهلا بكم في بلاد التناقضات الحلوة فكيرالا في أقصى جنوب شبه القارة تعد من أكثر ولايات الهند بعدا عن الدول الأخرى المجاورة، ويحاصرها بحرالعرب، ومع ذلك هي من أكثر الولايات انفتاحا على العالم،وأهلها من أكثر سكان الهندتعلما وتسامحا، كما أن نشاطهم السياسي لا يعرف الهدوء ويكثر بينهم اليساريون"[99]

ومن الملحوظ، أن إيهاب شريف ربما يحاول لتحليل ونقد الوقائع والحقائق التاريخية بعد استعراضها جملة، كما في معرض الإشارة إلى قصة المسلمين المعروفين باسم 'مابلا' الذين يرجع أصلهم إلى سلالة البحارة العرب، ترددوا على ساحل ملابار وتزوجوا من نساء كيرالا. نعود إلى الساحل ونواصل السير شمالا حتى نحط الرحال في كاليكوت (Calicut) التي أصبح اسمها كوزهيكودي (Kozhikode) حيث معبد تالي شيفا الذي يعكس الروح المعمارية لكيرالا. المسجد هنا شيده أحد العبيد المعتوقين في القرن ١٣، ونسبة المسلمين ترتفع في شمالي كيرالا وخاصة

[99] المصدر نفسه، ص 400

في كانانوري (كانور) وبالجات وكاساراجود، وجزء كبير منهم من سلالة البحارة العرب الذين ترددوا على ساحل مالابار منذ القرن ١٣، وتزوجوا نساء من كيرالا ويدعى هؤلاء المسلمين 'الموبلاه'[100]، ولم يكن هؤلاء أول من اجتذبتهم كيرالا، فجاؤوا إليها من العالم العربي أو تحديدا من الشرق الأوسط، بل سبقهم إلى هنا مسيحيون سوريون منذ القرن الثاني، إضافة لليهود الذين ترجع أصول بعضهم في كوتشين- كما سبق أن أشرنا إلى الفترة المعاصرة لهدم المعبد الثاني في فلسطين على يد الرومان. ورغم عشرات القرون التي قضاها هؤلاء اليهود وأحفادهم وأحفاد أحفادهم في كيرالا فقد هاجر معظم يهود الهند المعاصرين إلى إسرائيل في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين". [101]

"لاتصدق أن كيرالا بعيدة عن الشرق الأوسط؛ إن الخريطة تكذب والتواصل مع من يبادلونك الود يلغي الإحساس بالمسافات. يكاد العقل يهفو لاعتبار البحر العربي وكأنه غير موجود.. في تلك الحالة ستصبح كيرالا، والهند كلها ملاصقة لليمن الحبيب وسلطنة عمان الحبيبة أيضا ولأني أحببت الهند جدا، أرجو ألا يغضب مني بعض الإخوة العرب شديدي التحمس لكل ماهو عربي إذا قلت لهم: عذرا ولكن لو لم يكن بحر العرب وجود، حتى تصبح الهند أقرب إلينا في الحقيقة كما هي في الشعور".[102]

[100] Mappila Muslims

[101] الهند.ص : 408

[102] المصدر نفسه .ص:408

رحلة نوال السعدواي

طبيبة كاتبة روائية وناشطة نسوية، ولدت في القاهرة سنة 1930م، حصلت على البكالوريوس في الطب والجراحة من جامعة القاهرة 1954م. وقد خلفت أعمالا أدبية وإنتاجات مبدعة، حيث كتبت روايتها الأولى في عمر الثلاثة عشرة، فلها أكثر من أربعين كتابا، ترجم معظمها إلى لغات عالمية مختلفة، وكلها تدور حول الفكرة الأساسية للكاتبة، وهي المرأة وقضاياها المختلفة وحرية الإنسان وتحرير الوطن. ومن أبرزها: مذكرات طبيبة، المرأة والجنس، أوراقي... حياتي، مذكراتي في سجن النساء، معركة جديدة في قضية المرأة، تعلمت الحب، رحلاتي في العالم، الأنثى هي الأصل.

رحلاتي في العالم

تستغرق نصوص الرحلة نحو ثلاثين ومائة صفحة، تحت فصل 'رحلة الهند' في كتاب 'رحلاتي في العالم' الذي يحتوي على أخبار وحوادث الرحلات والجولات التي قامت بها في ربوع العالم شرقا وغربا. توجهت السعداوي إلى الهند في السبعينات من القرن العشرين، قرابة سنة1975م[103]. مكثت فيها عدة شهور كضيفة في شقة صغيرة لزوجها الذي كان يعمل في الهند منذ عامين ويسكن في حي ديفنس كالوني في نيو دلهي .

تصف تلك الرحلة بأنها كانت طويلة ومرهقة، ولكنها في الوقت نفسه ممتعة، أشبه ما تكون برحلة الى النفس في قوستها وفي حلاوتها . ربما هي أصعب رحلة قامت بها في حياتها رغم قيامها

[103] رحلاتي في العالم ص :252(أعطتني المضيفة الهندية جريدةالصباح . اليوم 21فبراير 1975)

بزيارة معظم بلاد العالم والمشي في أوعر الطرق . نراها تعترف بداية بصعوبة اكتشاف الروح الهندية التي تشبه إلى حد كبير صعوبة اكتشاف النفس. ولكنها ترى نشيطة حية، تسعى جهدها لإجراء دراسة مستفيضة، تلمس روح الهند ثقافة وحضارة في ضوء الفلسفة والحياة العادية الغضة، كما تبدو ملامحه من غضون كلامها، وتسجيل الحوادث التي عاشت معها وعاينتها، وتفاعلت معها خلال جولاتها في مدن الهند الشهيرة من دلهي، مدراس، جيبور، أحمداباد ومومباي.

عاشت في الهند بضعة شهور، تتجول بين ولاياتها الشاسعة المتباينة، تزور المعابد والمزارع والمصانع والجامعات، وتلتقى في كل ولاية بعدد من الأدباء والأديبات وقيادات مختلفة لأحزاب متعددة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ودفعتها هذه الجولات وهذه اللقاءات إلى أن تقرأ عن تاريخ الهند وأديانها وبعض الروايات الهندية والقصص والشعر. ولم تتمتع بمجرد التنزه والسياحة في ربوع الهند، بل عالجت القضايا الجذرية، وكشفت النقاب عن الأوضاع الاجتماعية وأسباب التناقضات بين الشعوب والحياة المدنية، مع الإشارة إلى أسباب تدهور مستويات معايش العوام والأدوار التي تلعبها عقدة الأساطيروالخرافات والمعتقدات المستغربة، وقضايا الطبقات المترسخة جذورها في الجاليات، مركزة جل اهتماماتها نحو معاناة الفقراء والمهمشين ونساء الهند.

لقاء مع الكاتبات الهنديات

ومن اللافت أن صاحبة الرحلة، بمكانتها في أوساط رائدات الحركات النسوية، والنشاطات المعنية بتحرير المرأة من جميع القيود والأغلال، والأثقال التي حملتها أنظمة الحياة الاجتماعية، قد أولت جل عناياتها بقضايا المرأة والجوانب المتعلقة بهن من الأدب والنشاطات الثقافية، والنضال من أجل الحرية والمساواة، وتحطيم فوارق التمييز باعتبار الجنس. ولذا فضلت لقاء الكاتبات الهنديات والحوار معهم، والتعمق في أعمالهن الفنية من القصص والروايات والأشعار. وتأتي في مقدمتهن الكاتبة "نيانتارا ساهجال"، [104] تجرأت لنقد الحكومة وسياسة إندرا غاندي، وهي لا تزال تكتب روايات وقصصا، وفي روايتها بعنوان 'هذا الظل' تكتشف المرأة المطلقة في الهند وتوجه النقد نحو كثير من التقاليد والطقوس التي تحيط بالمرأة الهندية[105]. ومنهن 'أمريتا بريتم'،الشاعرة كملا داس، الشاعرة أكيلا، إلى جانب ما قامت به من مقابلة إندهرا غاندي وجها لوجه، وما جرت بينهما من الأحاديث حول الهند والعلاقات الهندية المصرية وأهمية ترجمة الآداب الهندية إلى العربية وبالعكس، كي يتمكن التبادل الثقافي بين البلدين.

تعرف بالكاتبة والشاعرة المليالمية 'كاملاداس'[106]هكذا: "إحدى الكاتبات فى الهند اسمها كاملاداس، تمسك القلم كأنه مشرط في يد جراح، تشق اللحم وتكشف النخاع. تكتب عن حياتها بالشجاعة نفسها التي تكتب بها عن حياة الآخرين، آخر كتاباتها هي مذكرات حياتها.

---

[104] Nayantara Sahgal ولدت عام 1927كاتبة روائية من الهند تكتب في الإنجليزية ، أصدرت عام 1986 رواية إنجليزية باسم .Rich like us

[105] رحلاتي في العالم، ص: 218

[106] Kamala Das شاعرة وروائية من كيرالا تكتب في الإنجليزية أيضا اشتهرت باسم Madhavi Kutty اعتنقت الإسلام وعرفت ب'كامالا ثريا' توفيت عام 2009. من أشهر أعمالها رواية قصتي .

تقول عن نفسها: أنها لا تملك إلا الصدق. وهذا الصدق دفعها إلى أن تترك بيتها وزوجها والمدينة الكبيرة مومباي وتذهب لتعيش في قريتها مع أهلها الأصليين 'النايرز'، حيث الثقافة الهندية الأصيلة وحيث تحترم المرأة ولها السيادة داخل البيت وخارجه كالإلهات القديمات. أمها كانت تكتب الشعر وهى راقدة على بطنها في سرير من أربعة عمدان. أما هي فكانت تنام ناحية قدمي زوجها تركت بيتها وأولادها لزوجها وذهبت إلى البحر والصيادين. كان لها أصدقاء يشاركونها رؤية الجاموس والطبيعة، أما زوجها فلم يكن لديه وقت لرؤية جسم جميل ورائحة طيبة في السرير. أحيانا كانت تخلع «السارى» وتنزل في البحر ويضحك أصدقاؤها. كان النهر بغير ضفاف كأنهر الهند التي تفيض وتغرق القرى. عرفت الحب وظنت أن الحب إلى الأبد والشباب إلى الأبد، ولكنها عرفت بعد سنوات طويلة أن الوحدة هي إلى الأبد فقط"[107].

ومما يدل على شجاعتها في الكتابة، ما حكته نوال من أن "هيئة لما طلبت منها أن تقوم بإجراء بحث في القيم الأخلاقية بين الأزواج في مدينة مومباي، فقامت بإجرائه ونشرت نتائجه، وكشفت النقاب عن حقيقة الحياة التي يخفيها الناس عن الآخرين بل عن أنفسهم أيضًا، حيث إنها وجدت96%من الأزواج يخونون زوجاتهم سرًا خلال ساعات العمل، وفي حجرات الفنادق وفي رحلاتهم إلى بلاد أخرى وأثناء الدورة الشهرية وحمل زوجاتهم."[108]

وكانت حريصة على متابعة آداب الهند بشيء من النهم والولع، حيث اعتكفت عدة أيام في البيت بقراءة الكتب المقدسة لدى الهندوس من جيتا، علاوة على ما أشادت بإنتاجات الأدباء

[107] رحلاتي في العالم.ص:219

[108]رحلاتي في العالم، نوال السعداوي . ص 220. مكتبة مدبولى، الطبعة الثانية 2006

والأديبات من شتى ولايات الهند، وتعترف بأن في الهند ما هو عظيم وما هو أكثر خصوبة وتنوعا من بعض إنتاج الأدباء العالميين المشهورين. تحكي قصة نزولها ضيفة في بيت أمريتابريتام[109] وأكلها معها عسلا بالجبن والشطة، وأهدت المستضيفة روايتها الأربعين بعنوان ذلك الرجل حتى قضت ليلة كاملة في قراءة الرواية الصغيرة التي كشفت كثيرا من الزيف في موضوع الدين.

ترى أن الكاتبات الهنديات قد لعبن دورهن في تناول ثالوث المحرمات في معظم المجتمعات في العالم: هو الجنس والدين والحكومة حيث تتمتع الكاتبة الهندية أن تمسك قلمها وتكتب في أي من هذه الموضوعات بغير رهبة ولاحرج.[110] وتذكر نوال بهذه المناسبة الروائية والشاعرة أمريتابرتام مشيدة بجهودها المبذولة شعرا ونثرا في نقد كل ماهو مزيف في السياسة و الحكم و الدين و الجنس.

ومن أبرز ميزة هذه المدونة، أن القارئ يشعر بمتعة، وينطبع بمشاعر وأحاسيس مختلفة من السرور والتوتر وشدة القلق والغرابة وشيء من الطرف والملح، وذلك لأجل ما مزجت السعداوي من معاناة المرأة الهندية، وصعاب العمال في مزارع الشاي بجنوب الهند، وغرائب العادات والتقاليد المتبوعة بين الجاليات الهندية في الولايات المختلفة من الشمال إلى الجنوب. ومن هنا يمكن وصف هذا المقيد رحلة موسوعية شاملة، تمس جوانب شتى من السياسة والأدب والثقافة والحضارة وقضايا النساء والعمال والآداب الكلاسكية من كتب ويدا والجيتا والأساطير المتعلقة بالديانات الهندية .

[109] Amrita Pritam روائية شاعرة من الهند كتبت في اللغات البنجابية والهندية ومن أبرز أعمالها رواية ,pin jar

[110] المصدرنفسه ص221

لقاء مع إندرا غاندي

وقد حظيت السعداوي كالصحفي حسنين هيكل، بمقابلة مع إندرا غاندي، وجرى بينهما حديث طويل معمق عن موضوعات شتى من قضايا المرأة ومعاناتها ومكانة المرأة الهندية وإنتاجاتها في المجالات العامة وقضية ترجمة الأدب العربي إلى اللغات الهندية مباشرة بلا وساطة لندن. وقد سجلت الكاتبة أخبار لقائها وتفاصيل المناقشة والحوار مفصلا ضمن الكتاب. تقول السيدة إندرا عن جمال اللغة العربية وآدابها : "ولابد من الاطلاع على الثقافات الأخرى. إن الهند ومصر لهما تاريخ عريق ولهما ثقافة متقاربة، ولكنا لا نعرف عن الأدب العربي إلا القليل، وكذلك لا يعرف العرب عن الأدب الهندي إلا القليل. والسبب في ذلك هو مشكلة الترجمة. إن الأدب الهندي مترجم إلى اللغة الإنجليزية بكميات هائلة ولكنه لا يترجم إلى العربية إلا نادرا. والحال نفسه أيضا بالنسبة للأدب العربي. فلماذا يحدث ذلك رغم أن الإنجليز قد خرجوا من مصر ومن الهند، ورغم أن اللغة الهندية وبالذات اللغة الأردية تحتوي على ١٠% منها على كلمات عربية. نحن في حاجة إلى جهود كثيرة فى مجال الترجمة. لابد أن يقرأ الإنسان العربي دون أن تكون اللغة الإنجليزية هي الوسيط بينهما. إني أثق في المستقبل، وأعتقد أن صلتنا بالعرب وبمصر سوف تزيد على الدوام".[111]

يتطرق الحديث بينهما إلى المرأة ومشاكلها، تقول إندرا: "والمرأة الهندية تعمل فى كل مكان. وأنا لم أصادف في عملي كرئيسة للوزراء مشكلة واحدة بسبب كوني امرأة. ولكني بالطبع واجهت في حياتي العديد من الصراعات التي استطعت التغلب عليها. إن الإنسان لا يقوى إلا من خلال

[111] المصدرنفسه، ص: 303

انتصاره على الآلام والصراعات التي تواجهه في حياته. والنساء في الهند تشارك في جميع المجالات. عندنا ولايتان ترأس الوزراء في كل منهما امرأة. وفى كل ولاية في الهند تشترك في الحكومة وزيرة امرأة على الأقل. وعندنا عديد من عضوات البرلمان وممثلات الأحزاب المختلفة عندنا قاضيات في مختلف الولايات. وفي القرى هناك نساء منتخبات فى المجالس القروية، ونسبة الجامعيات والمتعلمات والعاملات فى كل المجالات أعلى من البلاد المتقدمة. ولنا في الهند تاريخ فلسفي عميق يساوي بين الرجال والنساء. ثم إن زعماءنا السابقين من أمثال ماهاتما غاندي وأبي نهرو وغيرهم كانوا يدعون دائما إلى مساواة المرأة والرجل، وخروج المرأة إلى الحياة السياسية والإنتاج. وقد شاركت النساء فى الكفاح قبل الاستقلال ودخلن السجون مع الرجال. أثبتت النساء أنهن قادرات على العمل والتضحية، ولهذا كان من الطبيعي بعد الاستقلال أن تستمر النساء في عملهن السياسي وفي الإنتاج. كان والدي نهرو متمردا مؤمنا بأن المرأة كالرجل؛ لذلك لم أشعر في أي يوم بأي تفرقة أو اضطهاد لأني امرأة وأخذت كل فرصتي في التعليم والعمل السياسي. لكن أمي حرمت من هذا، وكانت آسفة على ذلك دائما". [112]

الفلسفة والتاريخ

لا يخفى على متتبع الرحلة ما أودعت السعدواي ضمنها من أفكار وآراء وانتقادات عنيفة، إزاء المفاهيم السائدة والوجهات التي يعتقد بها العوام. ولم تقتصر على مجرد عرض الحقائق والمعلومات الشائعة، بل تختلف بحديثها في لغة الفلسفة والحكم وتوجيه النقد. تتمثل تلك

[112] المصدرنفسه، ص: 301

الصورة من خلال قيامها بزيارة الآثار والمشاهد وأضرح الملوك والقادة من جهة أنها لا تؤثر في وجدانها ولا تبدل انطباعاتها بهاء المعالم والمناظر الرائعة من تاج محل والقلاع والأبنية.

تؤكد نوال على ضرورة إعادة فهم التاريخ؛ فالتاريخ ليس فقط حياة الملوك والحكام أو موتهم، والتاريخ ليس مجرد أبنية وقلاع وأهرامات. لكن التاريخ أكبر من هذا. التاريخ هو قصة ملايين الناس في كل شعب وكفاحهم المستمر من أجل البقاء. التاريخ هو صمود هؤلاء الملايين في وجه الأباطرة والملوك والحكام. إن الحاكم الذي يستحق أن نذكره في التاريخ هو ذلك الذي سعى لتوفير حياة كريمة لملايين الناس في بلده، وليس هو الذي سخر الملايين واستعبدهم من أجل أن يبنى مقبرة من الرخام الثمين لجسد زوجة لم تفعل في حياتها شيئا سوى الأكل والنوم. وبالحقيقة، من منظورها "ليس التاج محل رمزا للحب الذي حدث في التاريخ، ولكنه رمز للحب الذي فقد في التاريخ، ودفن تحت مقبرة من الرخام الأبيض". [113] ولا شك أن القيمة الفلسفية لهذه الرحلة تكمن فيما أبدت من رأيها إزاء السياحة والنزهة، من أن "السياحة ليست ركوب طائرات وزيارة متحف والنوم والأكل في الفنادق الفاخرة. بل السياحة الحقيقية عندها هي التجول على الأقدام في الشوارع والحوارى المتربة. واكتشاف الإنسان في أي مكان، وبالذات تلك الأمكنة التي يهرب منها السياح، أويضعون مناديلهم فوق أنوفهم حين يمرون عليها بالصدفة"[114].

[113] المصدر نفسه ص: 198.

[114] المصدر نفسه .ص:189

التشابه الحضاري بين الهند ومصر

تحاول الكاتبة بين الفينة والأخرى، للتعرف على ملامح التشابه الحضاري والطبيعي بين البلدين، حيث لا تشعر بالغربة والبعد عن الأوطان عبر إقامتها في أرجاء الهند، بل ترى صورة مصر وظروفها الزراعية نفسها في أراضي الهند وحقولها وبقولها. إحساس غريب أصبح يلازمها في الهند كلما رأت طفلا أو دخلت بيتا أو معبدا أو مكتبا أو مدرسة أو مستشفى أو مصنعا، إحساس غريب كأنما هي ليست في الهند وإنما في مصر، رغم الاختلاف الظاهري هناك نوع من التشابه الغريب، كأنما الجذور واحدة. وأصبحت وهي تكتشف الهند كأنما تكتشف مصر، وبدأت تفهم تاريخ مصر من تاريخ الهند، وترى حقائق عن مصر لم ترها وهي في مصر. ليس ذلك فقط لأن الإنسان لا يعرف بلده إلا وهو خارجها أو لا يرى الشيء إلا من مسافة، وإنما لأن الملامح العامة في الهند تشبه الملامح العامة في مصر بل أن رائحة الهواء ورائحة التراب تكاد تشبه هواء وتراب مصر. [115]

تؤكد نوال بقوة الشبه وعمق التماثل بين الهند ومصر ثقافة وحضارة :" لا أدري لماذا تذكرت طفولتي وأنا في الهند. ليس تذكرا عاديا بأن أتذكر حوادث ما، ولكنه إحساس قوي طاغ يستولى على حين أنظر في وجوه الأطفال الهنود؛ فإذا بي، أحس كأنما هذا الطفل الواقف أمامي هو أنا حينما كنت طفلة، وأن تلك النظرة فى عينيه هي بالضبط نظرة عيني وأنا طفلة، وأن الطريقة التي ينبهر بها أو يجرى أو يلعب بها، أو يحمل بها أخاه الأصغر هي نفسها طريقتي وأنا طفلة"[116].

[115] المصدر نفسه، ص: 196.

[116] رحلاتي في العالم ،ص :195

"في الهند لم أشعر أنني غريبة في بلد غريب. أمشي في الشوارع وأنظر إلى الوجوه والسماء والأرض والمباني والآثار فأنسى أنني في الهند وأظن أنني في مصر. بل أنني رأيت مصر فى الهند أكثر مما كنت أراها وأنا في مصر. عرفت عظمة تاريخ مصر الذى لم أعرفه جيدا في مصر. اقترابنا من الشيء يجعلنا دائما عاجزين عن رؤيته جيدا، ولابد من مسافة بيننا وبين الأشياء لنراها ونعرفها. رأيت في الهند جذوري؛ طفولتي ماضي وحاضري ولأول مرة تتلاشى غربتي مع نفسي، ويحدث نوع من الاتصال بين الحلقات المتقطعة في نفسي ووطني. أعظم ما في الهند أنها توحي للإنسان بأفكار وأحاسيس جديدة. إنها تقوي الجزء العقلي والنفسي فى الإنسان. تجعله أكثر اقترابا من نفسه الحقيقية. لهذا شعرت في الهند بسعادة غريبة كالذي يكتشف نفسه من جديد، ويعثر على خصوبة جديدة في عقله وأحاسيسه، ويكتسب تلك القوة النفسية المجهولة والمعلومة التي تجعله قادرا على الخلق والابتكار. هذه هي ميزة الهند التي لم أجدها في بلد آخر. وكم من بلاد زرتها فشعرت بالغربة مع نفسي والناس بل كم شعرت بالغربة عن نفسي والناس في وطني أحيانا."[117]

القيمة الأدبية

بصفة كون الكاتبة من الروائيات البارزات، ذات الإبداعات القصصية والروائية مثل'زينة'، 'امرأة عند نقطة الصفر'، الحب في زمن النفط، امرأتان في امرأة، تبدو عناصر الفن والقصص واضحة عبر الرحلة. ولم تعتمد على مجرد عرض المشاهد والأحداث وتسجيل الوقائع وتفاصيل السيروالتجول، بل ضمنت عناصر الفن والأدب في عرض الأفكار ووصف الأحداث

[117] المصدر نفسه، ص: 217

والشخصيات مرتبطة بالزمان والمكان بأسوب ممتع شيق، ممتزجا بالحوار البناء والسرد و الحبكة إلى جانب الوصف الوجداني والحسي من الأحاسيس والانفعالات التي يعبر عنها الأديب مع حكاية المرئيات والمسموعات والمشمومات. ومن هنا تتميز هذه الرحلة بالطابع القصصي الوصفي وأساليب السرد المتنوعة من الوصف والحوار والحكاية.

وفيما يلي نموذج لتعكيس معالم الفقر ومظاهر المعاناة والعدم في الهند بشكل مبهر: "الذي يسمع عن الفقر في الهند ليس كالذي يراه. الفقر هو أن يعيش الموت ملاصقا للحياة، وتمتلىء المدن والشوارع بالأشباح المشوهة. الأمهات كالهياكل العظمية يحملن أطفالا ليسوا إلا عيونا وعظاما. أجساد راقدة على الرصيف مغطاة بملايين الذباب كأنما كتل من القمامة. الأذرع المعروقة ممدودة واليد متكورة منتظرة أحدا يلقى فيكفها شيئا تأكله. لوحة ثابتة تمثل صراع الإنسان الأخير من أجل البقاء. دائما الشحاذون في كل مكان حتى في المطارات. الأطفال الجوعى، الشباب العميان، المصابون بالدرن الرئوي، معظم الوجوه مليئة بالحفر بسبب الجدري القديم. أعدادهم كثيرة إلى حد أنك تعتبرهم جزءا لايتجزأ من الحياة، ولابد أن تعترف بهم كعالم ضخم يتهدد عالما آخر من الناس يركبون السيارات ويتخمهم الأكل. الجوع يكسح الحياة هنا كالفيضان أنه لا يأتي أنه دائما موجود كأحد الظواهر الثابتة في الحياة. والناس تحولوا إلى عيون سوداء جاحظة لا يعيشون ولا يموتون لكن قلوبهم تستمر وحدها في الدق بطريقة مجهولة لا يعرفها الأطباء"[118].

[118] المصدر نفسه ص: 233

ومن نماذج وصف مناظر الطبيعة ومشاهد التجول في ربوع الهند: "عربة الجيب تعود بنا إلى المدينة. الشمس تهبط في الغرب من وراء الأشجار. على جانبي الطريق أرى أشجار الموز وحقول المسطرده ذات الزهور الصفراء، وحقول قصب السكر، والقمح وزيت الخروع. في السماء تحلق الغربان والحمام والعصافير. بين الأشجار الكثيفة ألمح السحالي والثعالب الصغيرة والقرود بعضها يجرى ويلعب والبعض جالس فوق الشجر يرمق الطريق بعيون شاردة متأملة كعيون البشر. الأم القردة، من حولها أطفالها يلعبون وهي تسير بخطوات بطيئة كالرجل العجوز الوقور. القردة الصغار يضربون بعضهم البعض ويلعبون معا تماما كأطفالنا. نظرت إلى القردة الأم واكتشفت أنها تراقبني حركاتها إنسانية وصوتها أيضا إنسانيا"[119].

رحلة محمد حسنين هيكل

محمد حسنين هيكل إعلامي مصري، ولد في عهد الملك فؤاد الأول وعاصر الملك فاروق، وتفاعل مع سبعة رؤساء في عهد الجمهورية. بدأ مساره المهني أيام الحرب العالمية الثانية، وسطع نجمه مع رفيق دربه الرئيس جمال عبد الناصر، وكان ظله الذي لا يفارقه ومستشاره الشخصي. بدأ الاشتغال في الصحافة عام 1943م، بعد تخرجه في جامعة القاهرة، توفي عام 2016.

جواهرلال نهرو المثقف والسلطة

يتضمن هذا الفصل"جواهر لال نهرو المثقف والسلطة" تفاصيل رحلات هيكل المتكررة إلى الهند، وهو مأخوذ من كتاب "زيارة جديدة للتاريخ" للهيكل الذي يحمل في طياته أخبار وتفاصيل

[119] المصدر نفسه ص : 278

مقابلات أجراها مع سبع شخصيات كبار، بما فيهم السيد جواهر لال نهرو، من الساسة والقادة ورجال الفكر وأعلام التاريخ الذين أتاحت له الظروف لمعايشتهم ومحاورتهم وجها لوجه في شتى حقب التاريخ ، لأغراض وأهداف مختلفة من القضايا السياسية والثقافية والدبلوماسية. وكان لقاءه الأول مع الهند سنة 1953م وصولا إلى دلهي في أوائل شهر يناير قادما من الشرق (من كوريا واليابان وتايوان والهند الصينية وهونج كونج وتايلاند وبورما). ثم تتابعت رحلاته إلى الهند لبواعث عدة نحوا من إحدى عشرة سفرة؛ فيما مكنه للقيام بالحوار مع إندرا غاندي ابنة نهرو سنة 1973. وقد دون أيضا أخبار لقاءه ومقابلته مع السيدة إندرا غاندي بعنوان"مع إمبراطورة الهند" في كتاب 'أحاديث في آسيا' في نحو 23صفحة.[120]

يحتوي هذا الفصل 'نهرو المثقف والسلطة' على حكايات ترحاله في ربوع دهلي، وماقام به من زيارات إلى المعابد والمتاحف والجامعات مع رفاقه المصريين، صادفهم من أرض الهند من أمثال حسين هيكل وقرينته ووايت إبراهيم وقرينته، محاولين التعرف على حضارة الهند تحت إرشادات ودلالة أستاذ الديانات الهندية،السيد راداكرشنن الذي أصبح بعد رئيسا للهند، إضافة إلى أخبار ونصوص المقابلات والحوارات مع نهرو أكثر من مرة، ولقاءه مع إندرا ومسجلات رحلة هيكل بشكل صحفي مع نهرو وجمال عبد الناصر إلى باندونج، وما شهده المؤتمر التاريخي من الحوارات والمشورات، مع تسليط الضوء على فحوى خطبة نهرو وما قدمه من الآراء والنظريات السياسية.

[120] أحاديث في آسيا، محمد حسنين هيكل، ص: 223-245

وصف تفاصيل الرحلة

وأما وصف تنقله في الهند فيبدأ من حين تقديمه الدكتور هيكل باشا إلى الأستاذ رادا كريشنان، ثم انحشروا جميعا(ستة أفراد) في سيارة واحدة، وتوجهوا إلى معبدبيرلا(Birla Mandir). وجمعهم الأستاذ رادا كريشنان في ركن من ساحة المعبد، وحاول تعريفهم مسبقا بما سوف يرونه، ثم أمرهم الأستاذ قبل دخول المعبد أن يذكروا بضعة أسماء ويستوعبوا معانيها، كي يكون الشرح داخل المبنى أسهل وأقرب إلى الفهم."وكانت الكلمة الأولى هي 'البراهمان' أي روح الكون، ثم كلمة 'الأتمان' وهي روح الفرد، ثم كلمة 'كارما' وهي الصراع بين الخير والشر، وأخيرا كلمة 'موكشا' وهي نتيجة العمل الصالح. والعلاقة بين الكلمات الأربعة متصلة، في البراهمان روح الوجود خالدة لاتتغير، والأتمان روح الإنسان وهي باقية، ولكنها تتغير بالتناسخ الأبدي للأرواح. ثم إن الكارما وهي صراع الخير والشر: هي نضال الإنسان من خلال المعرفة والعمل والجهد والإخلاص للوصول للموكشا، وهي التي تحقق ارتقاء الروح وتخليصها من أسر الجسد والميلاد والموت وتصلها بروح الكون ترفعها إلى النيرفانا أي النعيم المقيم والحياة الخالدة"[121]. وهكذا علمهم أستاذ الفلسفة فحوى الفلسفة الهندوسية وجملة معتقداتهم الدينية .

بعد ثلاثة أيام أمضاها تنقلا وسياحة في المعابد والآلهة والصلوات والترانيم والبخور والعرق، امتزجت وتضاربت فيها العقيدة والتاريخ والأسطورة والبشر، وجد موعد اللقاء مع رئيس الوزراء جواهرلال نهرو في «راشتراباتى بهافان» مقر الحكم الرسمي في عاصمة الهند.

[121] حسنين هيكل، زيارة جديدة للتاريخ ص 242.دار الشروق

مقابلات مع الزعيم جواهرلال نهرو

حظي هيكل بتحقيق هدفه من مقابلة نهرو، والحديث معه عن القضايا السياسية والروابط بين مصر والهند؛ مما أدى إلى استفسار نهرو عن زعماء حزب الوفد من النحاس باشا وعبيد مكرم، وأنه قد نزل ضيفا عند باشا سنة ١٩٣٨ م حيث زار مصر بدعوة من النحاس لمدة يوم واحد، والحقيقة أنه كان في طريقه إلى أوروبا وعرف النحاس أنه سوف يعبر قناة السويس على باخرة من الهند إلى فرنسا، وبعث له خطاب دعوة لزيارته، وتركت الباخرة في السويس وتوجه إلى القاهرة، ثم إلى الإسكندرية وقابله وركب نفس الباخرة من الإسكندرية إلى أوروبا.

يحكي هيكل تجربة طريفة، وذلك أنه حين زار الهند لأول مرة، قابل نهرو وأعرب عن أمنيته وهدفه المنشود في"محاولة لإعادة اكتشاف الهند بعينيه وليس بعيون الرحالة القدامى و المحدثين، فسأله: وماذا اكتشفت؟، فأجاب هيكل: وهل يستطيع أحد أن يكتشف الهند فى خمسة أيام؟.. يحتاج المرء أربع سنين على الأقل ليفهم. فراعه نهرو بجوابه في لهجة مبطنة بشيء من السخرية والمرارة : لعلك تنجح فيما لم أنجح فيه أنا. لقد قضيت حتى الآن أكثر من خمسين سنة، أحاول اكتشاف الهند ولم أستطع، عرفت أشياء عن الهند، ولكني لم أكتشف الهند كلها بعد."[122]

وقد تكررت المقابلات واللقاءات بين هيكل ونهرو في سنة 1954 من القاهرة وفي 1955 بداية لمؤتمر باندوج في حين ينسج السيد نهرو وجمال عبد الناصر خيوط العلاقة الوطيدة بين مصر

[122] المصدر نفسه.ص:245

والهند بدقة. ومن جهة كون هيكل صاحب سر جمال عبد الناصر كان يتمتع بالصحبة والجوار مع نهرو في شتى فترات من التاريخ، وبالخصوص في ظروف مؤتمر باندوج في إندونيسيا حيث رافقهما بشكل صحفي أمين في الجولات والجلسات. وقد سلط هيكل الضوء على تفاصيل خطب نهرو في نفس المؤتمر. ومرت سنوات بعد سنوات، وأصبحت إنديرا رئيسة الوزراء، فقابلها بعد ذلك مرة في مكتبها سنة ١٩٧٣. يذكر عن ذلك الحوار :"وتحدثنا طويلا عن نهرو، وعن أول مرة استمعت إليه فيها مطولا في باندونج سنة 1955 إلى آخر مرة رأيته فيها على فراش المرض في غرفة نومه سنة 1964بالمقر الرسمي لرئيس الوزراء. وقالت إنديرا غاندي: لقد أصبح هذا البيت متحفا لحياته وأعماله، لقد ذهب في نفس الغرفة التي قابلته أنت فيها آخر مرة." [123]

وكان من حسن حظه، الحصول على فرص المشاركة مع الساسة والقادة في تجمعات عدة، عقدت بمناسبة مؤتمر باندونج[124]، واغتنم ذلك مقابلة واستماعا واستفادة من خطب نهرو ومواقفه الدبلوماسية، الأمر الذي جعله شغوفا وحريصا على متابعة شخصية نهرو الفريدة فكرا وفلسفة وسياسة. ولذا لم يقتصر صاحب الرحلة على ذكر محتويات كلام نهرو، بل سجل مظاهره الشكلية من قماش وقلنسوة، منبهرا بكيفية أداءه وجمال شخصيته البارزة. وهنا يتحدث عن خطبة نهرو:

"ونزلت يده المرفوعة، وأنظار الجميع معلقة بشفتيه، وإذا هو يحني رأسه ويروح بقلم في يده يكتب بينما هو في نفس الوقت يهز رأسه، إشارة شكر إلى رئيس الجلسة إذ أعطاه حق الكلمة.

---

[123] المصدرنفسه ، ص 287

[124] Bandung Conference 1955

ومرت لحظات، ونهرو مازال يكتب. وأنفاس القاعة محتبسة في انتظاره وهو مازال يكتب..ثم رفع رأسه. ووضع قلمه. ومد يده فأزاح رداء رأسه التقليدي الأبيض، وألقاه أمامه على المائدة بغير اكتراث. ثم أدار رأسه العاري إلا من شعره الذي غطاه الشيب وقال وهو يدور بنظره حول القاعة المشدودة الأنظار :"أيها السادة ... أنتم تثيرون فزعي. وسرت في القاعة همهمة ضاحكة، ولم يتوقف نهرو: نعم أنتم تثيرون فزعي وإلى درجة الموت!، وساد القاعة صمت أمسك بأنفاسها مرة أخرى، بينما نهرو يتأهل للكلام، وهويضع نظارته الصغيرة بإطارها المعدني على عينيه، ثم يلقيها بعد لحظة أمامه ثم يدير البصر حوله في القاعة التي تسمرت أنظار الكل فيها عليه. ومن سوء الحظ، أنني لم أسجل نصوصه وإنما كتبت بعض النقط على ظن إمكانية الحصول على مضبطة للجلسة بوقائعها كاملة، ثم فشلت كل محاولاتي . بدأ نهرو وهو مازال يدير البصر في القاعة حوله عابرا على وجوه كل الجالسين حول مائدة الاجتماعات الكبيرة مستطيلة الشكل، قال أولا: إن كثيرين من أصدقائنا، هنا يتكلمون عن الحرية والاستقلال....كثيرين خصوصا من رفاقنا في أفريقيا....إنني عددت كلمة «الحرية والاستقلال» في كلام ممثلي الحركة الشعبية في كينيا وروديسيا (زيمبابوي فيما بعد) فإذا هي كثيرة. كثيرة جدا ... المندوب المحترم من كينيا، كررها تسع عشرة مرة، والمندوب من روديسيا كان أكثر تواضعا، فقد كررها ست عشرة مرة فقط ... ليس بين الذين سمعتهم أمس، واليوم من لم يكررها عشر مرات على الأقل. أريد أن أسألكم ماذا تعرفون جميعا عن الحرية والاستقلال."[125]

[125] زيارة جديدة للتاريخ. ص: 254

وأثناء حواره مع جوهرلال نهرو، يأتي حديث تقسيم الهند وملاحظة نهرو إزاء تقسيم البلاد، وما يترتب عليها من الفوضى وسفك الدماء، وأشكال التخريب والتدمير؛ مما يؤدي إلى انهيار و دمار الهند. يحكي الكاتب تعليقات نهرو: "كانت المحنة الكبرى يوم اضطررت إلى قبول تقسيم الهند بين الهندوس والمسلمين. كان محمد علي جناح زعيم مسلمي الهند، مصمما على أن تكون لمسلمي الهند دولة مستقلة، وبالطبع كان هناك تشجيع من جهات كثيرة. 'جناح' قال لنا وهو ممسك بكأس شمبانيا: إنه لن يوقع معنا على وثيقة طلب خروج الإنجليز من الهند إلا إذا عرف أولا خطوط الحدود التي سنتركها لباكستان".

"كانت مأساة، وكنت أشعر أن التقسيم سكين يقطع في اللحم الحي للهند، وكان علينا أن نتعلم من التاريخ. الألمان عاشوا حروبا دينية طويلة بين الكاثوليكية و البروتستانتية. الحقيقة أنها كانت حروبا طبقية وعرقية وثقافية، أغرقت الألمان مائة سنة في بحر من الدماء قرنا كاملا. في بدايته كان الألمان ثلاثين مليونا، وفي نهايته أصبحوا خمسة ملايين. ولو أن عملية الذبح بدأت في الهند بين المسلمين والهندوس لضاع أمل كل الهند في أي مستقبل. لأن الحرب الأهلية لن تكون لها نهاية إلا في ظل دكتاتورية ليس في رأسها غير ظلمة حالكة !. بعد مأساة التقسيم جاء اختبار الاستقلال. ورحت أتكلم كل يوم وأعبئ الناس. فقد كان في خيالي حلم اشتراكي عظيم، وكنت أدرك بعد التجربة السوفييتية: أن هناك شرطا أساسيا لنجاح الاشتراكية وهو مشاركة

الناس في الفكر وفي الفعل، وإلا فإن سلطة الشعب التي يمثلها الحزب تتحول إلى بيروقراطية حزب، شأنها شأن كل البيروقراطيات، وفيها كل عيوبها". [126]

رحلة عبد المنعم النمر

عبد المنعم النمر1913 -1991

واحد من أبرز علماء الأزهر. تخرج فى كلية أصول الدين سنة 1939، ثم حصل على العالمية، وعين مدرساً بكلية اللغة العربية، وحصل على الدكتوراه عام 1972م. عين وزيرا للأوقاف سنة 1979م. ومن مؤلفاته: مولانا أبو الكلام آزاد حياته وجهاده الديني والوطني في سبيل تحرير الهند، وهى رسالته للدكتوراه سنة1972 .الإسلام والشيوعية، حضارتنا وحضارتهم، إسلام لا شيوعية، مشاكلنا فى ضوء الإسلام، الإسلام والغرب وجها لوجه، كفاح المسلمين فى تحرير الهند. توفي عام1991. [127]

اهتمامه بالدراسات الهندية

كان شغوفا بالحضارة الإسلامية وآثارها الرائعة في الهند، حيث استرعى انتباهه تاريخ الإسلام في الهند وبشكل ملحوظ، لما أتيح له التجول في أرجاء الهند، حين أرسل مبعوثا إلى الهند من قبل الأزهر والمؤتمر الإسلامي، فسافر للتدريس في جامعة دار العلوم بديوبند، كأول مبعوث مصري للهند، يرافقه الشيخ عبد العال العقباوي. واستثمر تلك الرحلة الدعوية في دراسة علماء الهند

[126] المصدر نفسه. ص 281

[127] د. محمد الجوادي، العلامة عبد المنعم النمر الثمرة الناضجة للاتزان الأزهري النشط . مقالة، مدونات، 23-8-2020

من المفسرين والمحدثين، متأثرا بمسيرة الزعيم مولانا أبو الكلام آزاد وحياته النضالية.[128]وكان له عناية ملحوظة بعرض تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند عبر القرون دراسة وتحليلا؛ مما شجعه على التأليف في هذا الإطار كتبا جادة مثل 'كفاح المسلمين في تحرير الهند'عام 1964، كما أخرج كتابا شاملا في جزءين عن مولانا أبو الكلام آزاد، وكان موضوع رسالة الدكتوراه، إلى جانب كتاب 'تاريخ الإسلام في الهند' الذي يعتبر موسوعة عربية عن تاريخ المسلمين الهنود .

تاريخ الإسلام في الهند

وهذا الكتاب يأتي ضمن الدراسات التاريخية المستفيضة عن الهند ومسلميها، ومسيرة الحكم الإسلامي عبر القرون، قام بها صاحبهامتنقلا في ربوع الهند أكثر من سنتين، متضمنا وصف مشاهدات وتجارب المؤلف أيام إقامته في البلد، إلى جانب ما سجل في ثناياه من أخبار رحلته في أرجاء الهند. وأما قصة هذا الكتاب، فقد سافر الأستاذ عبد المنعم النمر إلى الهند في يناير 1956م مبعوثاً من الأزهر والمؤتمر الإسلامي، وأقام أكثر من سنتين وثلاثة شهور، متنقلا بين ربوع الهند دارساً لأحوالها وآثارها وتاريخها القريب والبعيد، ثم عاد وأخرج كتابه الضخم'تاريخ الإسلام في الهند'، مشتملا على معلومات وحقائق وافية عن الحضارة الإسلامية المزدهرة، وعن الحكم الإسلامي الذي استمر يحكم الهند ثمانية قرون ونصف قرن حتى سنة 1857م. وفي معرض ذكر الحقائق والمعارف التاريخية ووصف المعالم والآثار، وقيامه بزيارة المعابد والضرائح

[128]في ذكرى رحيله عبد المنعم النمر الوزير الثائر. تحقيق- خالد المطعني . مقالة، الأهرام، يونيو -1 -2013.

ومراكز العلوم والجامعات الهندية، يسجل ما عاينه من المشاهد وعايشه من الأحداث والوقائع ولاقاه من التجارب.

ويجدر ههنا بالذكر ما لاحظه الشيخ النمر في معرض بيان تجارة الهند ومنتجاتها الزراعية والصناعية من صادرات الهند من ارتباط التجارة وعوامل النزاع الناتجة منها بالاستعمار وبواعثه:"ولعل مما اشتهرت به الهند من قديم خيراتها الوفيرة التي كانت تصدر إلى البلاد الغربية، أعني التي تقع في الجهة الغربية منها سواء أكانت البلاد العربية أم الإفريقية أم الأوربية، وكانت هذه الشهرة مما أسال لعاب الأوربيين وجعلهم يتسابقون إلى الهند، وكانت تجارتها التي تذهب إلى أوروبا مارة بالبلاد العربية ومصر، من مصادر ثروة هذه البلاد بما يجبى عليها من ضرائب، ثم كانت هذه التجارة من عوامل النزاع بين أوروبا وبين البلاد العربية ولا سيما مصر، ثم بين الدول الأوروبية نفسها مثل جنوا والبندقية ومثل أسبانيا والبرتغال وهولندا وإنجلترا وفرنسا في استعمار الهند. وكانت صادرات الهند والرغبة في الاستفادة منها سبباً في اكتشاف رأس الرجاء الصالح، بل سببا في اكتشاف الدنيا الجديدة أي الأميركتين حينما حاول كولمبس أن يصل إلى الهند عن طريق الاتجاه إلى الغرب بدلا من الشرق. ولمعان اسم الهند وتجارتها في أوروبا في ذلك الوقت، هو الذي سبب كل هذا النشاط، وهو الذي جعلهم يسمون الجزر التي وصل إليها المكتشفون الأوربيون في أمريكا باسم جزر الهند الغربية لأنهم ظنوا حينما وصلوا إليها أنها هي الهند. ثم يلفت النظر إلى الباعث الجذري الذي أدى الإنجليز إلى استعمار مصر، حيث

كان استعمار الهند مدعاة لأن يؤمن الإنجليز طرقهم إليها، فعمدوا إلى استعمار مصر ومداخل البحر الأحمر في عدن والشواطئ الشرقية لأفريقية ثم الشواطئ الجنوبية لجزيرة العرب". [129]

نظام الطبقات ومعاناة المنبوذين

وفي فصل'فكرة الطبقات' يسهب النمر في حديثه عن نظام الطبقات، السائد في الحياة الاجتماعية الهندية، وكيفية تشكل الطوائف المنبوذين المعروفين ب'شودرا' ومعاناتهم من إخوتهم الهندوسيين. ويحكي ما لاقاه من خادم بيته: أنه لما أعطاه كوب الماء حين طلب، امتنع عن لمسها وابتعد عنه، وأشار ليصب المؤلف الماء في يده وهو يشرب. وتكرر نفس الحادثة مرة أخرى حين جاءت خادمة من طبقة شودرا إلى بيته، فذهبت بنته الصغيرة بالكوب، وناولتها إياها ولكنها امتنعت وأشارت لصب الماء في كفها، وأثناء الصب فزعت المنبوذة وارتعدت وابتعدت.

ويذكر الشيخ النمر بهذه المناسبة البعثة الأزهرية التي أوفدها الأزهر سنة 1936م إلى الهند لتبحث في شأن المنبوذين بمناسبة ما أشيع من عزمهم على تغيير دينهم، وكانت البعثة برئاسة المرحوم الشيخ إبراهيم الجبالي وعضوية المرحومين الشيخ عبد الوهاب النجار والشيخ محمد أحمد العدوي وسكرتيرية المرحوم الأستاذ حبيب أحمد. وقد مكثت البعثة في الهند عدة شهور تتصل بالمهتمين بالشؤون الإسلامية، وتبحث معهم في إمكانيات العمل الذي يستطيع الأزهر أن يقدمه لهذه الطائفة ترغيباً لها في الإسلام. ولكن هذه البعثة لم تخرج بنتيجة عملية ملحوظة، وليس من المعقول، أن مصر تستطيع أن تؤثر في هذا العدد الضخم وتجذبه للإسلام في حين

[129] د، عبد المنعم النمر. تاريخ الإسلام في الهند. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت، ص 35

كون مسلمي الهند الذين يجاملون معهم ليل نهار، عاملا منفرا من الإسلام بمعاملاتهم السيئة للمنبوذين، اللهم إلا بعض من الجالية المسلمة.[130] ثم يتحدث عن أمبيدكار رئيس المنبوذين وميوله الذهنية واتجاهه أخيرا نحو البوذية مع عرض تقرير البعثة.

البوذية ونالندا

وقد قام النمر بزيارة منطقة نالندا(Nalanda) قريبا من بتنا في بيهار، للتعرف على البوذية وتعاليمها ومعالم ثقافتها العريقة، ويقف منبهرا أمام هذه المشاهد والآثار التاريخية.يقول: "تجد البوذية من حكومة الهند عناية خاصة من جهة الأبحاث، ففي منطقة نالندا قريباً من بتنا في بيهار،أقامت معهداً للبحوث في الثقافة والتعاليم البوذية بجانب الجامعة القديمة التي اكتشفوا مبانيها، والتي ترجع إلى مئات من السنين قبل الميلاد، وقد حظي بزيارة هذه المنطقة بصحبة أحد وزراء بيهار (شاه محمد عزيز منعمي) وبعض علمائها، وقضوا وقتاً قصيراً في المعهد متعرفين على مهمته، ومطلعين على بعض الكتب النادرة المستقدمة من جميع أنحاء العالم للبحث عن البوذية وآدابها وتعاليمها. وكان بعض هذه الكتب قد كتب على خوص النخيل المعروف في الهند باسم التار، ويمتاز بأنه عريض وأملس. ولاحظوا بالمعهد طلاباً من جميع الأمم الشرقية التي تعنى بالبوذية، وسجل كلمة إعجاب بالروح التي أملت قيام هذا المعهد، ودفع هؤلاء الشبان إلى التخصص والتفرغ لما يعنى به من الدراسات القديمة". [131]

[130] المصدر نفسه، ص 57.

[131] المصدرنفسه، ص 85.

أنيس منصور

أنيس محمد منصور (1924 - 2011)، كاتب صحفي فيلسوف وأديب من مصر. التحق في كلية الآداب في جامعة القاهرة، دخل قسم الفلسفة الذي تفوّق فيه، وحصل على ليسانس آداب عام 1947م، عمل أستاذاً ثم تفرّغ للكتابة والعمل الصحافي في مؤسسة أخبار اليوم. ظلَّ يعمل في أخبار اليوم حتى تركها في عام 1976 ليكون رئيساً لمجلس إدارة دار المعارف، وثم أصدر مجلة الكواكب. ومن مؤلفاته في الرحلة : حول العالم في 200 يوم، اليمن ذلك المجهول، أنت في اليابان وبلاد أخرى.

حول العالم في 200يوم

لقي هذا الكتاب عند صدوره حفاوة من القراء والأدباء، وظل محط أنظار عشاق أدب الرحلة. وكان أول كتاب يفوز بجائزة الدولة في أدب الرحلة. يعتقد منصور معنى المثل الإنجليزي من أن المسافر:"يجب أن يكون له عينا صقر ليرى كل شئ، وأن تكون له أذنا حمار ليسمع كل شئ، وأن يكون له فم خنزير ليأكل أي شئ، وأن يكون له ظهر جمل ليتحمل أي شئ، وأن تكون له ساقا معزة لا تتعبان من المشي.. وأن يكون له حقيبتان إحداهما امتلأت بالمال، والثانية امتلأت بالصبر."[132]

بمجرد إلقاء نظرة سطحية عبر الكتاب، يتضح جليا أن صاحب الرحلة قد اجتمعت فيه هذه الأوصاف الضرورية والمؤهلات التي يكتسي بها الرحالة من عين ناقدة وبصيرة منفتحة على

[132] حول العالم. ص 17. دار نهضة مصر الطبعة العاشرة 2019

العالم، ممزوجا بالمتعة والطرف والجد والهزل وشيء من السخرية والتهكم والفلسفة والتاريخ والحكم في ضوء المعارف والعلوم. تتضح مكانة هذا الكتاب من تعليق طه حسين: "والإحساس الذي لا يفارقك أثناء القراءة، هو أنك مع الكاتب تشهد ما يشهد وتسمع ما يسمع، وتجد ما يجد من ألم ولذة ومن سخط أو رضى، تسافر معه وتقيم حين يقيم مع أنك لا تبرح مكانك."[133]

تستغرق نصوص الرحلة عن الهند أكثر من مائة وعشر صفحات، ضمن ستة عناوين: (كل شيء كثير) و(باسم الله) و(صاحب القداسة رفض) و(إله في انتظاري) و(حفاة تقدميون جدا) و(تأملات هندية).

وأما التسلسل الزمني لمسيرته في ربوع الهند، فكان أول نزوله في مطار مومباي، ثم ينتقل إلى دلهي، وقام بجولات في أرجاء دلهي، ثم توجه إلى مسوري في أقصى شمال الهند للقاء قداسة الدلايلاما، وبعد ما أتم مهمته الصحفية من إجراء مقابلة مع دلاي لاما، عمد إلى أراضي كيرالا من طريق مدراس بعد إقامته فيها بضعة أيام. وكان حاضرا في نيودلهي في أحلك المواقف السياسية بالنسبة للهند، حيث يوجد زحف صيني على الحدود في الشمال أو على الخط المعروف باسم خط ماكموهان. والدلاي لاما الذي هرب من التبت أمام القوات الصينية قد استقر في الهند، والذي من أجله سافر إلى الهمالايا، وفي كيرالا قد نجح الحزب الشيوعي في الانتخاب وجاءت وزارة شيوعية رغم إرادة نهرو أو رغم أنف حزب المؤتمر الذي يتزعمه السيد نهرو.

[133] حول العالم. ص 29، من مقدمة الطبعة الثالثة لطه حسين.

مع نمبودريباد في كيرالا

"لقد كان الغرض الجوهري من رحلة منصور، السفر إلى ولاية كيرالا لإعداد تحقيق صحفي عن الولاية الوحيدة في الهند التي فاز فيها الحزب الشيوعي بحكومة 100%. وقد ثار حزب الحكومة المركزية على هذه الولاية، واتهم حكومتها بالطغيان والاستبداد، والتدخل في معتقدات الناس وتغيير كتب التاريخ". وحظي بإجراء مقابلة مع رئيس الوزراء 'نامبودريباد' وحاور معه عن القضايا السياسية والدبلوماسية وعن النشاطات الشيوعية في البلاد العربية من مصر وسوريا والعراق، وعن الظروف السياسية آنذاك، إلى جانب طرح منصور تساؤلات عن الصراع الداخلي مع الحكومة المركزية تحت قيادة نهرو.

ظل منصور منبهرا بشخصية نمبودري، وشكله البسيط حتى وصفه "بأنه رجل متوسط القامة ممتلئ، وله رأس كبير، وأنه قابله حافي القدمين، وكذلك أولاده.. وكان يضع يده على رأسه كلما سأله سؤالا، وكلما تطلع إليه ليسمع الجواب، كانت حركات يديه تخفي صورتي 'لينين' و 'مار كس' على الحائط وراءه، وفي كل مرة ينفعل كان ينحني لجمع الكتب التي سقطت على مكتبه، وكلها عن 'ستالين'[134]".

يأتي منصور بنبذة عن نمبودري والحزب الشيوعي:"وهو الرجل الثاني في الهند، فالصحف لا تتحدث إلا عن رجلين: نهرو وهذا الرجل، إنه ابن الأكابر، فأبوه من أعرق عائلة دينية في كيرالا على الإطلاق، فهو ينتسب إلى أسرة نامبودري، وهم سادة طائفة 'النايرز' وسادة الأسرة المالكة

[134] JOSEPH STALIN جوزيف ستالين سياسي ثائر سوفياتي

التي تسمى'ثامبي' . وهذا الرجل قد تشرد باسم الحزب الشيوعي ودخل السجن، وكان عضوا بارزا في حزب المؤتمر الهندي حتى سنة 1934م حين انشق عنه، وتزعم لجنة كيرالا للحزب الشيوعي سنة 1939م، وهذا هو الاسم الحقيقي للحزب الشيوعي في كيرالا الآن، ودفع ما ورثه من أبيه للحزب."[135]

مقابلة الدلاي لاما

وكان من المهمة الرئيسية التي من أجل تحقيقها قدم إلى الهند، اللقاء مع دلايلاما، ولذا سافر إلى مسوري في شمال الهند للمقابلة. وتحدث إليه عن حياته وعن أزمته. وعندما طلب أن يقابله، رفضت السلطات فذهب إليه في بيته ورفض الحراس، فقابل وزراءه، وادعى أنه مريض قادم من مصر، وأن شفائه على يديه.. ونقلوه له على محفة وهو ملفوف بكل ما عنده من بطاطين. وكان الجو باردا جدا فوق الهملايا في الصيف . ومن تحت البطاطين والأغطية، أخرج الكاميرا وصوره وصور أمه لأول مرة في حياتها، ولأول مرة في العالم، كما حظي بالجلوس إلى جوار الدلائي لاما، لكي تظهر له أول صورة نشرت له في العالم العربي أو صورة تنشرها "أخبار اليوم" للدلائي لاما.

الانتقاد على طقوس وتقاليد الهنود

قد اتسم منصور بأوصاف يجب أن يتصف بها كاتب الرحلات الناجح، على حد تعبير محمود تيمور: "وكاتب الرحلات الناجح، لا بد أن تتوافر له ألمعية الملاحظة، ورهافة الفطنة وسرعة

[135] حول العالم ، ص 106 دار نهضة مصر. الطبعة العاشرة 2019

الالتقاط والقدرة على استبانة الملامح والمعالم، وبخاصة ما يدق منها على النظرة العابرة، وما يتصل منها بالعادات والسلوك والأوضاع الاجتماعية التي لا تخلو من غرابة، وكل هذه المؤهلات تستجمع للأستاذ أنيس منصور وهو يضرب بعصاه الأرض، ويمعن نظراته هنا وهناك، فتخترق في الزوايا والخبايا".[136]

ومن هنا، قد بذل منصور كل ما في وسعه في توجيه النقد للعادات والتقاليد المتوارثة، التي واظب عليها أهل الهند في الشوارع والأسواق والفضاء العام من مضغ البان وبصقها على الأرض، ومظاهر اللامبالاة في شؤون الطهارة، فيما يبدو من غضون كلامه عن معاناته من أذى البعوض في ولاية مدراس[137] حيث تنقل خائفا محترزا من وباء مليريا وكولارا.

"يرى الناس كلهم يمضغون اللبان، بائع اللبان وأستاذ الجامعة والوزير... ولكن الذي أثار دهشته، هو فكرة كيف يبصق إنسان محترم على الأرض، ولا يعرف إن كان السبب هو شعوره بأنه لا يضيف إلى الأرض شيئا بهذا البصق، فهي قذرة، وإن كانت هذه البصقات أشبه ببقع في لوحة سريالية قاتمة..أو ربما كان السبب هو أن اللون الأحمر لا يخرج من المناديل مهما غسلوها. أذهلته هذه الفكرة"[138]. وبالجملة كان منبهرا بغرابة الهند فيما يظهر من تعليقه: "الهند هي رأس آسيا .. وهي شعرها الطويل والقصير .. هي العمامة أم ديل ،والعمامة بلا ديل

[136] حول العالم ، ص 37من مقدمة الطبعة التاسعة لمحمود تيمور.

[137] Chennai حاليا

[138] حول العالم في 200 يوم. دار نهضة مصر، الجيزة . الطبعة العاشرة . 2019 ص 47

،هي العنوان الذي كله معنى، وهي عنوان لا علاقة له بالموضوع . هي أغرب ما في آسيا، وأغرب ما في الدنيا .. لكنها شيء كبير .. كبير جدا!".[139]

وكان منصور معجبا بشخصية نهرو، وسياساته وطريقة اتخاذ القرارات، وتناول العراقيل والمعضلات السياسية والحكومية، وقد نوه بنهرو وتميزه من بين أمثاله من زعماء العالم والقادة، وذلك يظهر من قوله: "والرئيس نهرو من مواليد 9 8 8 1 م، من مدينة 'الله آباد' ،وهي نفس السنة التي ولد فيها العقاد وطه حسين والمازني وهتلر وشارلي شابلن والفلاسفة مارتن هيدجر وجبرييل مارسيل والمؤرخان توينبي وعبد الرحمن الرافعي. وهو، ولا شك أكثرهم حيوية ونشاطا وأحبهم أيضا. فهو إلى جانب أنه كاتب وسياسي وزعيم، هو إنسان من أشد الناس إيمانا بالسلام بين الشعوب. ولم يفته أن يذكر عبارة لنهرو: الاشتراكية بالنسبة لي ليست فقط نظرية أعشقها، وإنما هي عقيدة حيوية وأتمسك بها من كل عقلي وقلبي."[140]

القيمة الفنية

ومن ناحية الاعتبار الفني، تحتل مدونة أنيس مكانة مرموقة في مجال كتابات الرحلة، بوصفه علما بارزا من رواد الصحافة والأدب، إضافة إلى تضلعه في الفلسفة والتاريخ والترجمة وبشكل خاص في مجال أدب الرحلة.

ولذا تبرز عناصر الفن والأدب واضحة في سرديته ووصفه، وأسلوب عرض الأفكار وتسجيل المشاهدات والانطباعات. وفيما يلي نموذج رائع لوصف الطبيعة والمناظر وبيئة الهند الجاذبة :

---

[139] المصدر نفسه.ص:151

[140] المصدرنفسه ، ص 68

"وطلعت الشمس.. واليوم فقط أشم هواء حقيقيا.. هواء لا تمتصه أجهزة التكييف من الشوارع.. هواء ليس نفاية الناس..ولا فضلة خيرهم.. هواء لم تدوخه المروحة المشنوقة في السقف..هواء اليوم من الجبل..النافذة مفتوحة أمامي..الطبيعة كلها رائقة جميلة مغسولة..المطر جعلها مصونة مكنونة في ورق سلوفان..أو كأنها تغطت بالحرير الهندي الشفاف. كل شيء له لون ثابت صادق لا يتغير ..كل شيء صدق. لا سياسة لا أديان لا لغات لا جنسيات. فهذه الأشجار قد ظهرت قبل الدين والسياسة واللغة. ظهرت قبل الإنسان وما تزال، كما كانت عالمية في معناها وكلامها وألحانها وعطورها. طول ليلة أمس كانت الأمطار ثقيلة تلطم وجه الأرض. كأن ثقبا في السماء قد انفتح. أو كأن الملائكة كانوا يغسلون الكواكب والنجوم، استعدادا لأحد أعيادهم التي لا نعرفها."[141]

يبدو الجانب الوصفي في صورة سرد قصصي ممتع من معرض ذكر عيد 'مهرام'، أي ذكرى يوم 10محرم، يوم مقتل الحسين بن علي، عاين احتفالاته أثناء مكوثه في كيرالا. وذلك من قوله:"وهنا في مدينة تريفاندروم، عاصمة ولاية كيرالا ..يحتفلون بمقتل الحسين بصورة مزرية مضحكة، فيبدأ المهرجان بطبول تشبه طبول الأراجوز بالضبط، ويتقدم المهرجان عشرون شابا وطفلا، وقد دهنوا أجسامهم بالزفت، وراحوا يرقصون ويخرجون ألسنتهم للناس ويتهجمون على المحلات العامة وعلى المشاة، ويطلبون منهم شيئا لله وبالقوة، وقد التفوا حولي.. وكنت قد أطلقت شاربي ولحيتي، ولبست بالطو مطر فصرت كأنني أحد المبشرين.. وخشيت على ملابسي من الزفت، فأعطيتهم بعض الروبيات، فتركوا المهرجان وراحوا يقتسمونها. وبعد

[141] المصدر نفسه.ص: 83

هؤلاء المزفتين يجيء عدد آخر من العراة، وقد صبغوا جلودهم باللون الأصفر الأرقط تماما كجلد النمر. وصبغوا وجوههم باللون الأصفر، وجعلوا فيها ملامح النمر أيضا. وبعد هذا يجيء الخليفة على ظهر الحصان، وقد ارتدى طاقية صوف. وأخيرا نموذج صغير من الفضة لمسجد الحسين والطبول والأصوات والصفير تكتسح الجميع."[142]

انتقادات الرحلة

ومما يؤاخذ على منصور، شعوره بالقلق وإحساسه بالضيق والحرج ومظاهر الانزعاج، وعدم الاستقرار؛ مما جعله يواجه الحالات والظروف بمنظار أسود ونظرة سلبية طوال تنقلاته في ربوع الهند، حيث يغلب طابع الشكاوي والقلق في عرض انطباعاته ومشاعره تجاه مظاهر الثقافة الهندية ومعالم حياتها العادية.

فرحلته حافلة بعدة شكاوى من الروائح والألوان المرئية وغير المرئية، وحتى من الذباب والبعوض، مع تعليقات سلبية عن الوجبات والأطعمة والأقمشة، ووسائل الركوب والمرور وغيرها من مظاهر ومشاهد الحياة الهندية، وذلك منذ أن حل بمطار ممباي إلى أن غادر لسيلان، لا يزال يشعر بالقلق، متقلبا على الفراش خائفا من الحشرات والزواحف والهوام السامة تحت ناموسية الجو القاتم الخانق، كما في تعبيره " أكلك نار، شربك نار، بعدك نار، قربك نار، ولا يمكن أن يفهم في القاهرة معنى نار إلا إذا سافر إلى الهند. النار حقيقة تخرج من

[142] المصدر نفسه.ص 126

أنفك وتدخل في صدرك. الطعام كله شطة حمراء، وكما يوجد هواء سائل، توجد أيضا نار سائلة توضح في كل شيء. النار في يدك وفي فمك وفي معدتك، نار يا حبيبي نار."[143]

ولكنه قد حاد فيما بعد عن موقفه هذا، بعدما تعرف عن الهند وولاية كيرالا بشكل عميق، واعترف بنفسه بأن في منهجه شيئا من المغالاة والتعسف، واستدرك فيما بعد، وتمنى أن يعود إلى الهند فيقول: "فيها كل شيء، كل الألوان وكل الأديان وكل الطبقات ومئات اللغات وألوف اللهجات". وقد حظي بزيارة الهند مرة أخرى؛ مما تسبب لاستذكار موقفه الماضي والتراجع منه، وأوضح ذلك في مقال له بعنوان "لأنهم متعلمون فقراء" في جريدة "الشرق الأوسط"عام 2005. بدأ المقال هكذا :"من هنا كانت البداية . من ولاية كيرالا في أقصى الجنوب من الهند، فهذه الولاية الصغيرة هي أعجوبة تاريخية، فليس فيها أميون، وهي فقيرة، وأهلها ساخطون على حالهم، ولذلك هاجروا إلى كل دول الخليج، والذين قرروا البقاء اتجهوا إلى اليسار إلى الشيوعية، ففي سنة 1957 كانت أول حكومة شيوعية أفرزتها الديمقراطية الهندية، وكان من حظي أن قابلت أول رئيس للوزراء سنة 1959، السيد نامبودريباد، وكتبت وكتبت، وفي ذلك الوقت طردت الصين الدلاي لاما وأسكنته الهملايا، وكان لا بد أن أذهب إليه، وذهبت، ووجدت الصحف الهندية تهاجمني بسبب ما كتبته عن شوارعها، ففزعت وتخيلت لو أن كل هندي أمسك حجراً وألقاه فوق دماغي لقام هرم من 700 مليون حجر بعدد سكان الهند"[144].

[143] حول العالم ص 144

[144]لأنهم متعلمون فقراء، أنيس منصور. المقالة .الشرق الأوسط . 10-11- 2005العدد 9844.

ولما وجه إليه الصحفيون من كيرالا سؤالا هاما: ما الذي تريد أن تراه في كيرالا؟، أجاب: "كل ما رأيت قبل ذلك منذ أكثر من أربعين عاما، فيومها كنت أراها بعين، واليوم سوف أراها بعينين وتجارب طويلة في السفر في القارات الخمس. وحاول لاستحضار ذكريات رحلته الطريفة التي انطبعت ملامحها في مخيلته قبل أربعين عاما، وسأل عن مكتبة في العاصمة ترفندبورم فقالوا: ماتت صاحبتها، وتديرها الآن حفيدتها ويدهشك اسمها. فقلت: وما اسمها؟. قالوا أنيسا منصورة. فرد قائلا: هذه تهمة، ولكن سوف أرى وكلها مادة لكتابة جديدة."[145]

رحلة البدوي

سجل عبد الرحمن بدوي مذكرته عن الهند عام 1965 في حلقتين من مقالته بعنوان: رحلة إلى الهند. وكان الهدف من وراء الرحلة، المشاركة في المؤتمر الدولي للمستشرقين، المنعقد بعاصمة الهند عام 1964 في القاعة الجميلة الواسعة في قصر قيجان بهافان. يتمحور حديثه عن الثروة الفكرية والحضارية للهند، مشيرا إلى أفكار وملاحظات زعماء الهند ونوابغها وقادتها وساستها من أمثال: نهرو وغاندي وطاغور ورادا كرشن، مع تسليط الضوء إلى وقائع وأحداث المؤتمر وسعادته بحسن الاستماع إلى صوت نهرو في محاضرة صافية افتتح بها أعمال المؤتمر، بصفة كونه منبهرا ومعجبا بأعلام الهند وإنجازاتهم العلمية والفكرية من شعر و فلسفة.

توجه الكاتب إلى بلاد الهند، مجيلا في نفسه ما يحمله لها من عواطف الإعجاب برجالها وشعبها وحكمتها، إعجاب غرسه في مطلع شبابه شعر طاغور، ونضال غاندي ونهرو، وتجليات بوذا

[145]- https://manaar.com/vb/showthread.php?8450 منتدى منار للحوار. 2005/10/11

وتحليقات البراهمة. وكان قد غذى روحه في غضارة الشباب بأشعار طاغور الحارة الواسعة الآفاق، فبعثت في نفسه وهو يطأ تراب الهند وراح يردد هذه الكلمات: "هنا موطن القداسة فاستروح أنفاسها، هنا نفحات التصوف العالي فاقتبس من أنواره، هنا ستلتقي بروح «مهاتما» تشيع في الأحياء والأشياء، وهنا صوت الحرية البلوري الذي أطلقه « البنديت » وغدا ستلتقى به".

انبهاره بشعر طاغور

يظهر مدى انفعاله وتأثره بشعر طاغور بشكل ملحوظ، من خلال نظرة عابرة في نصوص الرحلة صغيرة الحجم، حيث لعب دورا هاما في تحفيز كوامن التمتع والانطباع بمناظر الطبيعة وهو بعد في العاشرة من عمره، شعر طاغور هو الذي بصره بجمال الطبيعة الشاملة، وبث في نفسه الغضة الشعور الغامض بوحدة الوجود، والإحساس بالأنس بالأزهار والأشجار، والأحجار والأمطار، والسحائب والأطيار، وهو الذي أشاع في قلبه معنى الحب الواسع الذي ينتظم الكون بأسره، ولا يسعه أن ينسى هذه الأشعار التي كانت قوت قلبه، :السحاب يتراكم فوق السحاب وها هو ذا قد أقبل الظلام، ايه، أيها الحب، لماذا تتركني أنتظر عند الباب وحيدا؟ في ساعات العمل إبان النهار أكون مع جمهور الناس، لكن في هذا اليوم الحزين المظلم لا أرجو غيرك. إن لم ترني وجهك، وإذا تركتني جانبا، فإني لاأدري كيف يتسنى لي أن أمضى هذه الساعات المطيمة الطوال. إني أظل أرنو إلى ظلمة السماء البعيدة، وقلبي يتجول نائحا مع الريح الهائجة أيها النور،

أواه، أين النور؟ أشعله بنار الرغبة المشبوبة! ها هو المصباح ولكن الشعلة لا تومض، - فهل هذا مصيرك، أيها القلب؟ آه ! إذن فالموت خير لك كثيرا ! الشتاء يقرع الباب...[146]

وقد أورد مغزى خطبة رئيس الجمهورية سر رادها كرشنان(Radhakrishnan)التي ألقاها في نفس المؤتمر، مركزا على النقاط الهامة التي مر ذكرها في كلمات نهرو، مع إبداء أفكاره الفلسفية المؤيدة للتعايش السلمي، واحترام الديانات المختلفة والتبادل المشترك بينها. يقول: إنا نعيش في عصر انحلت فيه عروة الإيمان، وزاد فيه خيبة الرجاء في القيم التقليدية التي وصلت إلينا. وكل عصور الانتقال هي عصور انحلال وتجديد ...

وفي الختام ينهي المقال بإبداء انطباعاته ومشاعره النبيلة عن المؤتمر وبرامجه، منوها بالهند وألوان حضارتها المتنوعة، وإنجازات أعلامها البارزين من أمثال طاغور وغاندي ونهرو و رادا كرشن. وتحت راية هذه الروح السامية التي بثها هذان القطبان في أعضاء المؤتمر، ومن خلال هذه العبارات الملتهبة بحب الإنسانية بعامة، المشبوبة بالنزعة الكلية إلى الحب والسلام والتسامح وتقدير الغير، والتفاهم المتبادل والنظر إلى العالم ككل واحد، رأى البدوي بلاد الهند المترامية الأطراف، هذا العالم الحافل بالمعتقدات، المحلق بسحاب الروح في الآفاق العالية. وسجل مشاهدات وأحداث الرحلة بشكل مقال للأجيال القادمة". [147]

[146] بدوي، عبد الرحمن . رحلة إلى الهند ، مجلة الثقافة، يناير، 1965 ع78

[147] المصدر نفسه .ص: 12-13

يوسف إدريس

روائي وقاص مشهور. من رواياته :الحرام، العيب، رجال وثيران، والبيضاء. ومن أشهر مسرحياته: الفرافير، اللحظة الحرجة، جمهورية فرحات، و المهزلة الأرضية. ومن مجموعاته القصصية: النداهة، وآخر الدنيا، ولغة الآي آي، حادثة شرف، و قاع المدينة. وقد تحول الكثير من أعماله إلى أفلام ومسلسلات. توفي عام ١٩٩١م.[148]

اكتشاف قارة

هذا الكتاب يمتاز عن غيره بعناصر ومقومات مختلفة، حيث يركز الكاتب جل اهتماماته باكتشاف الإنسان الآسيوي وطبيعته وأفكاره، بدلا من تسجيل المناظر والمشاهد وتصوير أحداث الرحلة وعجائبها. بدأ يوسف هذه الرحلة تحقيقا لمهمتين ضخمتين، يتذكرهما من طريقه إلى آسيا، نصف الرحلة لحضور مؤتمر الكتَّاب الآسيويين الأفريقيِّين، ونصفها الأقصى موفدا لتغطية المنطقة ثقافيا وفنيا وحضاريا. وبتتبع تاريخ المؤتمر يمكن الافتراض، أن الرحلة وقعت في فترة 1970م حين استضافت نيودلهي مؤتمر الكتاب في نفس السنة. يقول: "ولكن الحقيقة أني - بيني وبين نفسي -كان لي هدف آخر. كان هدفي الأول، أن ألتقي وجهًا لوجه بهذا الإنسان الآسيوي، الإنسان الذي صنع المسير الطويل وثورة الصين العظيمة، الذي يخوض بنجاح تجربة الاشتراكية الديمقراطية في الهند، الذي بعد قسوة الهزيمة في اليابان سمقَ وانتصَر، وأصبحَت به ثالث دولة في العالم بعد أمريكا وروسيا، والذي يتبدّى لنا الآن -وعلى مسمع ومرأى من العالم أجمع – كنهُ هذا الكم من البطولة الذي يحتويه وهو يناضل

[148] يوسف إدريس .أرخص ليالي ،ط8 دار نهضة مصر .الجيزة

الاستعمار الأمريكي في فيتنام. لماذا هو هكذا هذا الإنسان؟، ما هي طبيعته؟، ما هو طبعه؟، مَن هي المرأة فيه وكيف؟، مِن أين جاءته هذه الطاقات الروحية الخارقة حتى ليُحوِّل الهزيمة إلى انتصار، وحتى ليُرسي الرعب - مهما كان قليل العدد - في قلب دولة كبرى كأمريكا نفسها؟، ذلك كان هدفي الحقيقي، كنت متأكّدًا أني حتمًا سأعثُر على الجواب." [149]

يبدأ الفصل الأول من الكتاب بعنوان'الإنسان الآسيوي المعاصر' بقوله: "بهذه الرحلة أكون قد غطيت تقريبًا سطح الكرة الأرضية، وتعرَّفت إلى معظم أوطانها وشعوبها، والحقيقة أني بدأتُها مجرد رحلة أخرى من الرحلات، ولكنِّي حين انتهيت منها، أحسست أنها فريدة، بل رحت أؤنِّب نفسي أني أجَّلتها إلى هذا الوقت"[150].

بالنسبة للهند، قد أورد الكاتب ملاحظات وانطباعات لافتة عن الجالية الهندية، وثقافتها العريقة وديانتها المتعددة، مع الإشارة إلى المعتقدات والفلسفات التي اتخذتها الهند منذ عهد قديم. وعند محاولته لاكتشاف الإنسان الآسيوي، لا بد من أن يسهب الحديث عن الهند بصفة كونها مخ ولب القارة الآسيوية، بل -على حد تعبيره-، هي قارة فريدة بنفسها، ومن هنا توجد قطع نصوص بين الحين والأخرى، تناول الهند وحضارتها بشكل معمق في ثنايا هذه الدراسة والرحلة الاستطلاعية .

وقد أوضح نتائج دراسته واكتشافه في ضوء تجارب نفسه، ومشاهداته أثناء التجول والتنقل من خلال دول آسياوبلاد الهند، فيما يبدو من تتبع نصوص رحلته حيث يعبر عن تجاربه

[149] المصدر نفسه، ص: 10

[150] المصدر نفسه .ص: 9

وانطباعاته، حين سنحت له الفرصة للمشاركة في حفل الزفاف والحضور في تشييع جنازة هندوكية. يقول:"لقد رأيت بنفسي جنازة هندوكية، تُشيّع ميتًا إلى حيث تضعه في المحرَقة تمهيدًا لنثر رماده في النهر المقدس الذي يَغسِل ماؤه الخطايا، ولم أكن أستطيع أن أمنع نفسي من الشعور، بأن من يُشيّعون الجثة ليسوا غير حزانى على الميت فقط، ولكنَّهم في الحقيقة يَحسُدونه على خلاصه من حياة ، هي في الواقع سقيمة ومُضنية ولا شيء فيها سوى العذاب.[151]

"ورأيت بنفسي أيضًا «فرحًا» هنديًّا، فرحًا له طقوس ضاربة في القِدَم؛ حيث يُزفُّ العريس من بيته إلى مكان الفرح راكبًا حصانًا مزينًا بطريقة أخاذة، وواضعًا فوق وجهه -وقد ارتدى البدلة العادية -غطاء رأس ينسدل على الوجه ويصبح نوعًا من القناع الغريب".

"كنت مدعوًّا من قبَل عمِّ العريس الذي أخذ يشرح لنا تفاصيل حفل الزفاف، وأهم ما فيه أن وقت عقد القران الديني لا يتحدَّد هكذا كيفما اتفق، ولكنه يتحدَّد بواسطة الكاهن، وقبل ميعاد القران بشهور، وباستشارة النجوم والأفلاك، وساعته محدَّدة مقدسة- وكانت ليلتها العاشرة تمامًا - حيث يجلس العريس بجوار العروس على مقعد واحد وحولهما دائرة من النار، والكاهن يتلو التعاويذ والتراتيل والأدعية. ولقد دهشت حقًّا حين عرفت أن العريس جراح وحاصل على ماجستير في الجراحة، وأن العروس موظَّفة في بنك؛ إذ مهما كانت درجة تعليم الهندوكي ومكانته وثقافته، فإن التقاليد العريقة في آسيا هي التقاليد، وليكن خريج كامبردج أو أكسفورد، فإنه حين يعود إلى الهند، فإنما يعود إلى حيث نشأت وترعرعت تقاليد لا يمكن الثورة عليها أو زحزحتها، يعود راضيًا سعيدًا؛ فالدين في الهند ليس علاقة بين الله والناس، إنما هو

[151] اكتشاف قارة.ص:26

أساسًا وأولًا، طريقة حياة وموقف من الحياة. موقف، كثيرًا ما يرتفع إلى مرتبة التعصُّب. والمذابح بين الطوائف تنشأ ربما بلا سبب؛ فالتحيُّز لموقف الإنسان من الحياة شيء ليس قابلًا للمساومة أو الاتفاق، بل من هنا استطعت أن ألتقط بعض الحقائق التي دفعت إلى قيام دولة باكستان الإسلامية."[152]

وفي معرض بحثه عن فلسفة الحياة والموت ووجود الكون والكائنات، يقارن يوسف بين نظريات الهنود والمصريين:"بأنّ الهندوكية ترى الكون أرحب بكثير من تصورنا نحن، وترى عمره أكثر طولًا بكثير، بل يكاد يكون في تصوُّرها لا بداية ولا نهاية، وإنما هو تعاقُب مستمر لفترات من النمو والخمود. إنَّ الدورة الكونية الأساسية تُسمى «يوم براهما» وطولها ٤٣٢٠٠٠٠٠٠ عام. في بداية هذا اليوم يكون الإله فيشنو راقدًا فوق الحية الكوبرا شيشاء التي ترمز إلى الزمن الخالد، وتكون شيشاء بدورها سابحة فوق المحيط الكوني، ومِن سُرة فيشنو تنمو شجرة لوتس، ومن برعمها ينمو الإله براهما الذي يتولى عملية خلق الكون بالنيابة عن الإله فيشنو، ذلك الذي يَستيقظ بعد خلق الكون، ويتولى أمره خلال بقية يوم براهما. وفي نهاية اليوم يُدمَّر العالم. بعض الروايات تذكر أن تدميره يتم بواسطة الإله شيفا. ويُمتَص العالم المدمَّر في جسد فيشنو مرةً أخرى، وهكذا ينام الإله لفترة تماثل في الطول يوم براهما، وتسمى ليلة براهما بعدها يستيقظ ليبدأ يوم براهما مرة أخرى، ويعاد خلق الكون، وهكذا إلى ما لا نهاية. وبعض المصادر تذكر أن عمْر فيشنو مائة عام، كل يوم من أيامها طوله طول يوم براهما، وأن عمره الآن خمسون عامًا، وحين يَبلغ المائة ستذوب شخصيته، وتختفي في الحقيقة الواحدة الخالدة، أو

[152] يوسف إدريس.اكتشاف قارة ، ص، 27مؤسسة هنداوي. 2017

الإله الأوحد الأعلى البراهمان، وبعد فترة خرافية الطول، لا يكون فيها موجودًا سوى روح العالم المُطلَق، تظهر فيشنو أخرى، ونبدأ العملية من جديد."[153]

وأخيرا، بعد دراسة موسعة وإجراء البحث والفحص الدقيق، نتيجة المشاهدة والتجربة الذاتية بعد التجول في ربوع قارة آسيا، وصل إلى الاعتراف: بأن الهند هي الدولة التي خلب لبه وأثار انبهاره بشكل رائع. وفي أواخر الدراسة قد أوضح نتائج بحثه بالمقارنة بين دول آسيا: "ومع كل ما رأيت، فإن البلد الذي خلب لبي في آسيا هو الهند؛ الشعب، والحضارة. وفي البطولات ليس أعلى من فيتنام. في التحلُّل هناك تايلاند وهونج كونج. في الطموح المُخيف نرى اليابان. في أي مكان لا بدَّ أن تعثُر على نموذج، والنموذج صارخ، وفي كل مكان تلحظ حركة التاريخ سادرة سريعة، لا يوقفها شيء. في الواقع آسيا كون، ومهما درت مع أفلاكه، في الشرق والجنوب والشمال، فأنى تذهب فستشعر حتمًا أن لهذا الكون مركزًا، ثقله من ثقل الشمس، ومكانه الصين. هناك هي الحقيقة الكبرى، ودائمًا هي في الطريق لتصبح الحقيقة الأكبر."[154]

رحلة محمد عبد المنعم الخفاجي

وقد سجل عبد المنعم خفاجي قصة رحلته الهندية في مقالة بعنوان: 'عائد من رحلة إلى الهند'، يدور حديثه فيها حول أحداث مؤتمر الأدب العربي، المنعقد بكلية جمعية التعليم الإسلامي في

153 المصدرنفسه.ص24

154 المصدر نفسه.ص: 82

ممباد من مقاطعة مالابرم بولاية كيرالا، حيث وجه سفره إلى الهند من أجل المشاركة في المؤتمر المنظم في شهر يناير عام 1981م.

وبالوقوف على النصوص، يبدو أن الخفاجي قد فصل الحديث عن فعاليات المؤتمر وموضوعاته وجلساته المختلفة يوما فيوما، مع تعريف كلية أم إي ايس (MES) ودوره في نشر الثقافة العربية وتطوير الدراسات الإسلامية في أرجاء الهند بعقد الندوات والمؤتمرات والأنشطة العلمية والثقافية.

يقول معرفا عن الكلية المستضيفة: "وانتقلنا إلى كلية جمعية التعليم الإسلامي، وفد مصر ووفد السعودية وقطر والإمارات العربية، الكلية الداعية هي جامعة جديدة مصغرة، تحتوي على أقسام علمية عديدة: للعلوم والآداب والفنون، وبها قسم كبير للغة العربية والدراسات الإسلامية، وهي تعمل على نشر العلوم والآداب والثقافات المختلفة بين الشباب الهندي المسلم ،وتعنى بالثقافة الإسلامية والعربية عناية ملحوظة، وتسهم في خدمة التراث الإسلامي إسهاما فعالا، وقد أنشئت هذه الكلية عام 1965 .. وهي تقيم ندوات علمية عالمية بين الحين والحين، ومن الندوات التي أقامتها ندوة عن الاتجاهات الحديثة في الأدب العربي المعاصر عام ١٩٧٨، وفي الكلية نحو ألف طالب، ونحو أربعمائة طالبة وتتبع هذه الكلية جمعية التعليم الإسلامي لعموم الهند التي يرأسها د. عبد الغفور محمد، وقد زار هذه الكلية في سنوات سابقة عدد قليل من الأساتذة المصريين"[155].

[155] خفاجي، محمد عبد المنعم. عائد من رحلة إلى الهند. مجلة الهلال، مارس1981،ص: 28

وبعد اختتام المؤتمر الذي امتد لأربعة أيام، قام الكاتب مع الوفد المرافقين الأجانب بتطواف في الهند الجنوبية ساعات طوالا على مدى يومين كاملين، يزورون فيها الكليات والمعاهد والمدارس والمؤسسات الإسلامية، وزعماء المسلمين ويفتتحون بعض المشروعات الجديدة مع حضور الحفلات الشعبية وغيرها. ويلاحظ عن الشعب الهندي: "إن الشعب الهندي متآلف في تعاون بجميع طبقاته وأجناسه وأديانه، وهو شعب طموح يسعى جاهدا لتحقيق مثله وأهدافه الكبيرة. إن الجنوب الهندي يتسم بالخصب والثراء والغابات الكثيفة من مختلف الأشجار والثمار، وتجرى فيه الأنهار الواسعة التي تقوم عليها الجسور النهرية الضخمة". [156]

تفاصيل المؤتمر وموضوعات المناقشة

وكان من أهم محاور وموضوعات الندوة، البحوث عن مختلف النهضات الأدبية في العالم العربي وحركات التجديد في الأدب المعاصر، والمذاهب والمدارس والاتجاهات الأدبية المختلفة.

وفي جلسة المساء يوم الأحد 18 من يناير 1981م، دارت مناقشات حول مذاهب الأدب والنقد المعاصر. وكان الحوار شديدا حول مذهب مدرسة الديوان ومدرسة أبولو في النقد، وانتهز الخفاجي وعبد الكريم الأشتر الفرصة بالمداخلة والمحاضرة حيث تكلما حول مذهب أبي شادي في النقد، وأشياء أخرى ممتعة. وعقب جلسات الصباح والمساء، وجه إليه الدعوة للحضور في

[156] المصدر نفسه، ص:29

حفلات خاصة واجتماعات شعبية ليتحدث فيها إلى الجماهير الهندية المسلمة، ذات الكثرة الغالبة في إقليم كيـرالا - الخصب الغني بجمال الطبيعة فيه.

وفي اليوم الثاني من أيام المؤتمر، ألقى دراسة عن مدارس الشعر المعاصر في مصر، وقد دار حول الموضوع مناقشات طويلة، وتناول مدرسة الديوان ومدرسة أبولو بصفة خاصة بالحديث مع الإشارة إلى شعراء المدرستين ونقادهما، ومن بينهم العقاد وشكري وأبو شادي والسحرتي ومختار الوكيل وسواهم، وألقى زميله الأستاذ جابر حمزة بحثا حول الأدب والدين، كما ألقى بعض الأساتذة الهنود دراسات حول الشعر العربي المعاصر. وفي المساء دارت مناقشات طويلة حول الأدب والالتزام، حيث اشترك فيها معه كل من الأساتذة: عبد الكريم الأشتر، علي الهاشمي، عبد العزيز كمالي، عبد الله الأزهري الهندي. وتعددت جلسات المؤتمر الصباحية والمسائية، ودارت فيها مناقشات حادة حول الرواية العربية ومدى تأثيرها في الإصلاح الاجتماعي، وأثر توفيق الحكيم والشرقاوي ونجيب محفوظ وثروت أباظة في الرواية العربية. وتوالت البحوث عن الشعر السعودي المعاصر والشعر الحر ومذهب الالتزام في الأدب، وقضايا اللغة العربية التي تحدث فيها مولانا محمد يوسف الهندي، ومشكلات تعليم اللغة العربية لغير العرب، وموقف الأدب بين القومية العربية والجامعة الإسلامية وغيرها من الدراسات. وفي الختام لا ينسى الكاتب أن يطلع القراء على طرق رجوعه إلى وطنه الأم مع الاعتزاز والتفاخر بحضارة مصر : "وعدنا في صباح الرابع والعشرين من يناير: من كوتشن، إلى بومباي، فكراتشي،

فالبحرين، فالقاهرة عائدين إلى رحاب الوطن العظيم، مصر الخالدة، أم الحضارات والتاريخ والجامعات والمدارس والمعاهد، والثقافات. مصر المجد والطموح والأمل، مصر عام 1981.[157]

رحلة الجوادي

محمد الجوادي عبد الوهاب الجوادي

ولد بمدينة فارسكور بمحافظة دمياط، عني بالثقافة العلمية منذ منتصف السبعينات، بدأ نشر سلسلة من كتب الطب المتخصصة باللغة العربية، وقد أصدر في بداية الألفية الثالثة كتابين، الأول: أمراض القلب الخلقية الصمامية، والثاني: أمراض القلب الخلقية: الثقوب والتحويلات، وله ١٨٠ كتابا منشورا في التاريخ والطب والأدب والسياسة واللغة والنقد.

رحلات شاب مسلم في الهند

قام الجوادي بزيارة الهند عام ١٩٨١م ممثلا بلده في مؤتمر نظمه الاتحاد الدولي للشباب والبيئة (IYF) بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) وفرعه الهندي للتعليم والتربية البيئية للشباب. وقد كان من حظه أن يتولى في أعقاب هذا المؤتمر مسئولية لجنته الدولية في مجال تلوث البيئة بالضوضاء (Noise Pollution)لمدة عام. وكان يعمل أثناء زيارته عضوا في الاتحاد الدولي للشباب والبيئة ومقررا للجنة برامج التربية البيئية المتعلقة بالضوضاء وهي إحدى صور تلوث الهواء، إلى جانب كونه رئيسا لنادي جامعة الزقازيق للشباب والبيئة وطالبا في بكالوريوس الطب.

[157] المصدر نفسه، ص: 29

وقد سجل الجوادي مشاهدات وانطباعات رحلته إلى الهند في فصل يستغرق نحوا من سبع وعشرين صفحة من كتاب 'رحلات شاب مسلم في الهند وبريطانيا وأمريكا وإيطاليا'، مستمدا مما قرأه عن الهند وأحوالهامن كتب نظرائه من الرحالة مثل عبد المنصف محمود "في بلاد البقرة المقدسة"، وكتاب عبد المنعم النمر"تاريخ الإسلام في الهند"، وكتاب حسين فوزي "السندباد"، الذي أهداه مؤلفه نفسه قبل سفره مباشرة متمنيا له التوفيق، بعد ما قص الفوزي عليه كثيرا من الطرائف التي صادفها في رحلته الأولى إلى الهند مما لم يسجله بالطبع في كتابه.

يبدأ أخبار جولته بوصف ما عاينه وعايشه من المناظر والأحداث داخل مطار بومباي، ملقيا النظر إلى مظاهر الفقر والجوع ومشاهد التخلف الصناعي والحضاري كما هو الملاحظ عند حديثه عن أتوبيسات الهند والريكشا وسائر وسائل النقل والمرور وشوارع وضواحي مومباي. ولأجل كون غرضه المشاركة في المؤتمر المنعقد في كلية العلوم بكاراد، لم تتح له الفرصة لزيارة أبرز المدن والولايات الهندية إلا مدينة كوالبور التي تبعد 150 كيلوميتر عن كاراد في ولاية مهاراشترا نفسها وفقا لبرنامج المؤتمر. ولذا أخبار رحلته مقتصرة على أحداث ومشاهد مومباي وحياتها العادية البسيطة مع ما فيها من أخبار المؤتمر وأنظمته ومشاركيه من الضيوف الغرباء ومندوبي الدول المختلفة، وما عاشه من التجارب الحلوة والمريرة أثناء إقامته معهم في الفنادق والمطاعم مع إشارة عابرة إلى مغامرته في صعود الجبال ومكابدته طيلة مسيره إلى كوالبور.

يظهر بداهة، أن الكاتب كان يشعر بالتعاسة وشيء من التشاؤم تجاه مظاهر الفقر، وتدهور الأوضاع المعيشية، ومناظر البطالة وآثار الجوع والشقاء ومعاناة المواطنين، وقد تجول في شوارع ممباي وكاراد وبوادي كاولابور بعين منفتحة ومنظار أسود ناقد وقلب متألم، ونفس قلقة بما يرى ويشاهد من بؤس الحياة وشقاءها، مرورا بالأكواخ المتراصة في شوارع ممباي الضيقة القذرة المشحونة بالتاكسيات والمركبات، التي ليس بينها جميعا سيارة واحدة تزهو بأنها ما زالت وليدة أو صبية أو شابة.

"كل هذا من مظاهر الفقر لم يذهب بنفسي إلى الدرجة القصوى من الاشمئزاز التي كانت عندما لاحظت ظاهرة الحفاء، ظاهرة رهيبة تذهب عن الإنسان بإنسانيته، وآدميته، وهم لا يقفون حفايا، وإنها يمشون ويسيرون وليس الحفايا بالقلة، ولكنهم كثرة كاثرة، وراعني أكثر أن أستقبل هذا المنظر في طريقي من المطار إلى واحدة من أعظم وأكبر مدن العالم، ميناء الهند، ومدينتها الثانية... إلخ . ولا يزال التاكسي ينتقل بي إلى درجات أحط من سوء العيش، ويتحول الحفاء إلى شبه عراء، كل هذا في ضواحي(لاحظ ما تعني كلمة الضواحي من الهدوء والجمال والرقي مع البقاء على مزايا المدينة)بومباي". [158]

ولم يقتصر الكاتب على مجرد عرض الأحداث ومظاهر الفقر والتعساء في الهند، بل تعمق في اكتشاف أسباب وعوامل الانحطاط الاقتصادي والبطالة، مع تسليط الضوء على الحلول بنظرة مفكر فيلسوف يهتم بمعاناة الانسان، وأوضح: بأنه ليس في الهنود أنفسهم بلادة ولا

[158] رحلات شاب مسلم، ص: 20

إحجام عن العمل، ولا رضا بالذل ولا بالفقر، ولا بالمكسب القليل بدلا من الكثير، وإنما المسألة في بساطة شديدة أنهم لا يجدون ما يعملون. وفي نهاية الفصل قد ناقش الجوادي تلك المظاهر في نقاط مستقلة مع تحليل بسيط: "ليس الفقر في الهند راجعا إلى قلة الموارد، ولا إلى كثرة السكان، هذه حقيقة في موضوع الفقر الهندي، سنطلقها الآن من دون أن نقيم عليها الأدلة والبراهين، ولكننا سوف نجدها واضحة أمام الأعين إذا ما تأملنا مظاهر هذا الفقر. الفقر في الهند هو فقر عمل، الهنود قوم يمتازون بالجلد على العمل، وهم يستطيعون إتقانه وإكماله والتفاني فيه، وهم قبل ذلك بشر، خلقوا ليعملوا ليحصلوا على لقمة العيش، ليعيشوا، وعلى عادة الفهم الإنساني البسيط، أدركت الفطرة الإنسانية أنها خلقت لتعيش، وما زلت على اقتناع بهذا المبدأ، حتى وإن انتحرت بعض النفوس."[159]

رحلة المخزنجي

المخزنجي:أديب مصري ولد في المنصورة، وتخرج في كلية الطب بجامعتها، وتخصص في الطب النفسي بأوكرانيا، ثم هجر العمل الطبي إلى الصحافة الثقافية محررا علميا لمجلة العربي، ثم أصبح كاتبا حرا، يتفرد بمزج العلم والأدب في كتاباته للصحافة. صدرت له ثمانية كتب قصصية، وكتاب في أدب الرحلة وآخر عن الطب التكميلي وكتابان في الأدب البيئي للناشئة، وكتاب في قالب"رواية الحقيقة القصصية"عن كارثة تشيرنوبل. ونوقشت عن كتاباته القصصية عدة رسائل جامعية بمصر ورسالة دكتوراه بجامعة إنديانا الأمريكية[160]. حاز على

[159] رحلات شاب مسلم، ص: 43

[160] من ورقة الغلاف لكتاب جنوبا وشرقا رحلات ورؤى

جائزة أفضل كتاب قصصي صدر في مصر عام 1992، وجائزة ساويرس لكبار الكتاب في القصة عام2005.

جنوبا وشرقا رحلات ورؤى

تقع نصوص الرحلة في نحو 33صفحة تحت عنوان 'الهند سحر المثلث الذهبي وتناقضاته!' و'الهند (مومباي) من أبراج المجوس إلى معابد الفلوس' في ضمن فصلين من كتاب'جنوبا وشرقا رحلات ورؤى'. وأما عن وجه تسمية الكتاب فيوضحه الكاتب :"فثمة فلسفة روحية، رؤية خلابة ورحيمة في ناس وبلدان ناس الجنوب والشرق، وقد فتحتُ عيون بصيرتي بقدر المتاح والمستطاع لالتقاط هذه الرؤى، وتأمُّلها في مرآة روحي، فكانت رؤى معكوسة لعلها أهم ما يميز هذه الاستطلاعات من وجهة النظر التقنية في نصوص الرحلة أو كتابة الرحلة، لهذا كانت رحلات ورؤى، آمل أن تكون ممتعة ونافعة لمن يتواصل معها."[161]

قام المخزنجي برحلة استطلاعية صحفية إلى الهند، متنقلا في ربوعها من دلهي،أترابرديش، راجستان ومومباي، بعين ناقدة منفتحة على حضارة الهند وآثارها التاريخية، مع تسجيل مشاهداته وانطباعاته بشكل وصفي أدبي. يبدأ الوصف كما يلي: "إنها الهند، وطن طاغور وغاندي، وتاج محل وحدائق المغول وأكواخ الفقراء ومعبد الشمس وقصر الرياح وشجر التين البنغالي، والأفيال الصاعدة إلى القلعة القرمزية والأبقار الهاجعة في الشوارع، والقردة المطلة من الشبابيك والطواويس السارحة في الحدائق وقصائد العشق المغناة قعودا وحلاوة وجوه

[161] جنوبا وشرقا، ص:13

فقيرات راجستان ولهيب أطباق التندوري، ونظام الاتصالات الفضائية المتفوق، والطاقة الآتية من المحطات الكهرونوية والعربات التي تجرها الجمال والثيران ومخازن الكتب العالمية زهيدة الأسعار ومرقِّصي الأفاعي والنسانيس والدببة. إنها الهند التي قطعنا على أرضها ألف كيلومتر بين ثلاث نقاط ترسم ما يسمونه بالمثلث الذهبي. وهو ذهب من تنوع الألوان والأنغام والروائح وأصداء التاريخ وأصوات العصر."[162]

والكتابة عن الهند وتسجيل غرائبها ومناظرها، يراها المخزنجي عملا صعبا شاقا، وذلك لأجل ما فيها من التناقضات والتباينات في المناظر والمظاهر، ومستغربات الطقوس والتقاليد مع ما حملت في أراضيها من المعالم والمآثر التاريخية بناء وقبة ومعلما وفنادق مرموقة. وعن هذه المشكلة الضخمة يتحدث الكاتب أثناء ذكر تنقله في ممباي: "عند نقطة البداية، في اليوم الأخير من أيام استطلاعنا، توقفت حائرا، ورائي بوابة الهند، وأمامي فندق تاج محل، وأظن أنها الحيرة التي تنتاب كل من يريد الكتابة عن الهند أو جزء منها أو حتى جزء من الجزء. فمشكلة الكتابة عن الهند، تكمن في غناها الفاحش بما يدهش، ويكون جديرا بالكتابة، فكل خطوة في الهند عالم من المدهشات، وكل لحظة أعجوبة، والرغبة في كتابة كل شيء يمكن أن تجعلك لا تكتب شيئا. لهذا وقفت على حافة الماء في مومباي، أسرح البصر في مياه « الخليج الخلفي» وأبحث عن مخرج، وأعود إلى الجغرافيا والتاريخ لعلهما يفتحان أمامي معبرا". [163]

[162] المخزنجي ، محمد . جنوبا وشرقا رحلات ورؤى. ص: 119دار الشروق، 2011

[163] المصدر نفسه، ص: 366

الديانات الهندية

من جهة كون الهند مجمع الديانات العالمية، لم يفت الكاتب التعرف لتفاصيل الأديان وجزئيات معتقداتها المستغربة، يقول مشيرا إلى مبادئ السيخ :"أما جوهر هذه العقيدة، فهو ما بشر به المعلم ناناك الذي ولد عام ١٤٦٩م، وفي عام ١٥٠٠ تبنى حياة الزهاد والمتجولين إنشاء منظومة من التعاليم تمزج بين الفشنافية (أي عبادة المحبة)، وتنبذ عبادة الأصنام، وتبجل من قدر العبادة الباطنية، فهي متأثرة إلى حد ما بسمات التصوف الإسلامي. وبالمناسبة فإن المسلمين الذين يبلغ تعدادهم حوالي ٧٥ مليونا في الهند، لا تعود جذورهم الأخصب إلى المغول بل إلى تأثير الزهاد المتصوفين الذين وصلوا إلى الهند قبل أن يفتحها المغول"[164].

ومن خلال الجولات والتنقلات التي استغرقت عشرة أيام ضنينة في بعض الولايات الشمالية للهند، قد تمكن له الاطلاع الواسع والعثور على ملامح وظواهر التدين الغالب، والسائد في الحياة الهندية. وفيما يلي يلخص جوهر معتقدات الديانة الهندوسية: "فالهندوسية نظام اجتماعي وديني، ولا جانب يطغي على الآخر. وهي إطار للتعامل مع الطبيعة بكل مكوناتها وما وراء الطبيعة بكل ما فيها من مجهول وغامض. وكما شبهها أحد الدارسين، فهي إسفنجة تمتص كل شيء وتستوعبه من معتقدات روحية وخرافية. والعبادة مروحة ألوانها بلا عدد . فيها الشمس والسماء والنباتات والجبال والأنهار والأفاعي والشجر وكل قوى الطبيعة الخلاقة على اعتبار أنها جميعا تجليات لما هو أبعد وأخفى. والتلخيص الشديد الذي آمل ألا يكون مسفا للهندوسية يكمن المفهومين الدينيين الأزليين: العمل والجزاء، ولكن بمنطق آخر حيث يتجلى ذلك في الحياة

[164] المصدر نفسه، ص:124

الدنيوية وما بعدها، وهذه تلخصها عقيدة الكارما القائلة بأن المرء يجني نتيجة أعماله في الدنيا كما في الحياة المقبلة بعد حياته .والإشارة هنا إلى عقيدة السمسارا، القائلة بأن النفس تموت وتولد متجسدة في كائن حي جديد وعلى قدر حسن العمل أو سوئه يكون شكل التجسد، أما من أحسن عملا، بشكل لا شائبة فيه فهو ينعتق من عناء تكرار الميلاد والموت ليلحق بالموتى الأبرار في قبة السماء. وهذه هي درجة النرفانا. هذا هو الثالوث المشترك بين معظم فرق الهندوسية بل في ديانات هندية أخرى كالجينية والبوذية. أما طرق الخلاص فترسمها خطوط عديدة لعل أوضحها هو القول بالزهد، والتأمل(كالتأمل في اليوجا)، كما أن هناك فرقا تؤكد دور القرابين والحج والتعبد. وهناك من يبسط طريق الخلاص إلى حد بعيد فهي في محبة الله «بختي» كما في أناشيد قديسي مارثا. وهي في قيام الإنسان بواجبه كما في تعاليم الجيتا. وهي في الامتناع عن الأذى أهمسا كما عند غاندي" [165].

وكان من أهم أهداف المخزنجي عبر تجواله في مومباي، ملامسة مزيد من الحقائق عن المجوس الذين تعرف على شيء من معتقداتهم عبر القراءة، ولأجله تحمل مشاق صعود تلال مالابار التي تتعرض أجماته البديعة لطقس مقبض بل مفزع، وهو دفن موتى المجوس في حواصل النسور والعقبان، الأمر الذي أهله للافتخار والاعتزاز، بكونه أول كاتب عربي استطاع الاقتراب من أبراج الصمت فوق تلال مالابار.

[165] المصدر نفسه. ص.129

ولعل من أبرز ميزات الرحلة، ما احتوت عليه من أخبار وتفاصيل الزرادشتيين المجوس في مومباي حيث يحرص المخزنجي على التطلع واكتشاف دقائق طقوسهم وتقاليدهم الغريبة، خاصة فيما يتعلق بالموت والدفن وما يتبعهما من الطقوس. ويبدو من استطلاعاته:"أن الزرادشتيين أو المجوس طائفة استثنائية في مومباي، في هذه المدينة التي نزحت إليها أمواج بشرية تبحث عن فرصة للثراء (في مدينة الذهب) نجح كثيرون وضاع كثيرون، ولا يزال الأمر يتكرر حتى يومنا، وجولة في الليل عبر أحياء البغاء والفقر في مومباي تعمي العين بصور البائسين النائمين صفوفا على الأرصفة، وتصمي القلب بمناظر البائسات المتجمعات أمام أبواب الأكواخ التعيسة في انتظار زبائن الهوى البائس. المجوس - أو بارس كما يدعون في الإنجليزية ولدى الهنود لم ينجحوا فقط في مومباي، بل كانوا من صفوة الناجحين في العالم. عبروا البحر العربي من فارس عندما دخلها الإسلام، ولاذوا بالهند، خاصة مومباي وما حولها. ومع صعود المدينة البارق من وهاد الجزر إلى قمة الاقتصاد الهندي، صعد المجوس بسرعة صاروخية قبل أن تكتشف الصواريخ. ولعل أسرة تاتا المجوسية هي نموذج لذلك الصعود الخارق، نحو سماء البيزنس في المدينة، فهم ملوك صناعة الصلب والكيماويات والمعدات الهندسية والسيارات التي اشتهرت باسمهم داخل الهند وخارجها". [166]

[166] المصدرنفسه، ص: 371

ناماستي لسامية علي

كاتبة مصرية، متخصصة في أدب الرحلة، ومترجمة وكاتبة مقالات بموقع الجزيرة مباشر وموقع رصيف 22. حظيت باهتمام القراء الشغوفين بأدب الرحلة والمولعين باستكشاف جوانب الثقافات والحضارات المتنوعة الممزوجة بالمعرفة والمتعة، منذ حضورها في ساحات مواقع التواصل الاجتماعي، وفي فيسبوك من نشر المقالات والاستطلاعات لأكثر من 8 سنوات. عملت بالصدفة بمجال الكتابة بمجرد رحلة سفر إلى دولة الهند، وتدوين الملاحظات حول عاداتهم وتقاليدهم ونشرها عبر فيسبوك، لتصدر بعدها كتابا بعنوان "ناماستي" في 2017.

ومن أعمالها: ناماستي، رحلة إلى جزر الجنة - الفلبين وإندونيسيا، المدينة البيضاء، رواية أناركالي، وهي رواية تاريخية من القرن السادس عشر تتناول العلاقة بين الأمير سليم ابن الإمبراطور أكبر وجارية تدعي أناركالي. ولهاأعمال مترجمة من اللغة الإنجليزية للعربية: رواية المفقود للكاتبه السويدية كارولين اريكسون، رواية جريمة في المستنقع للكاتبة الإنجليزية جوي إليس رواية صاحب الظل الطويل لجين ويبستر، الإخوة كارامازوف لدستوفسكي.

علاقتها مع الهند

زارت الهند عدة مرات بهدف السياحة ثم ظلت للعمل. كانت أول زيارة عام 2009م، زارت خلالها مومباي وبانجالور، ثم استمرت مرات لأهداف مختلفة. ولها عناية فائقة ورغبة شديدة فيما يتعلق بالهند وثقافتها، ولا تزال تتابع الأحداث السياسية والوقائع الاجتماعية والمناسبات الوطنية والطقوس والمهرجانات التي تشهدها بلاد الهند، وتنشر مقالات معرفية واستطلاعات

صحفية في المواقع والجرائد. ومن مقالاتها: "اليوم عيد استقلال الهند ... كيف انتصر غاندي؟"، "اصح يا ساجد" ... سياحة بين حكايات وكرامات مسلمين في الهند، حكايات اسم بهارت في الهند، وهكذا كثير نشرت في الجزيرة مباشر ورصيف[22].

كتاب ناماستي

ناماستي (Namaste)هي تحية في الهند، يلقي الناس عن طريق ضم أيديهم أمام صدورهم وقول كلمةناماستي. يحتوي هذا الكتاب على تقديم بشكل تمهيد وتوطئة لرحلاتها إلى الهند بعنوان"الهند وأنا"، توضح فيه الكاتبة بأول تجربتها في الهند وكيفية استقبال الهند لها، وما رأت من منظر رجل متوف محمول على خشبة يذهب به إلى المحرقة، مشيرة إلى اسم الكتاب ناماستي. ثم يأتي "مدخل إلى الهند" في بيان محتويات الرحلة.

وقد قسمت الرحلة إلى ثلاثة أجزاء مهمة؛ الجزء الأول يتضمن عددا من الفصول؛ تحكي فيها تفاصيل الأحداث والتجارب التي مر بها من خلال التجولات المتكررة في شتى ولايات الهند بما فيها دهلي، أتربراديش، مومباي، بانغلور، وكوجرات وغيرها. الفصول تأتي في هذه العناوين ؛ضيافة هندية تجارب معيشية، حياة هندية -العادات والتقاليد- إرث راسخ، العرس الهندي، آلهة فوق العادة -إنهم يقدسون الممثلين، التناسخ، التأمل -وجدت نفسي هناك ... وفي الختام ،تأتي بخاتمة بصفة مراجعة لجوانب الهند إيجابا وسلبا، مع عرض أحلامها عن الهند وطموحاتها الشخصية تجاه مستقبل الهند المشرق، متمنية لها دوام التألق والتفوق وتحقيق النجاح أمام قوات العالم.

العادات والطقوس

وبإلقاء نظرة عابرة، يتجلى حرصها على تتبع صور وجوانب ثقافة الهنود العجيبة، وشتى أشكال العادات والطقوس المستغربة، وألوان التقاليد السائدة بين الشعوب والجاليات. تؤكد الكاتبة: بأن العادات والتقاليد هي جزء من كل حضارة. والحضارة الهندية عامرة بالعادات والتقاليد المهمة جدا. وهناك حرفيا آلاف العادات والتقاليد، وهي تختلف من منطقة إلى أخرى، ومن طبقة إلى أخرى، وكثير منها شائع في كل أنحاء الهند. مثلا، تلمح الرحالة عادة الهنود في تقديس الممثلين أكثر من حدود، وشدة ولعهم وشغفهم بالفنانين حتى بلغوا في ذلك إلى حد رؤيتهم آلهة فوق العادة، تحكي عددا من الأمثلة لتلك الظاهرة التي تجربتها وعاينتها في أثناء تجولاتها في مدن وشوارع الهند.

ذات يوم"كانت باتجاه إلى زيارة بعض المعالم السياحية بمدينة بانجلور مع مجموعة من الأصدقاء الهنود، وبالطريق طلبوا أن يتوقفوا قليلا أمام أحد ستديوهات التصوير السنيمائي لرؤية نجمهم المفضل، فوافقت على الفور اعتقادا منها أنها سوف ترى أحد نجوم بوليوود. وبعد الدخول وقفوا أمام قبر محاط من كل الجوانب بصور لممثل قديم، فسألتهم: من هذا؟، فقالوا: أنه "فيشنو فاردان"..النجم المفضل لدينا. رحل عن عالمنا في 3 ديسمبر ،2009 وتم حرق جثته في ستوديو "أبهيمان" الذي يقع على الطريق بين مدينة بانجالور ومدينة ميسور. وعندما سألت عن سبب دفنه في هذا المكان. قالوا: "إن معظم أفلامه تم تصويرها هنا لذلك تم دفنه في نفس المكان. وقالوا لها إنه عندما توفي أعلن رئيس وزراء كارناتاكا السيد"يودي يورابا" أن الدولة سوف تخصص فدانين من الأرض و10 كرور من الروبية لبناء نصب تذكاري تخليدا لذكرى الفنان

الراحل. والكرور يساوي عشرة ملايين روبية. كانوا يتحدثون بغضب عن أن الحكومة مهملة للمكان، ولا تعطي تقديرا لازما لممثل يستحق أكثر من هذا!، فتساءلت باستغراب: وما دخل الحكومة بممثل من ضمن آلاف الممثلين لديكم ؟ فقالوا: الممثل لدينا يشبه الإله..حتى أن لدينا معابدا للممثلين من أجل عبادتهم !! معابد للممثلين!"[167].

ثم تعلق على تلك الوقائع: "مرحبا بكم في بلد العجائب. الأرض التي تحمل الأسرار والمفاجآت للعالم كل يوم. العجيب أن الخرافات هنا تقابل بحماسة شديدة وتقديس بالغ. أن يقام معبد لممثلي السينما ليس من أجل تكريم الممثلين أو من أجل الحب الجارف لهم، لكن بغرض العبادة ! لهو شيء خارج حدود العقل."[168]

في حضرة ستيا ساي بابا ببوتابرتي

بصفة كونها صحفية، تسافر للتعرف على الأشياء المعجبة والاطلاع على الأحداث والوقائع المبهرة، ورصدها في كلمات جاذبة في الصحف والمجلات بشكل تقارير واستطلاعات صحفية ومقالات ذات أهمية ثقافية، تسعى للوقوف على نظرية التناسخ لدى الهنود، مما دفعتها إلى حضرة ستيا ساي بابا ببوتابرتي(Puttaparthi).

وصلت في الرابعة صباحا إلى براشانتي نيلام أشرام(Prasanthi Nilayam)، وكانت تعتقد أنها أول المتحمسين الحاضرين، لكن بعد أن وصلت، اتضح لها أنها لست المتحمسة الوحيدة على كوكب الأرض، فالمكان يعج بأناس من كل الألوان والأشكال، جنسيات عديدة ولغات مختلفة. كلهم

[167] ناماستي.ص:31

[168] ناماستي . ص : 31

أتوا لأغراض مختلفة وهدف واحد، هو نيل البركة ورؤية الحكيم المبارك. المكان كبير جدا جدا، الرجال يجلسون في جهة والنساء في الجهة المقابلة لهم. في السابعة بالضبط، شق الحكيم صفوف الزوار مارا بين آلاف البشر الجالسين على الأرض بخشوع، حفاة الأقدام، مرتدين أثوابا زعفرانية، وهو جالس على كرسيه المتحرك، يساعده أحد المتطوعين في المرور وسط الصفوف، معطيا بركته وسلامه للجميع. وقد تفاعل الحضور معه..فمنهم من سجد له، ومنهم من سلمه رسالة خطية كتب فيها مشكلة، ومنهم من جاء بغرض نيل البركة. وكانت تشاهد البعض يضع يده علي الأرضية التي مر من عليها الحكيم، ثم يمسح بيده على وجهه بغرض التبرك!، ظل الحكيم حوالي ساعتين. بدأ البرنامج الصباحي بموعظة أخلاقية مسجلة عن الحكيم، ثم إنشاد ديني وأغاني تعبدية روحانية. وانتهى الدارشان وشعرت بأنها لم تفهم شيئا! فقررت التجول في القرية ربما تفهم شيئا عن سر تقديس الناس لهذا الرجل المقعد على كرسي متحرك!.[169]

أوشو داهود أشرام

تحكي الكاتبة عن تجاربها الفريدة، وشعورها النفسي في أوشو داهود(Ausho Dahod) أشرام بولاية غوجارات تحت عنوان "من التذمر إلي السكينة" بشكل مفصل مع تسليط الضوء على حقيقة ممارسة التأمل وتأثيره في وعيها وشعورها."أوشو داهود" هو مكان عبارة عن فندق كبير وسط الغابات. لا يوجد به أي اتصال بشبكات المحمول ولا إنترنت. انعزال تام عن الحياة.

[169] ناماستي، ص: 38

البرنامج يضم مجموعة متنوعة من الخيارات كالتأمل، الرقص، المناقشة، المحاضرات، والقراءة.

تبدأ التأملات في السادسة صباحا وحتى التاسعة مساء. وكل البرنامج هو اختياري، وكل شخص حر في حضور أي شيء يفضله أو يتناسب مع ميوله. الزي هنا موحد، عبارة عن فستان أو عباءة باللون الماروني، وهو اللون المخصص لحضور التأملات. وبالمساء نفس الزي، ولكن باللون الأبيض، وهو المخصص لحضور المحاضرات. ولا يسمح بالحضور دون ارتداء هذه الألوان. وتوجد مكتبة تبيع هذا الزي داخل الأشرام لمن ليس لديه زي.

في اليوم الأول تم تسليم الغرف. كانت غرفتها مكونة من سرير ومكتب صغير، ومروحة سقف، وحمام. لا يوجد تلفزيون. ولاحظت أن كل النوافذ مغطاة بأسلاك وقضبان حديدية. وعرفت بعدها أنهم يفعلون ذلك حتى لا تدخل القردة من النوافذ والبلكونات.[170] وبعد المعاناة الشديد وتحمل المشاق في أول الأمر، وعدم التأقلم مع بيئة آشرم وظروفها في المأكل والمشرب والمسكن، تمرنت وسخرت نفسها، وسيطرت على شهواتها وأهوائها بقوة التأمل والخلوة.

حتى شرعت رحلة داخل الذات، تقول: الآن أجلس بهدوء وسط الغابة. أغمض عيني.. وآخذ نفسا عميقا.. أطرد كل الأفكار السلبية.. أعيش مغامرتي الداخلية وأعود إلى نفسي. ثم بدأت في الاستكشاف. شعرت بصمت عميق لم أعهده من قبل. كانت الغابة كأسطورة خيالية. كنت أتخيلها دوما مكانا حيث المعجزات.. أشعر بنسمة هواء باردة ورائحة الزهور تفوح من حولي.

[170] ناماستي، ص: 46

زقزقة العصافير.. صوت المياه بالسد المجاور لمعسكرنا.. انعكاسات الشمس في مزاجات مختلفة.. في ظلال ذهبية أو نحاسية وصفراء مشعة أو مغطاة بالغيوم أحيانا. ثم سقوط الأمطار الدافئة على غير موعد . كل هذه المشاهد أراها لأول مرة في هذه الغابة التي اعتدت التذمر من لدغات حشراتها ! وعتاب الشمس على شدة حرارتها. اليوم تبدو الصور مختلفة.. السلام مع النفس يدفعني للسلام مع ما حولي. لم يعد شيء يزعجني في الغابة . تمتد جلساتي وسط الطبيعة الساحرة أكثر من الوقت المسموح. لا أشعر بنفسي إلا عندما يأتي أحدهم يخبرني بانتهاء البرنامج لهذا اليوم.. وأن علي العودة . فأعود وكأني شخص آخر.. تعرفت على الحياة من جديد.[171]

رحلة سعد القرش

سعد القرش: روائي مصري ولد عام 1966، تخرج في كلية الإعلام بجامعة القاهرة (1989). نشر قصصه القصيرة منذ عام 1988 في صحف ومجلات مصرية وعربية. نشر مجموعتين قصصيتين وست روايات: حديث الجنود 1996، باب السفينة 2002، المايسترو 2019. وثلاثية أوزير: وهي أول النهار 2005، ليل أوزير 2008، وشْم وحيد 2011. بلغت أول النهار القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية (جائزة بوكر) في دورتها الأولى 2008، ونالت الرواية نفسها المركز الأول لجائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي (الدورة الأولى 2011). وفازت روايته ليل أوزير بجائزة اتحاد كتاب مصر عام 2009.

[171] المصدر نفسه، ص: 49

ومن أبرز كتبه: سبع سماوات..رحلات في الجزائر والعراق والهند والمغرب وهولنداومصر، نال عنه جائزة ابن بطوطة للرحلة المعاصرة (2008- 2009).

رحلاته إلى الهند

يرسم سعد القرش في كتاب'سبع سماوات' قصة رحلاته إلى الجزائر والعراق والهند والمغرب وهولندا ومصر. وفي المقدمة يقول: "المصادفة وحدها صنعت هذا الكتاب. عقب بعض الأسفار، كتبت فصولاً عنوانها التلقائية. ولو كنت أعرف أنها ستجد طريقها لتستقر في كتاب، أعطيتها اهتماماً لائقاً يتجاوز فكرة رد جميل إلى أماكن أو بشر، شاءت المصادفة أن يكونوا رفاقاً أو أصدقاء دائمين"[172].

قام بزيارة الهند أربع مرات : 2007، 2008، 2009، 2012 وكلها مرتبطة بحضور مهرجان أوسيان سيني فان للسينما الآسيوية والعربية، كما هو الملموس من فصل معنون ب'مدينة تختصر جغرافيا العالم وتاريخه: دلهي السماء والأرض' في كتاب "سبع سماوات". وقد أشار في مقدمة الكتاب إلى تفاعله بالأماكن ومحبته لأهلها دافعا للكتابة، ردّا لجميل المحبة التي لا يعرف شرّها والتلاقي الإنساني. على العكس من بلاد زارها، ربما عشرين مرة ولم يكتب عنها سطرا، لعدم التقاطه لشفرة إنسانية بالمكان وأهله تستفزه للكتابة. والهند يلزمها شهران، فهي "بلاد" وليست بلدا. وفي زيارته الثانية عام 2008 ذهب إلى آجرا حيث تاج محل، وكان يهمه زيارة مدن

[172] سعد القرش. سبع سماوات .ص 9، دار العين للنشر.القاهرة .

ومقاطعات أخرى، ولكن ارتباط الزيارة بحدث مثل المهرجان، صار قيدا أمام التجول واكتشاف القارات.

كانت زيارته الأولى في يوليو 2007م لأجل المشاركة في مهرجان'أوسيان سيني فان للسينما الآسيوية والعربية' بالتزامن مع الاحتفال بمرور 60 عاما على استقلال الهند 1947. ثم تتابعت رحلاته بين الفينة والأخرى حتى شارك في نفس المناسبة سنة 2012. أثناء زيارته الأولى عام 2007 مضى في الهند نحوا من عشرة أيام، مشاركا في المهرجان والتزاماته، ومتجولا في بعض نواحي دلهي وآثارها التاريخية من مسجد جاما والقلعة الحمراء مع تدوين مشاهداته،ورصد أحاسيسه إزاء الحياة العامية البسيطة، ومظاهر وألوان الهنود في الملابس والمآكل والمراكب.

اهتمامات الرحالة ومحتويات الرحلة

كما أن كل رحلة تمثل تغيراً مهماً في وجهات نظر صاحبها عن العالم والثقافات المتنوعة، يبدو بالنسبة للقرش، كانت رحلته إلى دلهي مغايرة تماماً بشكل ملحوظ، لأن الحياة الهندية وطبيعتها والبنايات الجميلة والتاريخية والمعالم الرائعة، غيرت من آرائه في البلد الذي ينتج أكثر من 800 فيلم في السنة الواحدة.

ومن اللافت أن كتابة القرش المتسمة بروح روائية، تجعل من النصوص التي تتناول بلداناً ومدناً مدونات حكائية عن الإنسان أولاً؛ وذلك أنه يُعنى برصد الأحاسيس والمشاعر إزاء البشر الجدد في الأماكن الجديدة، ومفردات كلامهم وفرحهم وتعاستهم مع المحاولة لإبراز أمثل السمات وملامح الثقافة الهندية التي تتميز بالتنوع والاختلاف. تتجلى انعكسات هذا الجانب في ملاحظته

عن مظاهر الحياة العادية في شوارع وضواحي الهند: "في الفندق، في الشوارع، لا تقع العين إلا على الأشجار والحدائق، وتتوارى الصورة القديمة عن"بلاد الأفيال". خلال عشرة أيام، رأيت بعض الأبقار في الشوارع والحدائق، ولم أر إلا فيلا واحدا مسرجا يركبه صاحبه، يعبر أحد الميادين في نيودلهي."[173]

ومن ملاحظاته البارزة بعد التجوال في دلهي وشوارعها والتعرف إلى الهنود الذين عايشهم ولاقاهم طوال مكوثه في الهند: "أن الهند هبة الاختلاف الخلاق، وأن عبقرية هذه البلاد (لعله البلد الوحيد الذي كنا ندرسه بصيغة الجمع فنقول: بلاد الهند) في قدرة مواطنيها على الإيمان بقيمة الاختلاف؛ إذ يتجاور الفقر والغنى ويتداخلان، يكادان يصبحان جوادين لعربة لا بد أن تسير إلى الأمام، ولا تتاح فيها رفاهية النظر إلى الخلف، لكنهم جميعا محبون للحياة، وللفنون ويعتبرون نجما مثل أميتاب باتشان في مرتبة القديسين. قال لي مسؤول مصري يعمل في الهند إن عددا من الوزراء والدبلوماسيين الهنود كانوا ضيوف حفل لإحدى السفارات في نيودلهي، ثم فوجئوا بحضور النجم الشهير، فهرعوا لالتقاط صورة تذكارية معه."[174]

"يتشابه الهنود في قيم عليا: الذوق الرفيع، والابتسام غير المصطنع، وقلة الكلام، وانخفاض الصوت، والصبر وعدم العجلة رغم عدم انتمائهم ولا معرفتهم بثقافتنا العنيفة التي تقول إن العجلة من الشيطان. يتقاطع الثراء والفقر في أكثر من مساحة، أعمقها الفنون وحب الحياة فمن لا يحبون الحياة ستظل عيونهم مغلقة باتساع الجحيم. الأثرياء يستمتعون بالحياة،

[173] المصدر نفسه.ص: 140.

[174] المصدر نفسه.ص: 141

والفقراء يصنعون الحياة بل إن مجرد استمرار حياتهم أحد فنون هذه الحياة ومعجزاتها هم لا يتبرمون."[175]

يوجه القرش اهتمام السياح إلى دلهي القديمة، مع التوضيح بأن استطلاع الهند واكتشاف جاليتها مع البحث والكشف المتعمق لا يتم إلا بالتنقل في أحياء دلهي القديمة، وإلا ربما فاته كثير من المعارف والحقائق عن حياة الهند البسيطة. وإلى هذه الناحية أشار باقتراحاته: "يفوتك كثير من المعرفة بدلهي إلا أن تزور المدينة القديمة. هناك تكتمل اللوحة.. بشرا، وشوارع، وبنايات، و وسائل انتقال. تضم المدينة 14 مليون نسمة، يتفاوتون غنى وفقرا، حتى الأغنياء يستغنون عن تهافت"دول الجنوب"على اقتناء السيارات الفارهة: الألمانية والفرنسية والأمريكية التي يضخ الآلاف من أنواعها المختلفة، والمعدلة سنويا، في شوارع القاهرة، من باب ادعاء الثراء الكاذب. في الهند كل شيء هندي تقريبا، من الأفلام إلى الدراجات. معظم السيارات صناعة محلية، حتى السيارات الكورية أو اليابانية تصنع محليا. يبدو الشعب متسقا مع ذاته، يحاول الانتصار على الفقر بالعمل، يصحو مبكرا، حتى انتقلت إلي عدوى النشاط. كنت أنام على توقيت مصر، وأصحو على توقيت الهند، فأختصر ساعتين ونصف الساعة من حصة النوم، بلا شعور بالصداع. يخيل إلي أن الساعات الفاصلة بين فجر الهند وصباح أمريكا، تكفي لأن تجعل الهند تنتصر في المستقبل، فنسبة البطالة مثلا، تقلصت إلى نحو ثمانية في المئة في شعب يبلغ 1. 1 مليار نسمة، يستقبلون النهار بالعمل في حين يواصلون الآخرون تثاؤبهم."[176]

[175] سبع سماوات.ص: 141.

[176] المصدر نفسه. ص148

السينما الهندية

ولا يخفى على متابع الرحلة، ما تضمنته من أخبار و تفاصيل السينما الآسوية والعربية، والاتجاهات الجديدة في حقلها آنذاك، من جهة كونها عملا فنيا، مكنه من القدوم إلى بلاد الهند، ومهمة محورية لأجل تحقيقها، شارك في مهرجان السينما المنعقد في عاصمة الهند، كما يبدو من بيانه: "فالهنود يحبون الرقص والموسيقى، ثم جاءت السينما فنا سابعا يستوعب الفنون الستة السابقة، فصارت أميرة يخطب الجميع ودها، لتصير الهند في صدارة منتجي الأفلام ومستهلكيها. قال مسؤول السينما بوزارة الثقافة الهندية، في غداء دعانا إليه السفير المصري، إن الهند تنتج ثلاثة أفلام في اليوم الواحد! يمكن تفسير هذه الغزارة، في ضوء الجنون بفتنة السينما، التي ليست في كل الحالات حياة بديلة، لكنها سحر أسمى، يوحد في التلقي أغنياء وفقراء لهم الجنة. إنها فن راق يجعل الحياة ممكنة، كما أصبحت جسرا سحريا بين فقراء يستهلكون الأفلام، وأغنياء يصنعونها أو يرعون مهرجاناتها."[177]

ويختم رحلته بملاحظة رائعة عن الهند وشعوبها حيث يصفها "شعبا مسكونا بالتاريخ. تاريخه ليس عبئا عليه لا يتبرأ منه، ولا يباهي به أحدا، لكنه ذخيرة نفسية مهمة، تغنيه عن استعارة ذاكرة غيره ليتفرغ لإبداع المستقبل."[178]

[177] المصدر نفسه. ص: 142

[178] المصدر نفسه. ص:155

الطابع الروائي في النصوص

والمتصفح للكتاب يقف على لون جديد غير مألوف في مجال تدوين النصوص الرحلية، حيث يخلو السرد عن الوصف التقليدي للمشاهدات والأخبار، بل يقدم الكاتب بطريقة يمتزج فيها أدب الرحلة بنكهة روائية وقصصية ممتعة مثيرة للتفكير والانفعال.

تكمن قيمة هذا الكتاب في تقنيات الروائي من الوصف الدقيق وروعة الأسلوب الشيق ولغة جذابة، التي تمثل مزيجا من أشكال السيرة والقصة والرواية، علاوة على اللون الجذري من مدونات الرحلة. وفيما يلي نموذج رائع:

"فور الدخول تكتشف أن سور القلعة يفصل بين عالمين، في الخارج زحام وفقر وصبر وعمل شاق، وفي الداخل يسفر التاريخ عن نفسه، عن حالة تجعل الهنود أكثر إيمانا وفخرا بتاريخهم، ورهانا عليه. من الخارج توحي القلعة بالهيبة. كنا نظن انتشال عالم بخباياها، فإذا به يبحث عن دليل. جاء شاب، لم يحدد مبلغا مقابل اصطحابنا. شرح بحماسة وهدوء، كأنه يؤدي واجبا وطنيا، لا وظيفة بمقابل مادي. سألته عن سر هذا الزحام الهندي على دخول القلعة، فقال: إنها رمز وطني وتاريخي؛ إذ تعود إلى عصر المغول في القرن السابع عشر. هنا رفع جواهر لال نهرو العلم الهندي على بوابة القلعة يوم 15 أغسطس 1947م، معلنا نهاية الحكم البريطاني، وبداية الحكم الوطني، ويحرص حكام الهند على رفع العلم على بوابتها الشامخة، قبل إلقاء خطبة في ذكرى الاستقلال. تعتبر اليونسكو هذه القلعة"قمة الإبداع المغولي"، وتتداخل فيها أنماط العمارة الإسلامية والهندوسية والفارسية، وقد أمر شاه جاهان بتشييدها عام 1639، كمجمع

سكني وحصن لعاصمته الجديدة(شاه جاهان آباد)، واكتمل بناؤها بعد تسع سنوات. يبلغ ارتفاع التحصينات من جهة المدينة 33. 5 متر، ومن جهة النهر 18 مترا. ولاتزال بعض آثار القلعة تحتفظ بأسمائها العربية؛ مثل (الديوان العام) الذي أنشئ "لكي يحاكي عرش سليمان". في منتصف المبنى، يوجد الديوان الخاص، يتوسطه عرش الطاووس، حيث كان الملك يجلس في الأعلى، وتحت قدميه ينتظر الآخرون.. يتلقون الأوامر، أو ينقلون إليه شكاواهم. تتجاوز البوابة، فتجد نفسك في ممر يذكرك بأحياء أو مدن تاريخية في مصر أو المغرب..ساحات وممرات على جانبيها محال تجارية، وعلى البعد مسجد اللؤلؤة، وبيت الطبول، وقصر الألوان بأبراجه، وسقفه المغطى بقطع من ذهب وفضة، تنعكس على ماء بحيرة تتوسط الباحة الرخامية للقصر. كان قصر الألوان مخصصا للبهجة، في أسفله مدخل يفضي إلى غرف كان الملك يلتقي فيها محظياته. يقول الشاب: إن ممتاز محل أنجبت 14 ابنا، وماتت في منتصف الثلاثينات، قبل أن تضع مولودها الجديد. أسأله: ألم يكن له من جواريه أبناء؟، يرد بالنفي. أقول لنفسي: كان لا بد أن تموت ممتاز محل، حسرة على أنوثة تخفيها تضاريس حمل يتكرر كل عام، وهبت نفسها لإنجاب ذرية لزوج يريدها وعاء لأبنائه، منشغلا بالجواري عنها حية وميتة. فهل تظهر ذات يوم قصة حقيقية أو متخيلة عن ابن للشاه، من إحدى محظياته، لتضاف "سيرة عنترة بن شاه جاهان" إلى السير الشعبية؟، أروع ما في القلعة موسيقاها الخاصة، اتساق الدواوين والحدائق والقصور، كأن يدا واحدة أنشأتها في زمن قريب. ولأن الاستعمار كالكفر،

ملة واحدة، فقد أصر الإنجليز على تشويه القلعة، ببناية أسمنتية وصهريج للمياه. فهل ترك الهنود هذا العدوان، ليقولوا: "الاحتلال مر من هنا؟"[179].

رحلة مهدي مبارك

مهدي مبارك : كاتب صحفي من مصر، مساعد رئيس تحرير صحيفة "الدستور" المصريَّة. فاز بجائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة، فرع الرحلة المعاصرة عام 2019م. وله مؤلفان : "مرح الآلهة 40 يومًا في الهند"،و "قرش حشيش"- مجموعة قصصية. عمل بعدة صحف مصرية أبرزها: الدستور، والبوابة، والفجر. كتب لمجموعة صحف ومواقع عربية. يعمل في صناعة البرامج الرقمية والتليفزيونية، وأعدّ برنامجي 90 دقيقة في قناة المحور، وباب الله بقناة الغد. يهتم بإخراج وإعداد الأفلام الوثائقية. أخرج فيلم"رجل يا أحمد"عن قضايا النسويّة بدعم من الاتحاد الأوروبي. أسس مشروع" مزاج" لدعم الأعمال الفنية والثقافية وتبادل الثقافات.

البحث عن شاروخان : 40 يوما في الهند

يتضمن الكتاب أخبار وتفاصيل رحلة شاب مغامر وهو في عمر الثانية والعشرين، قام بها عبر بعض ولايات شمال الهند، استغرقت شهري أغسطس وسبتمبر سنة 2016م، متركزا على المشاهدات والانطباعات النفسية مع تعليق ملاحظاته وآراءه النقدية تجاه الثقافة الهندية. بصفته صحفيا ومخرج وثائقيات، خرج كتابه هذا نتاج جولة صحفية في الهند بدأها في 2016 وكان غرضها التخلص من الملل وانتهت بمعرفة روحية عميقة.

[179] المصدر نفسه ص 154.

والمدهش أن "البحث عن شاروخان: 40 يوماً في الهند"؛ الصادر عن الدار المصرية اللبنانية (2022) طبعة جديدة من كتاب "مرح الآلهة: 40 يومًا في الهند" (المؤسسة العربية للدراسات/ 2021) للكاتب نفسه الذي نال عنه جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلات لعام 2019. ويفترض أن عنوان الطبعة الجديدة جاء لتلافي الاعتراض على العنوان الأصلي لأسباب دينية. ولما خاض الكاتب مغامرة زيارة الهند لمدة 40 يومًا كان في خطته بشكل خاص أمران: إجراء مقابلة صحافية مع نجم بوليوود شاروخان، والثاني محاورة الزعيم الروحي للبوذيين الدلاي لاما، إلى جانب القيام بدراسة الديانات الهندية المتعددة والتعرف على غرائب العادات والتقاليد الشائعة عن الهند في الأساطير والقصص. على أي حال، لم يظفر بإنجاز أي من الهدفين، لكنه خرج بحصيلة مهمة من الغرائب والطرائف بعد طوافه على أهم المراكز الدينية والتقنية والمعابد والمقابر والأضرح في شتى أصقاع الهند.

بدأ جولته بزيارة ضريح نظام الدين أولياء بدهلي وتلميذه الشاعر أمير خسرو، الذي يحج إليه هندوس وسيخ وبوذيون علاوة على حشد المسلمين الغفير. ثم قام بزيارات لمعابد هندوسية عدة، وفي إحداها جرى توقيفه للاشتباه في أنه إرهابي جندته الاستخبارات الباكستانية. وبعد نجاته بأعجوبة من تبعات ذلك الاتهام، زار معبد الدلاي لاما، ويُعدّ من أشهر المعابد البوذية في الهند، كما زار أمير البهرة، وتجوّل في أوساط الهنود من أتباع الديانة المجوسية؛ ليجد أنهم من أغنى أغنياء الهند.

صورة الهند في الأفلام بين الو اقع والخيال

وفي الحقيقة، يركز صاحب الرحلة طوال التجوال في ربوع شمال الهند على نقطتين هامتين: إحداهما جانب العادات والطقوس المتعلقة بالآلهة والمعابد وغرائب الممارسات الدينية، والأخرى، وهي ذات الأهمية البالغة تتمحور حول المقارنة والموازنة بين صور الهند وأشكالها الجلية في الأفلام والسينما البوليودية وبين الصور الواقعية والعادية المنبسطة التي تمكن من ملامستها ومعايشتها في ضوء تجاربه الذاتية وانطباعاته ومشاهداته أثناء التجول. وفي المقدمة يوضح مهدي: "داخل مجموعات السفر ستجد رأيين؛ الأول يؤكد أن الهند أجمل بلاد الدنيا، والثاني يعترض ويلعن اليوم الذي زار فيه دلهي، ولا وسط بينهما، والسبب أن الثاني لم يخرج من العاصمة، والأول لم يزر العاصمة"!.[180]

ومن الطبيعي أن الزائر العربي، تأثرا من المسلسلات والأفلام الهندية، إذا نزل مطار إندرا غاندي، ظل يبحث عن الساري اللامع، والديكور الفخم والشعر الناعم، وشاروخان، والرقص في عرض الشارع، ثم يفاجأ بكروش عظيمة ورجال قصار وقبلات ممنوعة، وأطفال يتسولون أي شيء، وينامون على الأسفلت، وزحام مرهق وسيول تعطّل رقصة الحياة. وبعد بذل جهود من البحث والفحص، سيكتشف أن الساري موضة قديمة لا ترتديه إلا بنات مصر في ليالي الحِنة، وأن شاروخان هو النجم الأول في العالم العربي فقط، وأفلامه عفّى عليها الزمن، بينما هناك سلمان خان، وعامر خان، وعمران خان وأكشي كومار وشهيد كابور ينافسونه على

[180] من مقدمة الكتاب للمؤلف نفسه، أنت فاكرني هندي؟!

العرش[181]. وأهل الهند يرونه كبيزنس مان، يقدم أفلام حب مضمونة تناسب شابًا في عمر بناته.. وهو بالفعل يملك إمبراطورية مالية ضخمة تجري حساباتها بين دبي ومومباي.. إمبراطورية الأبراج والفلوس وأميتاب باتشان.. ولأن نصف شباب الهند يبحثون عن وصْفة النجاح والثراء داخل تلك الأبراج هجروا شاروخان وأفلامه، والنصف الثاني غارق في الأوهام.

وبالحقيقة لم يكن مهدي مغرما وشغوفا بشاروخان إلى حد ما، ولم تعجبه أفلامه كما أسرته أفلام هندية أخرى، لكنه قد شاهد أغلبَها، وراح يبحث عن الهند التي في أفلام شاروخان، وعن شاروخان نفسه في الشوارع والحواري والدكاكين الصغيرة ومحطات الانتظار.. فلم يجد أحدهما، بل اتضح الأمر أمامه جليا، الهند التي في أفلامه وحيٌ من خيال المؤلفين؛الحياة النظيفة والرقصات التي تملأ الشوارع، وقصص الحب الآسرة التي تندفع من بين ركام القلوب المحطمة، وصرخات البؤساء ودموع الشحاذين كانت حاضرة فقط في خياله الذي رسمته الأفلام. الشاب الذي يملك رفاهية الوقوع في الحب في عربة قطار كما شاهد في فيلم"شيناي إكسربيس"(Chennai Express)ليس هنديًا؛ ربما استوحى المؤلف قصته من القطار الذي يصل بين برلين وروما أو باريس وبروكسل؛ لأنّ الحياة داخل قطارات الهند ليست بهذه الرومانسية، فهناك سيدة تضع قدميها على قدميك كي تنامَ، ورجل عجوز معلّق فوق أرفف الحقائب يراقبك، وروائح العرق تفوح من كل اتجاه، والزحام ينسف كل معتقداتك حول الحب،

[181] مهدي مبارك يقصد الهند بحثاً عن شاروخان، علي عطا .مقالة، النهار العربي ، القاهرة. 24-02-2022

فالقطارات هناك لم تخلقْ للمحبين، والإعجاب الذي ينمو في القطار، حتمًا سينتهي في المحطة المقبلة.

يكشف الكاتب عن إحساسه وشعوره عند ركوب القطار، حيث كان موحيًا بقصص بوليسية، أو أفلام مطاردات، أو رحلات الأطفال التائهين، الذين سيقضون أعمارهم يبحثون عن الأهل والأصحاب ليكتبوا نهاية حالمة لأفلامهم. ولم يصادف الشاب الذي يمكن أن يضحّي بوظيفته ومستقبله كي يطير عبر الحدود الملتهبة ويتزوّج فتاة باكستانية، رقّ لها قلبه كما فعل في فيلم "فيير زارا"(Veer-Zaara). النهايات الجميلة ليست قدرًا هنديًا؛ فالشاب الذي يبحث عن عمل، يجده بـ"طلوع الروح"، ويقتات على الأموال القليلة التي يتقاضاها منه، أو يضطر للسفر إلى آخر بلاد العالم كيْ يعمل سائقًا أو خادمًا، ثم أنّ حب الباكستانيات عار يمكن أن يلاحق صاحبه وعائلته وأحفاده إلى آخر العمر.

ورغم شعوره باليأس وفقدان الأمل من أجل ما لاقاه من المناظر والمشاهد في العاصمة، راح يبحث عن الهند التي عرفها في أفلام شاروخان، فوجد:"أنها من خيال المؤلفين. هي بلاد كانت تركب الأفيال، والآن تشكك في أي عابر، وتنشغل بالآلهة والديانات والتماثيل أكثر من انشغالها بالحب والرقص والألحان. وبعد محاولة لتتبع آثار شاروخان، وصل إلى نتيجة أن النجم لا يزور الهند إلا في أوقات التصوير فقط، ويقيم إقامة شبه دائمة في دبي، وأن الهند ليست بالوضوح الذي يظهر في الأفلام: بلاد واسعة وحزينة وعامرة بالقصص والحوادث والآلهة والعيون المراوغة والخارقين والطيبين الذين يقاومون الزمن والأوغاد، ومن المستحيل أن تفهمها مهما عشتَ فيها،

واعتقدتَ أنك اقتنصت سرّها، ففي الهند سرّ كبير في قلب أسطورة نادرة تبحث عن مؤلف خارق ليكتبها."[182]

الثقافة الهندية

كما أن من أهم اهتمامات الرحالة، الكشف عن الثقافة الاجتماعية العامة للبلاد التي يتنقل فيها من العادات والتقاليد والطقوس والأعراف المحلية في المآكل والألبسة والمساكن والاعتقادات وغيرها من شتى نواحي الحياة، يعكس الكاتب النواحي الدقيقة المعقدة بالطقوس والتقاليد للحياة الهندية البسيطة بعين ناقدة، ربما أو كثيرا ما يميل إلى السخرية والاستهزاء من الخرافات والمعتقدات والطقوس الدينية التي يستغربها الأجانب والغرباء، سيما في إطار نظام الطبقية الراسخة بين الشعوب والجاليات الهندية.

وعلى سبيل المثال، يحكي تجربته المريرة من ضياع ماله وما قاساه من المعاناة والقلق بشكل تهكم واستهزاء بطقوس الهند : "في ريشكش رأيت الله مرتين. حين ضاعت أموالي، فهمت لماذا لم يحذر ابن بطوطة من شيء في بلاد الهند والسند قدر تحذيره من النشل والنشالين، شكوت من السرقة في المعابد وأقسام البوليس، وتضرعت إلى الآلهة لكي تعود ونذرت لها الورد والفودكا وجوز الهند، فقالوا : كل إله في الهند له دور، عليك وعلى الآلهة سارسفاتي ستدلك على مكان محفظتك، وإذا لم تجدها، اذهب إلى لاكشمي، إلهة الثروة، ستملأ جيوبك بلا حساب."[183]

---

[182] من مقدمة المهدي مبارك لكتاب البحث عن شاروخان بعنوان "أنت فاكرني هندي؟!".

[183] مرح الآلهة. ص:21

يصف الكاتب الشعب الهندي بأنهم بشر يقدسون الآلهة دون أن يعرفوا لغتها، فقط الموسيقى هي التي توحدهم وتصلهم بالرب، ومن ثمّ يتركون أجسادهم تهيم لأصداء التواشيح والترانيم بكافة اللغات: الهندية والأوردية والفارسية. يشير إلى مدى أهمية الموسيقى ورسوخها البالغ بين الجالية الهندية ضمن زيارته ضريح 'نظام الدين أولياء' في دلهي قائلا : "لا يخلو الضريح من حلقات الذكر وحلقات الموسيقى، فعلى يمين من يقرأ آية الكرسي فرقة موسيقية كاملة تدق طبولا صوفية وتعزف على بيانو وكمنجة ما يحبه ويرضاه ساكن الضريح ومن يجاوره من آلهة هندوسية. والموسيقى في دلهي عدوى، تنتقل من دين إلى آخر، ومن معبد هندوسي إلى مسجد، ومن مسجد إلى مصلية بوذية تستضيف لاعبي اليوجا، ثم تستقر في غرفة صغيرة تحتضن نسخة من كتاب السيخ وأمامها آنية مملوءة من البرك المقدسة"[184].

وأما عن حالة الرجل فيوضح بأن الرجل الهندي يعيش تحت سطوة الأحزان والفقر والكبت الجنسي من آثار تربية صارمة حاصرت الرومانسية لأنها ضعف، وشنقت التعبير عن الحب والمشاعر في ميدان عام لأنه خطيئة. وجعلت الجنس وسيلة للحفاظ على استمرار العائلة وبقاء الحياة. فأصبحت القبلات في الشارع عيبا، والأحضان سريعة وباهتة، والطبطبة تحرشا جنسيا والكلام مع امرأة لا تعرفها جريمة. وهذه القوانين القاسية دفعت الجميع إلى عدم البوح بالحب بأي طريقة. لا نظرات ولا همسات ولا لمسات، فالكتمان أجمل تجليات الحب في دلهي. ويتابع قائلا وهذا الكتمان ينفجر فجأة إذا دست عليه بإصبعك.

[184] المصدر نفسه .ص:3

ويلحظ من عنوان الكتاب في الطبعة الأولى "مرح الآلهة 40 يوما في الهند"، أن الاهتمام الخاص الذي يكرس دراسته في مضماره كصحفي مهتم بالأديان، هو العادات والتقاليد والطقوس والأعراف التي لها علاقة بالدين، سيما إذا كانت الدراسة من خلال رحلة في بلاد الديانات والآلهة، وآلاف المعابد والأضرحة والمساجد. وقد بالغ الرحالة وأجاد، وبذل كل ما في وسعه في كشف حقائق الطقوس الدينية اجتماعيا وتاريخيا وفلسفيا، بعين ناقدة حادة، مفعمة بالسخرية والاستهزاء. يقول:"والأيام غير العادية في حياة الهنود قليلة، سيناريوهات معادة ومكررة لأيام وأوهام في كتاب الأساطير والآلهة، ففي الطرق الصحراوية والزراعية بين أي مدينة وأخرى، تسعى جماعات ترتدي ثيابا ملونة، تتفاوت بين الأحمر والأصفر والزعفراني والبرتقالي الباهت، حاملة تابوتا زجاجيا بداخله تمثال الإله على عربة نصف نقل، وصندوق نذور تتساقط منه الزهور والحبوب والحلي الذهبية".

الآداب الهندية

يستعرض الكاتب من خلال يوميته، الأدب الهندي ورجاله من الشعراء والكتاب والفنانين البارزين مع إشارة ضمنية إلى بعض السمات والملامح الفنية للآداب الهندية. ربما يترجم للأعلام الهنود الكبار من الصوفيين والأدباء، مثلا يذكر نبذة يسيرة عن الشاعر الهندي أمير خسرو: "أشهر الأضرحة التي تحتل مساحة صغيرة بالقرب من نظام الدين لخليفته أمير خسرو، وبإزاءه تستقر الطوابير أول ما تنتهى من التمسح في بلاط حضرة مولانا، ثم يتجلى سر الزائر والزيارة. ثم يورد الكاتب ترجمة يسيرة للشاعر خسرو، معرفا إياه بأنه شاعر هندي يعتبر أهم مؤلفي المدائح الصوفية، التي تنبعث من الأضرحة لتساعد أرواح العارفين بالله على التحليق. ولد في

إقليم"أتر برادش"عام 1253وكان يجيد عدة لغات : يتكلم الفارسية والعربية والتركية والهندية، وفي العشرين من عمره عرف أنه أبدع من يكتب شعرا ويغني تضرعا إلى الله."[185]

ومما يعترض على الكاتب الشاب المغامر الذي قدم الهند، وهو في الثانية والعشرين من عمره عام 2016، مستهدفا اكتشاف الهند الجديدة بلاد الملل والنحل والعجائب والغرائب، مبالغته وتعسفه في عرض بعض الآراء والأفكار؛ مما تسبب لتشويه صورة الهند،وتجاوزه الحد في الطعن والتنقيص والتهكم بأهل الهند قاطبة، مع تعميم بعض الظواهر والطقوس والتقاليد الوضعية المستغربة بناء على الأساطير والخرافات الموروثة كابرا عن كابر، تمارس في بعض أرجاء الهند الشمالية، والتي طرحها الجالية الهندية الجديدة وراء ظهورهم.

[185]مرح الآلهة، ص: 5.

الفصل الثالث
الصورولوجيا وتمثلات الأنا والآخر

الصورولوجيا(Imagology)، أو الصورية، أو الصوراتية، أو علم دراسة الصورة بهذا المفهوم، تشير إلى دراسة الأجنبي في أدب ما أو ثقافة ما. "الصور ولوجيا " تعود نشأتها إلى القرن التاسع عشر على يد مدام دي ستال(Madame de Stael) في كتابها عن ألمانيا؛ حيث أزاحت الصورة السلبية للآخر "الألماني" لدى الأنا "الفرنسي". وتتمثل أهمية "الصورولوجيا" في تجلية صورة الآخر بعيدا عن الذات المتجنية المشوهة، وهي -بهذا - تسهم في تحقيق التواصل الإنساني بين الشعوب وبعضها بعضا.[186]

إن لمفهوم تمثل الأنا والآخر أهمية بالغة للغاية في الدراسات الأدبية الحديثة، وبصفة خاصة في مجال الروايات، وذلك لتأديته دورا حيويا في النقد الثقافي والتفاعل الحضاري وعلى الخصوص بين الشرق والغرب أو الثقافة العربية والغربية. وبالنسبة لأدب الرحلة تكون انعكاسات هذين الجانبين وفق ميول وأفكار ومقاربات صاحب الرحلة (أنا)، ولذا ربما تبدو ملامح هذا الصراع والاحتكاك الحضاري بشكل عام من خلال المقارنة والموازنة بين ثقافة صاحب الرحلة (أنا) والوطن الذي يتجول بين أرجائها (الآخر). وقد أشار إلى هذه الفكرة محمد جوادي بقوله في مقدمة رحلته: ولا زلت أعتقد أن كتابة الرحلات هى أبرز صور إسهامات الأدب فى صنع التعاون

[186] البراء صفوان عبد الغني." الصورولوجيا وأدبية الرحلة في الأدب العربي المعاصر رحلة الأديب المصري الرحالة محمد المخزنجي إلى الهند أنموذجا". .مجلة كيرالا ، يناير 2021

الدولى والسلام العالمي، ذلك أنه بدون فهم (الآخر) يستحيل على(الذات) أن تتقبل هذا الآخر، وأدب الرحلات يقدم هذا الفهم فى صورة جميلة وفعالة في ذات الوقت.

يكون البعض موضوعيا في تصوير الآخر، فلا يوجد تقدير أو إعجاب مبالغ أكثر من الاستحقاق، كما لا يكون تحقير أو انتقاص لذات أو للآخر عمدا وقصدا، بل يحاول لتصوير الحقائق حسب وجهات نظره وملاحظاته، ويكون البعض الأكثر انبهارا وإعجابا بالثقافة الهندية، ويقوم بالتنويه والإشادة والتقدير والمدح بشكل زائد، وبعض من الرحالة يرى بمنظار محايد بالإنصاف والعدل حينما يتعصب البعض ويتحيزون لبلده، ويترفع بحضارته وثقافة بلاده على الآخر ويصوره بلغة مليئة بالتهكم والسخرية والاستهزاء، وفي الوقت نفسه يترفع بثقافته وينوه بوطنه بشيء من المبالغة والتعسف في التعميم والتقبيح والتجريح .

وفي الرحلات المصرية تتمثل 'أنا' في الحضارة المصرية بشكل عام و العربية في بعض الأحيان و'الآخر' في الحضارة الهندية وثقافتها بصفة عامة والثقافة العجمية أو الآسوية عند بعض الكتاب. كثيرا ما يقارن يوسف إدريس من خلال كتابه 'اكتشاف قارة' بين حضارة الشرق والغرب وبعبارة أخرى، بين مصر وبلاد آسيا والهند عموما. وعند بحثه عن فلسفة الحياة والموت ووجود الكون والكائنات، يلاحظ "بأنّ الهندوكية ترى الكون أرحب بكثير من تصورنا نحن،وترى عمرَه أكثر طولًا بكثير، بل يكاد يكون في تصوُّرها لا بداية ولا نهاية، وإنما هو تعاقُب مستمر لفترات من النمو والخمود"[187].

[187] اكتشاف قارة .ص:24

وبإلقاء نظرة عابرة عبر الرحلات، يبدو أن هناك عناصر ومناحي مبهرة، تقوي التأثر والإعجاب بالهند كالموسيقى والأفلام والمسلسلات والفنون الهادفة والعمارة والنحت والآداب الكلاسيكية والفلسفات وتفوّق الهند في مجال التكنولوجيا والصناعة، وهذه التمثّلات للأنساق الثقافية الهندية في الأدب العربي، تتسم في معظمها بالإعجاب والتقدير والانبهار، ولا تتطرق إلى الاستعلاء أو الاستخفاف بصفة عامة. وبالمقابل كما هو الطبيعي، ثمة جوانب وظواهر ومناظر عامة للحياة العادية البسيطة، قد تعرضت وتصدت لانتقاد عنيف واستهزاء واستخفاف شديد من قبل الرحالة، وبالأخص صور التناقضات وأشكال التباينات وثنائية الثقافة الهندية من مناظر الفقر والمعاناة ومكابدة الفقراء ومستغربات الطقوس والتقاليد ومظاهر التدين الغالب وتعدد الآلهة والديانات، والممارسات المرتبطة بالمعابد والأضرح والمقابر بالإضافة إلى العادات والأعراف في الأماكن العامة والأسواق والمطاعم من مضغ البان وبصقها و عادة التبرز في الأمكنة العامة ونحوها .

وباستقراء الرحلات يلحظ، أن بعضا من المدونات يغلب فيها الطابع السلبي والانطباعات المشوهة للهند حيث ينظر الرحالة بعيون متشائمة مجرحة، ويستعرضون جوانب السلب والنقص ثم يعممون تلك الظواهر الفريدة، وبالتالي يقارن البعض بين وطنه والآخر، ويترفع بثقافته ويرفع من قدرها مع حط وقدح الآخر، في حين لا يقوم البعض بالموازنة والمقابلة بل يركز على ناحية فقط. ومن نماذج الرحلات التي غلب طابع الاستخفاف والسخرية، و التقبيح والتجريح بالهند وأهلها؛ رحلة محمد الجوادي، ومهدي مبارك وأنيس منصور إلا أنه رجع عن

تعليقاته بعد القيام برحلة مرة أخرى، وكتب عن قصته في مقال بأسلوب مليء بالتقدير والاحترام والإشادة والتنويه بالهند وثقافتها وأهلها.

ومن المنصفين الذين أبرزوا الجوانب الإيجابية المشرقة بشكل غالب، منبهرين ومتأثرين بالهند مع إفصاح مناحي السلب والنقصان، أشرف أبو اليزيد ونوال السعداوي ومحمد المخزنجي وسعد القرش وسامية علي ويوسف إدريس، حسين هيكل وحسنين هيكل وأمثالهم .

يتبلور مفهوم الصورولوجيا وتمثل الأنا والآخر معا، بشكل واضح من تعليق يوسف إدريس، حيث يوضح بأن صورة الهند التي شاهدها عيانا، تختلف تماما مما انطبعت لدى العرب والمصريين، ثم يقارن بين الهند ومصر في وضع الشعوب والمجتمعات في ضوء الرؤى والمفاهيم وفلسفة الحياة. يقول : والهند في حسبان معظم العرب والمصريين خاصة ليست سوى غاندي ونهرو وإنديرا وبضعة أفلام هندية[188]. ومن هذا المنطلق يحاول لاستكشاف الهند وشعبها وثقافتها . ويؤكد: بأن"الهند ليست دولة واحدة، إنها قارة بمفردها. وليس هناك ما يمكن أن يُسمى بالمجتمع الهندي؛ فهو مجتمع مكوَّن من عديد المجتمَعات، كل لغة تُكون مجتمَعًا، كل دين يُكوِّن آخر، كل طائفة، كل وحدة جغرافية، كل درجة من درجات الفقر أو الغنى. إنَّ الهند على عكسنا تمامًا هنا، فإذا كان مجتمعنا هو مجتمع التوحُّد والتوحيد، فمجتمع الهند هو مجتمع التعدُّد والاختلاف. وقد يظنُّ البعض أن التعدد يؤدي إلى مجتمع ضعيف، وأن التوحيد يؤدي إلى مجتمع واحد قوي، ربما العكس هو الصحيح. إنَّ التوحيد التام يؤدِّي إلى فقدان

[188] اكتشاف قارة.ص:10

الخصائص المتفرِّدة، نفس الخصائص التي يؤدِّي وجودها وتأكيدها إلى قوة المجتمع الأكبر، في حين أن إلغاءها في سبيل التوحيد يؤدِّي إلى طمس معالم التفرد والامتياز، وبالتالي إلى وحدة كوحدة المتشابهَين كوحدة الأصفار".

وقد كان من الصور المنطبعة المنقوشة لدى المصريين، نتيجة كتابات الرحالة السابقين في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وبصفة خاصة مما سجله الإنجليزيون وموظفو الاستعمار البريطاني في الهند، أن الهند بلاد العجائب والغرائب حافلة بالأساطير والخزعبلات ومليئة بالأفيال والأبقار والوحوش والأسماك الغريبة للصيد والقنص وهكذا كثير. ولكن سرعان ما تتغير صورة الهند الحديثة عند المشاهدة والعيان وبالأخص، واقع الهند في القرن الحادي والعشرين، حيث تتجلى صور الهند الجديدة، التقدم التكنولوجي والعلمي والتطور الصناعي والحضاري بشتى أشكالها وألوانها المبهرة. وقد أسهمت الرحلات في تغيير صورة الهند القديمة السائدة لدى العرب والمصريين بشكل كبير، وذلك بواسطة تعليقات وتمثيلات الرحالة المصريين المحدثين كما يتضح ذلك من انطباعات مهدي مبارك: انفتح أمامي عالم آخر مختلف تماما عما كنت أعتقد، الهند الجديدة، مملكة التكنولوجيا الحديثة، وعالم البيزنس والأعمال، ذهبت إلى الهند، محملا بأساطير بلاد العجائب كان أمامي طريقان، أن أتتبع أوهام الماضي، أو أدخل بقدمي إلى المستقبل، فهذه بلد الملياردیرات الجدد، ملايين من رواد الأعمال الشباب ورجال الأعمال والمديرين التنفيذيين لأهم الشركات في العالم، والآباء الروحيين للتكنولوجيا خرجوا من هنا، فاشتريت الوهم، وطاردت خيوط الجهل على وعد بأن أعود مرة أخرى لأضع قدمي في أفرع جوجل، وأوبو، ومايكروسوفت، وأكتب قصة الهند الأخرى.

وقد لمحت الكاتبة سامية علي إلى هذا الجانب، وذلك عندما يفكر الناس في السفر إلى الهند, فإن أول الصور التي تتبادر إلى أذهانهم هي تاج محل، التوابل, ركوب الأفيال، وأميتابتشان. وفي مصر عندما يعرف أحد أنها تزور الهند باستمرار، فإن أول الأسئلة التى تتبادر إلى ذهنه هي: إنتي بتكلمي هندي؟..هما بيعبدوا البقر؟ هما مش بياكلوا لحمة خالص؟ بتأكلي إية وإنتي هناك؟. ولكن من خلال تجاربها في الأسفار المتواصلة إلى الهند، تعرفت أن الهند لديها الكثير والكثير، فالهند بلد ذو خلفية تاريخية غنية ومتنوعة. مزيج مدهش من الثقافات المختلفة. إن كتابة مقدمة عن الهند ليست بالأمر السهل فمن أين تبدأ؟ وكيف يمكن إيجاز تاريخ حضارة عمرها أكثر من 5000 سنة في بضعة سطور!.

وقد نظرت السعداوي إلى الهند (الآخر) برؤية منصفة، مائلة إلى نوع من المقارنة والتشبيه حيث ترى تشابها جليا بين الهند ومصر من نواحى شتى مع التقدير والتقييم للآداب الهندية الهادفة وفلسفتها بشيء من الإعجاب، ربما ترفعها فوق الأدب الأوربي إلى حد ما. تستهل الرحلة بهذه الكلمات: "رحلتي إلى الهند لم تكن كأية رحلة إلى أي بلد، كانت أشبه ما تكون برحلة الحياة كلها منذ الولادة حتى الموت...رحلتي إلى الهند كانت طويلة ومرهقة، ولكنها ممتعة، أشبه ما تكون برحلة إلى النفس في قسوتها وفي حلاوتها. ربما هي أصعب رحلة قمت بها في حياتي رغم أنني زرت معظم بلاد العالم ومشيت في أوعر الطرق. لكن صعوبة اكتشاف الهند تشبه إلى حد كبير صعوبة اكتشاف النفس."[189]

[189] رحلاتي في العالم .ص189

وكانت معجبة بالأدب الهندي للغاية وبأعمال الكاتبات الهنديات. توضح "بأن الأدب الهندي لا يصل إلى القاهرة إلا عن طريق لندن، ولندن لا تترجم من الأدب الهندي أو الأدب العربي إلا ما يروقها، وما يتفق مع نظرتها إلى الهند أو العرب. ولهذا فان معظم ما في الأدب الهندي أو العربي لم يترجم في لندن، وظل مغلقا في السوق المحلية ولم يصل السوق العالمية. وبالطبع لم يحصل على جائزة نوبل. ولهذا أيضا لم نسمع عن أديب عظيم في الهند كما نسمع عن هؤلاء الأدباء العالميين من أمثال هيمنجواي وكافكا وشتاينبك(John steinbeck) وغيرهم. مع أن الذي يذهب إلى الهند ويقرأ بعض إنتاج الأدباء والأديبات في ولايات الهند المختلفة، يكتشف أن في الأدب الهندي ما هو عظيم، وما هو أكثر خصوبة وتنوعا من بعض إنتاج الأدباء العالميين الذين درجنا على أنهم هم العظماء وحدهم."[190]

وبالنسبة لأشرف أبو اليزيد، قد التزم الإنصاف والتفاؤل في تمثيل الأنا والآخر، وتعكيس صور الهند، المتعددة الأشكال والألوان حيث يقدر ويشيد بعظمة حضارة الهند وروعتها،ويقدم الجوانب المشرقة وينوه بالتقدم والرقي التكنولوجي والصناعي، الذي أحرزتها الهند في السنوات الأخيرة، مع لفت النظر إلى ملامح الفقر والمعاناة والتعاسة التي يعاني منها المهمشون والأقليات في أرجاء الهند وبصفة خاصة يهتم بظروف وأوضاع الجالية المسلمة ومشكلاتهم كما نبه بحالات المساجد والمعالم الإسلامية الآيلة للزوال في أراضي كوجرات .

[190] المصدر نفسه، ص240

فقد صرح الكاتب -معجبا بالهند ومقدرا لها- : بأن"الرحلة العربية المعاصرة إلى الهند أكدت على أن هذا البلد القارة يظل مقصدًا للرحالة العرب على مختلف مشاربها، وأن أدبيات الهند في الإبداع ووثائقها في التاريخ تظل مصدرا للإلهام، كما أن الصورة الفوتوغرافية قدمت للرحلة المعاصرة بعدا إضافيا دون أن تقلل من قيمة النص المكتوب، وأن الاهتمام بنشر أدب الرحلة العربية المعاصرة يتنامى، ليس فقط باعتباره بلد العجائب، بل لكونه بوتقة إبداع معماري وحاضنة حضارات عريقة وشعلة إشعاع ثقافي ونموذج حكم ديمقراطي."[191]

ومن الذين صوروا الهند برؤية ناقدة متشائمة مع التهكم والانتقاص، الرحالة أنيس منصور ومحمد الجوادي ومهدي مبارك ونحوهم. وقد بذل منصور كل ما في وسعه لإبراز معظم جوانب القذر والقبح السلبية؛ بحيث يجعل القارئ يشعر بالقلق والانزعاج نحو الهند والعيش في ربوعها مع التعميم لبعض ظواهر الحياة العادية. يقول: "إن أول شيء يواجهك وأنت نازل إلى بلاد الهند، هي هذه الروائح .. إنها بحر آخر بالإضافة إلى بحر المطر .. وبالإضافة إلى بحر الرطوبة، وبالإضافة إلى بحر الناس... هذه الروائح لا تعجبك أبدا... لقد وهبني الله الذي لا يحمد على مكروه سواه - حاسة شم غير عادية .. فأنا أتعذب بها... ولكن في الهند لم أعرف بالضبط ما اسم هذه الروائح : هل هي أطعمة أو بخور أو جثث موتى أو عرق.. وطين ومطر وأنواع أخرى من الطين لم أعرفها، ومن الرمل لم نسمع عنها ...و عرفت بعد ذلك أنه يوجد في بومباي أعشاب وأطعمة وأبخرة تتصاعد من الأرض... ومن الحقول ومن البيوت والدكاكين، ومن الأجسام الحية

[191] أدب الرحلة العربية المعاصرة إلى الهند، أشرف أبو اليزيد.

والأجسام الميتة التي تحرم بعض الديانات الهندية دفنها، وإنما تتركها للصقور والنسور تمزقها وتأكلها وتطير بها .. أو تطير ببقاياها.. أو من الأجسام التي أحرقها أهلها بالزيت والدهن."[192]

وأما الجوادي فقد غلب في كتابته شيء من التهكم والحط من ثقافة الهند وأهلها، مركزا على مظاهر الفقر والمعاناة وقلة الحيلة في بعض الأمور، كما فعل نظيره منصور من إزعاج القارئ بالشعور السلبي، وان اعتذر بعد في مقدمة الطبعة الثانية من كتاب 'رحلات شاب مسلم'. يقول : "تأخذني الفكرة بعد الفكرة لأسارع بالسفر من بلاد الأوبئة، فقد أصبحت صحتي اليوم لا تقوى على تحمل النملة تسير على الجسم من دون أن تداعبه، فما بالك بهذه الأوبئة اللعينة تقرأ عنها فى الصحف الهندية المكتوبة بالإنجليزية والتى تحمل ذات العناوين التي تحملها الصحف الإنجليزية والأمريكية الكبرى، التايم، الإكسبريس وهلم جرا . . وتسمع عنها من الزملاء الهنود، هذا إذا أهملت جانبًا ما درسته فى الطب أو ما سمعته من الذين سبقوني إلى زيارة هذا البلد".[193]وقد قدم انطباعه تجاه الهند أول الوهلة يعني عند خروجه من المطار: "وما إن صرت على باب المطار، بانت لي أشباح الفقر، عشرات عديدة من الهنود يقفون بلا عمل، هم مستعدون لحمل الحقائب، أو لتغيير النقود، أو لإرشادك إلى التاكسي، مع أن الشمس في السماء، والعداد بارز منه، أو للتسول، أو لأشياء أخرى.!!" [194]

يسخر المهدي من عادة أهل الهند في التبرز في الهواء الطلق والحفر والأماكن العامة، حاكيا قول غاندي: "إن الحمامات أهم من الاستقلال". يقول : "نصف مليار هندي يبحثون كل صباح

[192] حول العالم ص :43

[193] رحلات شاب مسلم. ص: 40

[194] المصدر نفسه، ص:18

عن حفرة للتبرز على الفطرة، وليس على أحد سوى تتبع شريط القطار أو الأرض الزراعية ليرى لفافات البراز تزين الطريق."[195]

المظاهر والمناظر العامة عن الهند

وبإلقاء النظر في صفحات الرحلات، يبدو أن هناك نواحي ومظاهر وملامح وموضوعات عامة، قد تحدث عنها معظم الكتاب والرحالة. ومن أعمها التناقضات والتباينات في المناظر والمظاهر وثنائية الثقافة الهندية ،وأشكالها المتناقضة ومستغربات الطقوس والتقاليد إلى جانب ما حملت الهند في أراضيها من المعالم والمآثر التاريخية.

وقد تضمن عدد من الرحلات، الحديث عن الأبقار الهاجعة في الشوارع والقردة المطلة والأفيال، وعن أوضاع المرأة الهندية وتعدد الديانات والآلهة والتنوع الحضاري والديني، بالإضافة إلى روعة الأفلام الهندية وكثافتها في العدد كما تلحظ ظاهرة الإعجاب بالفنانين والنجوم البارزين المفضلين مثل أميتاباشن والشاروخان وغيرهم، حتى اكتسب شاروخ محلا في عنوان الغلاف في رحلة المهدي" البحث عن شاروخان 40 يوما في الهند". وقد تناولت الرحلات بشكل بديهي، مظاهر الفقر والمعاناة من ناحية ومظاهر التقدم التكنولوجي والصناعي في جهة أخرى. كما تطرقت إلى الآداب الهندية ومكانتها في الوطن العربي إلى جانب أعلامها المبدعين والساسة من أمثال طاغور وإقبال ونهرو وغاندي وآزاد وباتيل وإندرا ونحوهم.

[195] مرح الآلهة، ص: 159

ومما أعجب بها الرحالة وانبهروا بها، المساحة المترامية لأرجاء الهند، والطبيعية الساحرة والتنوع العقدي والثقافي والأجناسي وعظمة التاريخ. وهذه النقاط المذكورة والجوانب اللافتة والصور المتمثلة، قد تناولها أكثر الرحالة إيجازا أو إطنابا، إيماء أو إيضاحا، ولذا يمكن القول بأن الهند هي مجموعة هذه الظواهر والأشكال والألوان ومجمع الديانات ومرتع غرائب الطقوس والتقاليد والأعراف بالنسبة لمفاهيم ورؤى الصورولوجيا.

تتبلور صور الهند وانطباعات الرحالة العامة عن ثقافتها بشكل مجمل من تعليق الكاتبة سامية علي: "الهند من أقدم الحضارات والثقافات التي عرفتها البشرية. إنها البلد التي تشعرك أنك تعيش في أسطورة من زمن الأساطير القديمة. بلد تذهلك بتركيبتها العجيبة من المتناقضات الغريبة، إنها بلد الثعابين والطواويس والفيلة والقردة والبقر. بلد الإمبراطور المغولي أكبر ومهاتماغاندي والشاعر العظيم طاغور. وهي مركز لصناعة تكنولوجيا المعلومات. وأخيرا صعدت للفضاء، ووصلت إلى المريخ. الهند بلد ربما لا يفهمها الكثيرون من الزيارة الأولى، لأن بها العديد من المفارقات والمتناقضات، كالفن المعماري المبهر والعشوائيات الكبيرة، التكنولوجيا المتطورة والاعتقادات البدائية، الضوضاء نهارا والسكون القاتل ليلا، الثراء الفاحش والفقر المدقع، الحضارة والتخلف. إنها الهند البلد التي قال عنها المؤرخون: "إنها من أعقد الحضارات البشرية وأكثرها تنوعا، التنوع في كل شيء وأي شيء".[196]

[196] ناماستي

ومن الظواهر البارزة التي لمح إليها معظم الرحالة، التناقضات الغضة ومناظر الثنائيات في الثقافة الهندية و شتى مناحي الحياة البسيطة. تقول السعداوي: "وجدت الهند كالحياة مليئة بالتناقضات في الوقت الذي يموت فيه آلاف الهنود من الجوع تضيع كميات هائلة من الطعام على شكل وهبات للمعابد الدينية. يعالج الانسان هذه التناقضات بأن يفصلها الواحدة عن الأخرى ويتظاهر بأنه لا علاقة بين الواحدة والأخرى. بمعنى آخر أن الاعتقاد بفكرة دينية يمكن أن يعيش جنبا إلى جنب مع التجربة العلمية. الاعتقاد بالفلك والتنجيم يعيش إلى جانب علم الفلك. الاستغراق فى المتع الدنيوية والشرب واللذة الجنسية إلى جانب فلسفة روحية زاهدة في الأكل والشرب والجنس. يعالج الإنسان هذا التناقض بأن يفصل بين الدين والعلم، ويجعل الرأس مفصولا عن القلب والروح مفصولة عن الجسد، والفكر مفصولا عن الواقع الحي."[197]

[197] رحلاتي في العالم ص:234

الفصل الرابع
تأثير الرحلات في الأدب العربي

وقد أثرت الرحلات المصرية إلى الهند في الأدب العربي بشكل ملحوظ من جوانب عدة؛ ومنها ما لقيت الهند وآدابها وأعلامها من الأدباء والكتاب والساسة من الذيوع والشيوع في الوطن العربي وخاصة بين القراء والمثقفين. وكان الشاعر إقبال ودواوينه الشعرية من اهتمامات عبد الوهاب عزام حيث قام بدراسة مستوعبة عنه، إلى جانب ترجمة أعماله من الفارسية والأردية إلى العربية، كما كان لعبد المنعم النمر،عناية ملحوظة بعرض تاريخ المسلمين في الهند، إلى أن أخرج كتابا عن الزعيم مولانا أبو الكلام آزاد بشكل رسالة الدكتوراه، ومؤلفا ضخما موسوعيا ومرجعيا في تاريخ مسلمي الهند باسم 'تاريخ الإسلام في الهند'.

وقد أسهمت الرحلات في ذيوع صيت فنون الهند العريقة من الأفلام والموسيقى وأشكال الرقص والمسلسلات والنحت والفن المعماري، وغيرها من ألوان الفنون الرائعة، وبشكل كبير قد مهدت الرحلات لرواج الأفلام الهندية وبوليوود ونجومها الأعلام المفضلين بصفة خاصة بين مشاهدي الوطن العربي، إلى حد أن كسبوا عددا لا يستهان به من المشجعين والمعجبين العرب، كما هو الملموس من رحلات سعد القرش ومهدي مبارك وأشرف أبو اليزيد.

ومن اللافت، أن كتابات الرحلة قد أثرت بشكل كبير في جولات الآخرين، وطريقة رصدهم تفاصيل الرحلات. وقد لوحظت بأن بعضا من كتب الرحلات، قد مهدت السبيل وأنارت الدرب للمرتحلين اللاحقين، وساهمت في إثارة إعجابهم بالثقافة الهندية ولفت أنظارهم إلى المعالم

والآثار السياحية التي لا غنى عنها للسائح والرحال في شتى أرجاء الهند . وقد تسببت تلك المدونات لتوجيه الآخرين إلى الهند، ومنهم من يراجع تلك المؤلفات كدليل السفر والترحال. وقد سجل الجوادي مشاهدات وانطباعات رحلته إلى الهند، مستمدا مما قرأه عن الهند وأحوالها من كتب نظرائه من الرحالة مثل عبد المنصف محمود 'في بلاد البقرة المقدسة'، وكتاب عبد المنعم النمر"تاريخ الإسلام في الهند"، وكتاب الأستاذ حسين فوزي"السندباد"، الذي أهداه مؤلفه نفسه قبل سفره مباشرة متمنيا له التوفيق، بعد ما قص الفوزي عليه كثيرا من الطرائف التي صادفها في رحلته الأولى إلى الهند مما لم يسجله بالطبع في كتابه.

ومن تأثيرات الرحلة ما اكتست من مكانة ملحوظة بين الأوساط الأدبية، وجذبت اهتمامات الأدباء الكبار والنقاد العرب حتى يعلقون على تلك الأعمال، ويقرظون لها ويكتبون مقدمات عليها، و قد كتب القاص محمد المخزنجي مقدمة الكتاب 'البحث عن شاروخان" لمهدي مبارك ، ومما جاء في كلمته: "لمح مهدي ما لا يمكن أن تلمحه غير عين رحيمة بالعناء البشري، فكانت الهند السرمدية أمامه رحابا يتنافس فيه الأتباع، لكن لا أحد يخرج من أرض الآلهة والخرافات خائب الرجاء. واستدرك قائلا: "لكن العين الرحيمة ذاتها لم يمكنها أن تكون متجاهلة لنقيض ذلك مما جرته حداثة الأيام على هذا الرحاب العريق العتيق، فلمح الوثنية المتجسدة، وثنية توابع رأس المال العالمي وأشباحه الذين يسوقون جحافل البشر في إدارة طواحين حداثة ما بعد الانسانية، وعبادة الآلهة الجدد التقنيين في دلهي المتخمة بالفقر والملياردیرات من جانب، ومن جانب آخر عباد أصنام تحويل الإيمان إلى احتراب بشري يمول بتجارة الحشيش وتفخيخ أضرحة أولياء الله، وبين هذا وذاك كان هناك من يموتون بثمار جوز الهند التي تقع على رؤوسهم

من قمم نخلاتها الشواهق، ودعارة البؤس وفنادق الأرصفة وبنات الديسكو اللائي يخبئن ملابس قصيرة يرتدينها حين يدخلن ويغيرنها حين يخرجن. وما هذا الذي سبق سوى إشارة عابرة لعجائب وغرائب وحماقة وحكمة ومدهشات ومذهلات، لاسبيل إلى لمسها إلا بالمضي ـ على خطى الكاتب التي صنعت شبكة عجيبة من الدروب في رحلته الهندية هذه، أرض البشر الحارة التي تضمر حرارتها كل رعشات العالم."[198]

ومن تأثير الرحلات في الساحات الثقافية، ما لوحظت من خطوات جادة في مجال تعزيز العلاقات والتفاعلات الثقافية بين البلدين، وذلك في بيان مشترك بين جمهورية مصر العربية والهند، حين حضر الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي احتفالية يوم الجمهورية الهندية في 2023/1/26 وشاركت القوات المسلحة المصرية في عروض الاحتفال. وفيما يلي نص البيان :

الفنون والثقافة والتراث: "أعرب الزعيمان عن تقديرهما للتبادل الثقافي المتنامي بين مصر والهند، ورحبا بتوقيع مذكرة تفاهم في مجال الثقافة بين البلدين، والتي ترمي إلى زيادة تعزيز التبادلات الثنائية في مجالات الموسيقى والرقص والمسرح والأدب والمكتبة والمحفوظات والمهرجانات الثقافية. وأعربا عن تشجيعهما لتعزيز التعاون بين البلدين في هذا المجال بموجب مذكرة التفاهم الموقعة بين هيئة البث الإذاعي والتلفزيوني "براسار بهاراتي" الهندية و"الهيئة الوطنية للإعلام"المصرية، وذلك بهدف زيادة الإنتاج المشترك للبرامج الإذاعية والتلفزيونية، وتنفيذ برامج بحثية وتدريبية، وتبادل الموظفين."[199]

[198] من مقدمة الكتاب للدكتور محمد المخزنجي، خطوات مهدي في بلاد الملل والنحل والعجائب والغرائب.

[199] https://www.sis.gov.eg/Story/232422/ مصر والهند 20مارس 2022

ويستخلص مما سبق، أن الرحلات بوجه عام، قد أثرت في الأدب العربي والمصري من خلال النقاط التالية:

- المساهمة في إثراء المعرفة والثقافة مع الخبرات والتجارب الشخصية للأدباء والشعراء.
- تزويد الرحلات بمواد ثرية للروايات العربية وظهور الشخصيات الهندية من خلالها كما تبلور في حديقة خلفية والترجمان لأشرف أبو اليزيد.
- لقيت الهند وآدابها وكلاسيكياتها وأعلامها من الأدباء والكتاب والساسة من الذيوع والشيوع في الوطن العربي وخاصة بين القراء والمثقفين.
- مهدت كتب الرحلات السبيل وأنارت الدروب للمرتحلين اللاحقين، وتسببت لتوجيه الآخرين إلى الهند كما وقع لمحمد الجوادي.
- ذيوع صيت فنون الهند العريقة من الأفلام والموسيقى وأشكال الرقص والمسلسلات والنحت والفن المعماري وغيرها من ألوان الفنون الرائعة.
- رواج الأفلام الهندية وبوليوود ونجومها الأعلام بين مشاهدي الوطن العربي إلى حد أن كسبوا عددا من المشجعين والمعجبين فيما يظهر من رحلات سعد القرش ومهدي مبارك وأشرف أبو اليزيد.
- ترجمة الآداب الهندية إلى العربية وبالعكس.
- انعكاس الأساطير والملاحم الهندية والمعالم التاريخية بشكل رموز في الأشعار العربية.
- النمو الملحوظ في السياحة العلاجية الاستشفائية وبوجه خاص في مجال يوغا وآيرويدا

- تعزز العلاقات الثقافية وتوطد التبادلات والتفاعلات الحضارية والعلمية بين الهند ومصر.
- إبراز مكانة اللغة العربية و ثقافتها ومعالمها ومراكز تعليمها وأنشطتها في شتى ربوع الهند أمام العالم العربي.

الباب الرابع

رحلات أشرف أبو اليزيد إلى الهند

الفصل الأول : أشرف أبو اليزيد: حياته و أعماله

الفصل الثاني : علاقته مع الهند ورحلاته إليها

الفصل الثالث : المنهج وآليات السرد

الفصل الرابع : الموضوعات المطروحة في نصوص الرحلات

الفصل الأول
أشرف أبو اليزيد: حياته و أعماله

روائي شاعر رحالة صحفي، عمل في الصحافة الثقافية لأكثر من ثلاثة عقود، اختير شخصية العام الثقافية، جمهورية تتارستان، روسيا الاتحادية 2012. حصل على جائزة مانهي في الآداب عام 2014 (كوريا الجنوبية). نال جائزة الصحافة العربية في الثقافة عام 2015 (الإمارات العربية المتحدة). منح الميدالية الذهبية في مهرجان أوراسيا الأدبي، إستانبول، 2021. عضو اتحاد كتاب مصر ورئيس جمعية الصحفيين الآسيويين، ورئيس تحرير "آسيا إن" العربية شبكة أخبار المستقبل، وشقيقتها الورقية"ماجازين إن"التي تصدر في سيؤول باللغات الكورية والإنجليزية والعربية، يعمل رئيس تحرير لسلسلة إبداعات طريق الحرير ومنسق حركة الشعر العالمية في مصر.

له 44كتابا في الرواية والشعر وأدب الرحلة والسير الذاتية والترجمة وأدب الأطفال. صدرت بعض مؤلفاته الشعرية والروائية باللغات الإنجليزية والألمانية والإسبانية والتركية والكورية والفارسية والسندية والصربية، والروسية، والأذرية ، ولغة مليالام في كيرالا.

الحياة والنشأة

ولد أشرف في العاشرة من صباح يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر مارس 1963. وكان أبوه أبو اليزيد مرسي الدالي موظفا حكوميا وأمه ربّة البيت فاطمة السيد ياسين شلبي. كان الوافد الجديد صبيا بعد بنات كثيرات ولدْن في العائلة، حتى أن جدّتَه خشيت عليه من الحسد، فكانت

تقول للمهنئات الزائرات حين يطالعن الوجه المليح في مهده: "فاطمة أنجبت شريفة"! ولكن بعد أيام شاع الخبر ولم يعد سرا، وعرف الجميع بمولد من أسماه أبوه "أشرف". دأبت العادة لدى قطاع كبير من الأسر المصرية على تسمية الأبناء والبنات تيمنا بأسماء الأجداد والجدات، أو اختيار أفضل الأسماء ممن حُمِّدَ وعُبِّدَ، مثل محمد وأحمد ومحمود أو عبدالله وباقي عباد الأسماء الحسنى، لكن الأب في عائلة الدالي اختار أن يسمي الأبناء والبنات بأول حروف الأبجدية؛ الألف، فسمّى كبرى ابنتيه إكرام، والصغرى انتصار، وسمى الأولاد، على التوالي: أشرف وأيمن وأحمد.

قبل أن تكتمل لدى الطفل أشرف السنوات اللازمة للاتحاق بالدراسة الابتدائية، أدرجه والده عامًا بمدرسة أزهرية في مدينة بنها؛ مسقط رأسه، وهي مدينة صغيرة اتخذت عاصمة لمحافظة القليوبية، وتقع على بعد خمسين كيلومتر شمالي العاصمة المصرية؛ القاهرة، لينقله بعدما استقام لسانه، في العام التالي، إلى مدرسة الشهيد عبد المنعم رياض الابتدائية.

كانت المدرسة الجديدة تجريبية ومتطورة، وقد عرف الصبي الطريق إلى مكتبتها، حتى في حصص الألعاب، فاشتهر عنه بأنه قرأ آلاف كتبها خلال سني الدراسة، مثلما عُرف بموهبته في الرسم، حتى أنه كان يرسم وجه الزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر دون أن ينظر إلى صورته. ومثلما كان يعلق رسومه مدير المدرسة، كان الأساتذة ينادونه ليقرأ على الصفوف الأعلى ما يعجز الطلاب عنه.

وكان من بلاغة إلقائه اختياره ليقرأ القَسَم الوطني في الإذاعة المدرسية، حتى أن أقرانه ينادونه بـ"أقسم"، المفردة التي تستهل القسم، عوضا عن اسمه، مثلما يستعين به أستاذ المكتبة في تشغيل الجرامافون لسماع أسطوانات القصص السمعية المرسومة، ويشارك في المسرح المدرسي بإلقاء الشعر. تمر سنوات الصفوف الأولى بتفوق، ومثلها تمر سنوات المرحلة الإعدادية، لتأتي سنوات الدراسة الثانوية، فتتشعب الهوايات وتزدهر المواهب بالفن وبالكتابة، حتى أنه كان يكتب موضوعات التعبير نظما شعريا. ويتوقع مدرس الرسم له أن يكون مهندسا لما رأى في تصميماته من براعة، لكن الفتى أراد أن يصبح فنانا تشكيليا، وهي الرغبة التي وأدها والده، حين أجبره على دراسة تؤهله ليكون معلّما، فيدرس الأدب الإنجليزي في كلية التربية بجامعة بنها.

في سنوات الجامعة بدأ تيار صحافي في مصر لجأ إليه الكتاب والمبدعون في ظل الرقابة وتضييق المنافذ الرسمية على النشر، فكان أن أصدر أشرف أبو اليزيد، وهو في سنته الجامعية الثالثة، مجلته نصف الشهرية (شباب 2000)، منذ 15 أكتوبر 1983. واستقطبت المجلة آداب وفنون طلاب الجامعة، واستمر صدورها خمس سنوات، وكانت إرهاصا بعمله الصحافي الثقافي فيما بعد. وبعد التخرج وإتمام الخدمة العسكرية يدرس عامين تمهيدا لكتابة رسالة الماجستير حول "مفهوم المواطنة في مناهج التعليم المصري"، لكنه لا يكمل مناقشتها، ويتجه للسفر خارج مصر.[200]

[200] من مذكرة الرحالة أشرف أبو اليزيد أرسلها إلى الباحث

عمل أشرف في المملكة العربية السعودية مدرسا للغة الإنجليزية(1991)، ثم انتقل مترجما ومحررا ومخرجا لمجلة "نزوى" في سلطنة عمان (1992)، وعاد إلى مصر لفترة عام، فاشتغل مسؤولا ثقافيا في وكالة أنباء رويترز، وسكرتيرا لتحرير وإخراج مجلة "أدب ونقد" (2001)، قبل أن يسافر مجددا كبيرا لمحرري مجلة العربي (2002 – 2016). واتجه بعد نهاية عمله في مجلة العربي إلى كوريا الجنوبية، ليُنتخب رئيسا لجمعية الصحفيين الآسيويين؛ التي انضم إليها قبل عقد من ذلك التاريخ، وهو الآن مسؤول عن القسم العربي في موقعها الإلكتروني آسيا إن.

وخلال سنوات عمله بمجلة العربي قدم سلسلة من برنامجه التلفزيوني؛ الذي أسماه (الآخر)، وكان يعده ويقدمه ويخرجه على شاشة قناة العربي بدولة الكويت. وعرض الموسم الأول من البرنامج يوميا خلال شهر رمضان الفضيل، على شاشة قناة العربي. واختار أشرف أبو اليزيد (الآخر) عنوانا لبرنامجه؛ لأنه يستضيف نخبا ثقافية من خارج الوطن العربي، وهكذا ينتقل الحوار مع تلك الأسماء من الحروف المكتوبة إلى وسيط جديد يؤكد فكرة السعي للتواصل، واكتشاف الثقافات المغايرة. كان ضيوف البرنامج من الأكاديميين والأدباء والفنانين والإعلاميين والدبلوماسيين من شتى أنحاء العالم، في هذه المسيرة ساعدت الجذور الموزعة بين القراءة والكتابة المترعرعة بين الرسم والسفر على تكوين شخصية أشرف أبو اليزيد الإبداعية، في الشعر والرواية وأدب الرحلة والسير الذاتية والترجمة وأدب الأطفال، ليقدم المؤلفات التي أهلته للحصول على جائزة مانهي المرموقة في الآداب عام 2014 م(كوريا الجنوبية)، ونيله لجائزة

الصحافة العربية في الثقافة عام 2015م(الإمارات العربية المتحدة)،بجانب عدد من التكريمات في الشرق والغرب.[201]

كانت أولى الجوائز التي حصل عليها أشرف أبو اليزيد، اختيار إحدى قصائده باللهجة العامية المصرية بين أفضل عشرة قصائد بمسابقة المجلس البريطاني في القاهرة (1989)، كما كرمه في بيشيلية الإيطالية عمدة مدينتها لمشاركته الشعرية في مهرجان شعوب المتوسط(2004)، وكرمته مجلة دبي الثقافية مرتين، شاعرا وإعلاميا، عامي 2009 و2013، مثلما كرمته جمهورية تتارستان، الاتحاد الروسي، مرتين لاختياره شخصية العام الثقافية، من قبل وزارة الثقافة (2012)، ولترجمته عملين للشاعر عبد الله طوقاي، من قبل اتحاد الكتاب (2013)، وكرمته السفارة المصرية بدولة الكويت بدرع نجيب محفوظ للإبداع (2014)، مثلما كرمه الملتقى الإعلامي العربي في الكويت بدرع الإعلام (2015)، كما كرمه اتحاد الكتاب الأفارقة في إبادان، نيجيريا، بميدالية راعي الثقافة (2022)، وكرمته مؤسسة الكومنولث الثقافي، كازخستان، بميدالية سفير الثقافة (2023)، وكرمته منظمة كُتاب العالم في أبوجا، نيجيريا، بميداليتها لإسهامه في الترجمة (2024)، ومنحته الجمعية الكورية المصرية في سيول للتنمية عضويتها الشرفية (2024).

وقد تواصلت حلقات البرنامج اليومي في رمضان لموسم ثان، حتى تجاوز عدد الضيوف الستين ينتمون لأكثر من 35 دولة، وقد ساهمت رحلاته في تصوير معظم لقاءات هؤلاء الضيوف. ولا

[201] شعرية السرد بتصرف يسير.ص :25

يزال يمارس أنشطته المبدعة وفعالياته الأكاديمية مرتبطا بعديد من الهيئات والحركات والمنظمات الثقافية. يعمل بشكل عضو اتحاد كتاب مصر، ورئيس جمعية الصحفيين الآسيويين، ورئيس تحرير في "آسيا إن"؛ شبكة أخبار المستقبل، وشقيقتها الورقية "ماجازين إن" التي تصدر في سيؤول باللغات الكورية والإنجليزية والعربية، كما أنه رئيس تحرير سلسلة إبداعات طريق الحرير، التي بدأها بنشر ترجمته لديوان الشاعر الهندي هيمانت ديفاتي.[202]

مؤلفات أشرف أبو اليزيد

الروايات

- **شماوس**، دار عين للنشر، القاهرة، 2008
- **حديقة خلفية**، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011
- **31**، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011
- **التُّرجُمان**، بتَّانة، القاهرة، 2017

الإصدارات الشعرية

- **وشوشة البحر**، إصدار خاص، القاهرة، 1989
- **الأصداف**، إصدار خاص، القاهرة، 1996
- **ذاكرة الصمت**، دار الجديد، بيروت، 2000
- **فوق صراط الموت**، كاف نون، القاهرة، 2001

[202] مذكرة الكاتب أشرف التي أرسل بها إلى الباحث.

- **ذاكرة الفراشات**، مكتبة غريب، القاهرة، 2005
- **قصائد، سلسلة إبداعات طريق الحرير، دارالناشر، القاهرة، 2024**

الإصدارات في أدب الرحلة

- **سيرة مسافر**، دار هفن للنشر، القاهرة، 2008
- **نهرعلى سفر**، سلسلة كتاب العربي، الكويت، 2015
- **قافلة حكايات مغربية**، منشورات المتوسط، ميلانو، ارتياد الآفاق، أبو ظبي، 2017
- **أيام دمشقية**، دار خطوط وظلال للنشر والتوزيع، عمّان، 2021

الكتب المترجمة عن الإنجليزية إلى العربية

- **أنا والسُّوريالية**، الاعترافات السرية لسلفادور دالي، سلسلة كتاب دبي الثقافية، دبي، يوليو 2010
- **ألف حياة وحياة**، الشاعر الكوري كو أون، سلسلة كتاب دبي الثقافية، دبي، 2012
- **قِديسٌ يحلق بعيدًا**، الشاعر الكوري تشو أو . هيون، بيت الغشام للنشر والترجمة، مسقط، سلطنة عمان، 2013

- **فضاء رتيب يبعث على الكآبة**، الشاعر الهندي هيمانت ديفاتي، سلسلة إبداعات طريق الحرير، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016
- **امتطي غيمة لأبحث عنك**، الشاعر الكوري مانهي، سلسلة إبداعات طريق الحرير، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019
- **عطايا الخلايا الجذعية، تأليف د. جيونج تشان را**، بتَّانة، القاهرة، 2019
- **4 شعراء على طريق الحرير، تأليف قنسطنطين كيدروف، مارجريتا آل، سيرجي بيريكوف، وأشرف أبو اليزيد، القاهرة، 2022**
- **4 شعراء هاكا من تايوان، تأليف ووتشين – فا، وتشانغ فانغ-تزو**، دو بان فانج – جي، وتسينج كويي – هاي ، **سلسلة إبداعات طريق الحرير، دار الناشر. القاهرة، 2023**
- **هن بنات سيرايا، تأليف مياو – يي تو، سلسلة إبداعات طريق الحرير، دار الناشر. القاهرة، 2023**
- **الطابق السادس وقصص أخرى، (قصص من أذربيجان)، تأليف ميخوش عبد الله، سلسلة إبداعات طريق الحرير، دار الناشر. القاهرة، 2024**

أدب الأطفال

- **أطفال من وطني العربي** (ديوان شعر)، كتاب العربي الصغير، 170، الكويت، نوفمبر 2006

- **حكاية فنان عمره 5000 عام** (تاريخ الفن المصري)، المركز القومي لثقافة الطفل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006
- **حكايات كورية** (قصص شعبية مترجمة)، كتاب العربي الصغير، 188، الكويت، مايو 2008
- **رَحَّالة العرب** (سير رحّالة)، كتاب العربي الصغير، 196، الكويت، يناير 2009
- **شورالي**، حكاية الحطاب وشريرة الغاب (ترجمة لملحمة كتبها شاعر تتارستان عبد الله طوقاي)، كتاب العربي الصغير، 210، الكويت، مارس 2010
- **ساعي بريد تحت الماء** (قصة شعرية)، سلسلة كتاب العربي الصغير، العدد 218، الكويت، نوفمبر 2010
- **العنزة والخروف**، (ترجمة لملحمة كتبها شاعر تتارستان عبد الله طوقاي)، سلسلة كتاب العربي الصغير، الكويت، 2013
- **قطتي تؤلف كتابا**، دار شجرة، القاهرة، 2020 (رشحت في **جائزة الشيخ زايد للكتاب**، أدب الناشئة،2020 ، فازت بجائزة ساويرس في أدب الأطفال ، 2023)

الدراسات والسير

- **سيرة اللون** (دراسات في الفن التشكيلي المعاصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003
- **مذكرات مسافر**، رحلة شيخ الأزهر مصطفى عبد الرازق إلى أوربا (تحقيق)، سلسلة ارتياد الآفاق، أبو ظبي، 2008

- **الشيخ مصطفى عبد الرازق مسافرا ومقيما** (تحقيق)، دار العين للنشر والأبحاث، القاهرة، 2009
- **عبث الشباب** (تحقيق لجريدة بيرم التونسي (الشباب))، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 2008
- **طريق الحرير**، موسوعة ثقافية مصورة، مكتبة الإسكندرية، 2013
- **نون النسوة ... نهر الفن**، سير ذاتية، سلسلة كتاب الهلال، 2013
- **نجيب محفوظ | السَّارد والتّشكيلي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2018

السيرة العملية

- رئيس تحرير سلسلة **إبداعات طريق الحرير**، القاهرة (منذ 2016)
- رئيس **جمعية الصحفيين الآسيويين**، كوريا الجنوبية (منذ 2016)
- رئيس تحرير "**آسيا إن**" العربية (منذ 2012)
- كبير محرري **مجلة العربي** (2002 – 2016)
- مراسل ثقافي **وكالة أنباء رويترز**، القاهرة (2001- 2002)
- سكرتير التحرير والمخرج الفني، **مجلة أدب ونقد**، القاهرة (2001- 2002)
- سكرتير التحرير والمخرج الفني، **مجلة نزوى**، مسقط (1998 – 2001)
- محرر ومترجم، **الوكالة العربية**، مسقط (1992 – 1998)
- محرر ومترجم، **مجلة المنار**، القاهرة (1990 – 1991)

الجوائزوالتكريمات والعضويات

- **شخصية العام الثقافية**، جمهورية تتارستان، روسيا الاتحادية، 2012.
- **جائزة مانهي في الآداب** (كوريا الجنوبية)، 2014
- **جائزة الصحافة العربية في الثقافة** (الإمارات العربية المتحدة)، 2015.
- **درع الإبداع لنجيب محفوظ**، السفارة المصرية، دولة الكويت، 2015
- عضو لجنة تحكيم **مهرجان كوستاريكا الدولي للأغنية**، 2018
- عضو لجنة تحكيم **مهرجان قازان الدولي لسينما العالم الإسلامي**، جمهورية تتارستان، روسيا الاتحادية، 2021.
- منسق **حركة الشعر العالمية** في مصر، 2021
- الميدالية الذهبية، **مهرجان أوراسيا الأدبي**، استنبول، 2021.
- عضو **اتحاد كتاب مصر**

إنجازاته في أدب الرحلة

يرى أبو اليزيد الرحلة قوام الآداب كلها والفنون جميعها، ويلزم على الرحّالة الإلمام بفنون تدخل فى صميم ما يرون كالعمارة، وهم كأدباء عليهم أن يختاروا شخوصا لتقوم بدور البطولة فى رحلاتهم، كما يفعل كتاب المسرح وساردو الرواية وصائغو الشعر، وأن تبتعد لغتهم عن اللغة الاعتيادية الخبرية لتكون لغة بليغة.

وقد أوضح عن باعثه ودافعه إلى فن الرحلة، وذلك كانت قراءته المبكرة لأسفار الرحالة الأساطين أكثر ما ألهمه، ثم التقاءه برحالة معاصرين فى الشرق والغرب زادوا من حماسته، ومع سنوات العمل بمجلة العربي الكويتية التي تهتم بالاستطلاع وأدب الرحلة، تمكن من زيارة أكثر من 37 بلدا خلال أكثر من عقدين سواء فى رحلات عمل أو رحلات خاصة، فعاش دوما على سفر وأصبح أدب الرحلة جزءا أصيلا مما يكتب.

أدب الرحلة للأطفال

وفي طليعة الكتاب المعاصرين الذين ساهموا في توسيع دوائر أدب الأطفال بطابع رحلي، يأتي أشرف بكتاباته الثرية الممتعة في كلا الفنين، وهو أديب صحفي مترجم ورحالة، عشق الأدب والسفر منذ صباه وتحقق حلمه عند التحاقه بمجلةالعربي في تقديم نماذج لأدب الرحلة على غرار ما تقدمه مجلة ناشيونال جيوجرافيك العالمية.

وبالنسبة للكاتب، فقد كان قارئا نهما منذ صغره، وبالإضافة لحكايات السندباد البحري والسندباد البري، وعلي بابا وباقي القصص التي تعرف عليها، فقد طالع أيضا كثيرا من الكتب المترجمة التي قدمت له عالم الرحلة مثل (هايدي السويسرية) التي عرفته على جبال الألب الشهيرة، والحياة في شبه الجزيرة الاسكندنافية وقصص الرحالة على طريق الحرير، خاصة ابن بطوطة وابن فضلان وغيرهما كثير. وحين جرب السفر كبيرا، بذل الجهد لتدوين هذه الرحلات. وقد زار أكثر من 37 بلدا في عدة قارات، وكانت رحلاته المكتوبة للأطفال مثالا شاهدا على دوره في تقديم هذا الأدب للناشئة العرب. وله منهج خاص اكتسبه من خلال تجاربه الواسعة في أدب

وصحافة الأطفال. ومن أهم السلاسل التي قدمها'مغامرات ماجد على طريق الحرير'، وهي المغامرات التي استمر بكتابتها أسبوعيا على مدى 4 سنوات، ونشرت في مجلة (ماجد) بالإمارات، كما كتب عدة رحلات مستقلة إلى بلدان ومدن العالم نشرتها مجلة (العربي الصغير)بالكويت.

نماذج من كتاباته للأطفال

ومن نماذج الرحلة للأطفال المنشورة في العربي الصغير: 'مع جحا في أوزبكستان'، وكتب فيها الآتي: وصلت رحلتنا إلى جمهورية أوزبكستان. نحن نقرأ أسماء مدنها كثيرا في كتب التاريخ، مثل عاصمتها طشقند، وشقيقاتها سمرقند وبُخارى وخوارزم. سأتوقف في مدينة بخارى الشهيرة لأقدم لكم بعض الفنون التقليدية، فهي مدينة تاريخية وخامس مدن أوزبكستان سكانا، بأكثر من 265ألف نسمة، وتقع مثل باقي مدن أوزبكستان على طريق الحرير. تأسست مدينة بخارى في عام 500 قبل الميلاد في منطقة تسمى آرك، على نهر زرفشان. وقد دخلها المسلمون في القرن السابع الميلادي، سنة 54 هجرية. ترتبط فنون مدينة بُخارى بطريق الحرير الذي كانت تعبره القوافل التجارية بين الشرق والغرب، بدءا من الصين في آسيا، وصولا إلى البندقية في أوربا. وقد تحولت المباني التاريخية في بخارى إلى أسواق ومطاعم وفنادق ومدارس، وأجمل شيء هو ورشات الرسم وصناعات الخزف والغزل.[203]

[203] مجلة العربي الصغير. العدد 275. كويت

توضيحا لمدى عمق تأثير الرحلات في وجدان الأطفال، هنا نموذج آخر من إحدى (مغامرات ماجد على طريق الحرير)، وهي سلسلة ضمن أدب الرحلة للأطفال: مغامرات ماجد على طريق الحرير (42)، نمرُ الهيمالايا (الحلقة الأولى) يرويها: أشرف أبو اليزيد.

على مشارف حدود بشكورستان، إحدى جمهوريات روسيا الإتحادية، توقفت السيارة التي يقودها السائق (قديروف) أمام مطعم صغير على الطريق. مرت ساعتان، والبرد الشديد يهاجم بجليده زجاج السيارة. قال (قديروف) وهو يلتفت إلى الراكبين:

"حان الوقت لبعض الشاي الساخن!"

فتح دليل الرحلة (آيرات) باب السيارة، وخرج يتبعه (ماجد). وقف عامل المطعم يكتب ما يطلبه ضيوف مطعمه الجدد. غاب قليلا وعاد بإناء للماء الساخن، وعلبة بها ثلاثة أنواع من الشاي، الأخضر، والأسود، والمعطر. كان هناك فنجان به مكعبات سكر، وملعقة، وطبق صغير به قطع من الزبد، وطبق أكبر به شرائح خبز أسمر مع السكين الصغير الذي يستخدم عادة في دهن الخبز بالزبد، بالإضافة لأكواب الشاي. تناول الثلاثة في صمت الخبز، بينما توزعت الأكواب، وتصاعد بخار الماء من الأفواه بينما تمسك الأيدي بقوة أكواب الشاي لتحصل على بعض الدفء...[204]

[204] مجلة ماجد، أبو ظبي . مجلة التلميذ، ص:59، العدد 23

أعمال أشرف أبو اليزيد في أدب الطفل

من بين أكثر من 35 مؤلفا، خص أشرف أبو اليزيد أدب الطفل بهذه العناوين :أطفال من وطني العربي(ديوان شعر)،حكاية فنان عمره 5000 عام(تاريخ الفن المصري)، حكايات كورية (قصص شعبية مترجمة) رَحَّالة العرب (سير رحّالة)، وهو سرد لأهم الرحالة، وموجز لرحلاتهم ، شورالي حكاية الحطاب وشريرة الغاب (ترجمة لملحمة كتبها شاعر تتارستان عبد الله طوقاي)، ساعي بريد تحت الماء (قصة شعرية) العنزة والخروف، (ترجمة لملحمة كتبها شاعر تتارستان عبد الله طوقاي).

مؤلفاته في أدب الرحلة

ولأشرف أبو اليزيد في أدب الرحلة أربعة إصدارات هامة، التي تتناول تفاصيل وأخبار الرحلات التي قام بها وسجلها في ضوء تجاربه وانطباعاته، هي سيرة مسافر (2008)، نهرٌ على سفر (2015)، قافلة حكايات مغربية (2017) و(أيام دمشقية) 2021، إضافة إلى مقالات ورسائل وبحوث نشرت في الجرائد والمجلات. وله أيضا دراسات ومؤلفات في مجال أدب الرحلة وعن أشهر رحالة العرب كما قدم للأطفال في أدب الرحلة «مغامرات ماجد على طريق الحرير» إلى جانب موسوعته المصورة طريق الحرير.

سيرة مسافر

يضم سيرة مسافر 22 رحلة للمؤلف إلى 16 بلدًا في ثلاث قارات. وفي تقديمه للكتاب تحت عنوان "هذه الرحلات: من مصر إلى مصر": حين تسافرُ، لا تكتشف البشر، ولا تستكشف الأمكنة،

بل تعيدُ اكتشاف ذاتك. بلدٌ تعلمك تذوَّق أنواع خاصة من الجمال، مدينة توقظ فيك الشعر وآدابًا أخرى، نهرٌ يفيض من جسد الأرض ليتدفق في شرايين جسمك، فتُبعث من جديد، وناس يقولون لك من أنت، فيجيبون عن أسئلة تتأجج في صدرك منذ ألف عام وعام. أنت تبدأ دائمًا من مصر، وتعودُ إليها، عقلك التاريخ، وجسدك الحضارة، وعيناك الفنون، وحواسك الآداب، لذلك اخترت أن تكون فصول هذا الكتاب، سيرة مسافر، دائرة، تكتمل برحلة، فتبدأ أخرى. وكأنها الرحلة التي قال عنها محمد فريد قبل عقود طويلة، في كتاب رحلاته للغرب والمغرب العربي: من مصر إلى مصر.[205]

نهر على سفر

يحتوي على مجموعة الاستطلاعات والتقارير الصحفية المصوّرة المختارة لعدد من بلدان العالم ومدنه، نشرت في مجلة العربي سطرها أشرف بالقلم والتقط صورها بعدسته، تزخر بمواد صحفيّة تجمع بين المعرفة والمتعة، وتظل مرجعًا مهمًّا للباحثين والدارسين والمثقّفين.

وقد جمع أبو اليزيد في هذا السِّفر حصيلة اثنتي عشرة رحلة، أردفها في الختام بموضوع "فنّ المنمنمات... الأدب والتاريخ والأسطورة". "وهذه الصفحات سيرة نهر على سفر، قد يكون مصدره شلال هادر، أو غيم ماطر، فلا يجمع موجاته سوى شغف بالرحلة وعشق للحياة، وأمل في مستقبل تذوب فيه الحدود الجغرافية المصطنعة التي شيدتها السياسة دون أن تفلح في إقامة حدود قسرية بين الأفئدة التي استقبلت صاحب هذه السطور في الشرق والغرب.

[205] دراسة هندية عن تأثير الرحلة في الأدب العربي ، آسيا ان . كتبت بواسطة المحرر

حين يسافر المرء لا يكتشف البشر ولا يستكشف الأمكنة بل يعيد اكتشاف ذاته. كانت اللغة تعسّر علي التواصل حينا، فأقرأ من معجم الابتسامات بضع مفردات تفتح لي أبوابا مغلقة هنا وهناك، وتيسر مهمتي في التنقل بين النهر والبحر، بين الوادي والجبل بين الواحة والصحراء، بين المدن الكوزموبوليتانية والقرى التي لم تمسها نار العولمة". [206]

قافلة حكايات مغربية

هذا الكتاب يضم عدة سفرات مدونة في المملكة المغربية بين الصحراء والواحات وبين مدن البحر والمحيط، مسارات الجبال والموانئ. وقد أهدى المؤلف هذه الرحلات إلى حَفَدَةِ ابن بطوطة. وقد جاء في إهداء الكاتب: "أشعرتني خطواتي في المملكة المغربية أنني برفقة خيط من الحرير يغزل صورا في بساط ريح تحلق أطرافه على شواطيء البحر وعند أقدام المحيط وفي قلب الصحراء وأعلى قمم الجبال، وكأنني في درب عجائبي يسمح للأسطورة والتاريخ أن يتآلفا ويستأنسا الحياة معا. الرحلات التي يتضمنها هذا الكتاب، ثمرة سفرات دامت أسابيع على مدار سنوات، تبدأ بالاستعداد للسفر، وتُستهل بأشهر مدنها كازابلانكا؛ الدار البيضاء، وتحيا بالتنقل برا بين شمالها وجنوبها، في وثبات يخفق القلب معها حين يسطر القلم ما يراه، حيا يستذكر التاريخ، وحاضرا يستشرف المستقبل".[207]

[206] نهر، ص:6

[207] قافلة حكايات مغربية، أشرف ، ص 9. دار السويدي للنشر والتوزيع ،أبو ظبي 2017

أيامٌ دِمشْقية

يضم أسفار المؤلف على مدى أكثر من عقد في مدن سورية، منها العاصمة وحلب والقصير حيث دارت معركة قادش والرقة وغيرها. ومن نصوص الرحلة ما يلي: "كلما وصلتَ إليهَا، وعشتَ فيها، أحسستَ، يومًا بعد يوم، أنَّ المسافاتِ بين دُورها ودروبِها تضيق، حتى تتلاشى! فما كنت تقطعه بالأمس في ساعتين، تمشيه اليوم فلا يستغرق إلا دقائق، وما حاولت أن تستهدي المارة إليه في السابق، يدلك القلب عليه الآن، بعد أن صرتَ كائناً مغرمًا بخفته. ستظل تتسع بك الرؤى، وتضيق معك العبارات، حتى يأتي موعد السفر، فتدرك أنها صارت مثل قطعة في القلب، عزيزة عليك، ولك أن تختار، بين أن تتركها، أو تأخذها معك!".[208]

طريق الحرير

موسوعة صدرت عن مكتبة الإسكندرية في إطار مشروع توثيق طريق الحرير الذي تنفذه المكتبة مع عدد من الجهات الدولية. وقد قدم الرحالة بها مصدرًا عربيا لأشهر طرق الرحلات العالمية. تقع الموسوعة المصورة في 220 صفحة، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام؛ شمل الأول المدن التي وصل إليها طريق الحرير أو عبر بها، وقدم فيها الكاتب 374 مدينة. واختص القسم الثاني بالآداب والفنون التي اشتهرت في أرجائه. وجعل المؤلف الجزء الأخير للممالك والأعلام التي عرفها طريق الحرير خلال نحو 16 قرنًا.

[208] المصدر نفسه

الفصل الثاني
علاقته مع الهند ورحلاته إليها

وقد أوضح الكاتب عن علاقته الوطيدة بالهند وآدابها، أثناء تعريفه بقصائد 'هيمانت ديفاتي' تحت عنوان"الهند الثالثة في ديوان الشاعر هيمانت ديفاتي": بأنها ابتدأت منذ أن اطلع على الأدب الهندي قبل سنوات طويلة عبر المنشور فى مجلة"صوت الشرق" التى تصدرها سفارة الهند فى القاهرة، وبواسطة ما استطاع الحصول عليه من أشعار رابندرانات طاغور وحكمة مهاتما غاندي التى ترجم الكثير منها شعرا. ثم كانت الثقافة الهندية إطارا للمعرفة التى أراد أن يتزود بها فى الأدب والفن والتاريخ، كى تكون عونه فى رحلاته الاستكشافية إلى مدن الهند العريقة. ولذا كانت الراميانة مثالا لا تفارق مكتبته، وظل أثر الدكتور ثروت عكاشة عن الفن الهندي رفيقا له، مثلما أمتعته مع الملايين بوليوود بأفلام، تختلط فيها ألوان المتعة والدهشة كما تمتزج دموع الفرح والبكاء.

انعكاسات الهند في أعماله

وقد صرح في حوار صحفي : بأن رواياته بنات أدب الرحلات، ووليدة خبراته وتجاربه التي حصل عليها من خلال جولاته وتنقلاته بين أرجاء العالم. ولذا تتجلى آثار مشاهداته ووقائع رحلاته واضحة عبر صفحات رواياته على ألسنة شخصيات، ومناظر وأحداث مر بها وعاينها، إلى جانب معالم الثقافات وعادات وتقاليد الشعوب والأمم الفريدة المستغربة. وقد أضاف له أدب الرحلة بعدا آخر، يتجلى تماما فى رواياته، حيث إن شخصيات تلك الروايات، تعيش خارج أوطانها على الأغلب، أو أنها تسافر إلى مقاصد مغايرة، فيساعده أدب الرحلة فى تحويل الواقع المعيشي إلى

واقع روائي، وهذا يجعل من الرحلة كيانا أدبيا قائما بذاته، لا يقل عن الرواية أو الديوان الشعري.

ومن هذا المنطلق؛ كثيرا ما تحضر الهند بثقافاتها المتنوعة والشخصيات البارزة في نتاجه المبدع بطريقة أو أخرى سواء كان في شكل رواية، شعر، مقال، دراسة، أو ترجمة بغض النظر عن كتابات الرحلة إلى الهند. وقد شملت بعض من رواياته مثل (حديقة خلفية) و(الترجمان) على ذكر الهند وحضارتها الرائعة، وجوانب مشرقة من آدابها شعرا ونثرا، بالإضافة إلى شخصيات هندية برزت في الأحداث. وقد أوضح نفسه في تقديمه لأطروحة 'شعريةالسرد' عن علاقته مع الهند، وآلية حضور الهند وشخصياتها في أعماله بوجه عام، مع بيان دافعه الجذري. يقول: "وأعتقد أنه خلال تلك السنوات؛ التي زرت فيها الهند، كتبت أكثر من رحلة بين راجستان، وكوجرات، وكيرالا، ومومباي، والتقيت بشخصيات هندية بأكثر من جغرافيا، ونشرت فيها مختاراتي الشعرية بالإنجليزية في مومباي، ليصبح عالم الهند أكثر قربا، فما عاد مجرد فولكلور تنقله السينما والأفلام التسجيلية. لكن ذلك كله يضعه في جانب، مقابلا لجوانب أخرى اكتشفها في رحلته إلى الهند، حيث خرجت الملاحم من أسْر السطور، وعاشت الأساطير في الحياة اليومية للبشر، واختلطت رائحة البخور في المعابد بروائح التوابل في المطاعم والعرق في الشوارع، وباتت الهند الجديدة بلدا آخر، لا يبعد عن الصورة المثالية للحكمة والعجائب، وإنما يضيف إليها".[209]

[209] من تقديم أشرف أبو اليزيد لكتاب شعرية السرد. ص: 7

يكشف عن علاقاته وتجاربه مع الشخصيات الهندية من خلال عمله في دول الخليج : "أما، وقد عشت في دول الخليج العربي، وتنقلت؛ خاصة بين سلطنة عُمان ودولة الكويت، فقد اقتربت على نحو غير مسبوق بالشخصية الهندية المغتربة، ورأيت تلك الإنسانية المسافرة ـ مثلي ـ تحمل روحها المبدعة، وتحتفظ بوطنها داخلها، وفي ندوة أقيمت في القاهرة، طلب أكثر من ناقد، أن أقرأ الفصل الخاص بالهندي عبد الرحمن، أحد الرواة في "الترجمان"، لأن كل راوية كان يتحدث بلهجته القريبة من الفصحى، فكانت هناك ألسنة مصرية وشامية وكويتية وهندية، بين جنسيات العمل، تستقي من معين لغتها، وطريقة نطقها وفهمها للغة العربية. ولن يجد القراء نقلا مباشرا للهجة المحكية، بل معالجة فصيحة لها، مثلما سيجد أسماء لمعالم وأماكن هندية لم أقرأ عنها وحسب، ولكنني سكنت فيها، ومررت بها، والتقطت صورا لها، قبل أن أنقلها لعالمي الروائي. فأنا من المؤمنين بضرورة البحث الجاد قبل الكتابة، لأن الرواية كما تعلمون تؤسس عالما روائيا، لا يقل تكوينه وتشكيله تعقيدا أوصدقا عن الواقع المُعاش".[210] وبالنسبة له، لم تعد الشخصية الهندية في روايته مجرد كلمات وعبارات وسطور، وإنما هي كائنات تعيش معه، ولا يستغرب أن يتردد على لسانه أحيانا قوله: كما يقول "عبد الرحمن" أو كما حكت "دارْسِينْ"، وكأنهما شخصيتان حقيقيتان. ولا ينكر أن التاريخ المعاصر المشترك، لا يقل تأثيرا عن التاريخ العريق المتشابه، فكلاهما يشكلان شخصية المؤلف الذي يتناول الهند، سواء في أدب رحلاته، أو سرده الروائي. لكن المهم في ناظره أن المستقبل كذلك لا يقل أهمية، وأن دور الأدب ودراسته

[210] المصدر نفسه. ص: 7

في الثقافتين سيغير من شكل هذا المستقبل، وأن قراءة المشترك بين الشخصيتين العربية والهندية تحتاج مزيدا من البحث والإضاءة.[211]

وفيما يلي بعض من نماذج ظهور الهند في أعماله:

رو اية حديقة خلفية

في هذه الرواية التي تسرد صورة المشهد الأخير في حياة السيد كمال، أحد شخصيات ثورة يوليو1952م، يقسم المؤلف بعد مقدمة مكانية عنوانها 'جنة بلا ناس' روايته إلى أربعة فصول: خريف الغياب، شتاء العشق، ربيع السفر، وصيف العودة، منعكسة فيها -بشكل مواز للأحداث- عوالم النباتات وفضاءات السفر وأعماق الثقافات، وخاصة الثقافة الهندية التي تجسدها 'كاميليا' البطلة الرئيسية للأحداث .

وبالنسبة لحضور الهند وتجلي ثقافتها وآدابها، فيأتي في الفصل الخامس"صيف العودة"، وبالحقيقة، هي عودة السيد كمال المختفي منذ الفصل الثاني، يبدأ هذا الفصل بالمهندس مجدي وهو يعتني بالمشتل الّذي يملكه – الحاضر الغائب – السيد كمال، وبينما يراقب مجدي هاتفه المحمول،إذ يجد أنّ السيد كمال يتصل به ويطلب مقابلته عند القناطر، في مكان بعيد لا يراه فيه المعارف، وبالفعل ذهب المهندس مجدي للقائه، وهبط أمام المشتل في كفر السراي، محسا كأنه غريب عائد إلى وطنه، وواجد مكانا للعمل وفسحة للأمل، وإنسانة في شكل كامليا التي يبحث عنها في خياله. وكان السيد كمال ينتظره عند باب البيت، وتحقق لقاءهما ودار

[211] المصدر نفسه.ص:8

الحديث طويلا بين السيد كمال والمهندس الشاب. ومن هنا يأتي ذكر الهند على لسان السيد كمال أثناء تعريفه كاميليا ابنة أخته، للفتى مجدي الكيلاني، وإطلاعه على سبب تأخرها،حيث يبدو من وجهه أنه لا يزال في انتظارها مع شدة الحرص على لقاءها والتحدث معها. وبعد تحسس ملامح وجهه، وإدراك مدى شغفه بحبها، أشار كمال إلى سبب تأخر مجيئها: بأنها قد تعودت ممارسة رياضة 'اليوغا' التي تعتبر لها أهمية روحية كبيرة منذ التقاءها بأستاذة زائرة هندية من كلية الألسن، والتعرف إليها حتى أتيحت لها فرصة زيارة الهند والتوقف على ثقافاتها المتنوعة، والاطلاع على آثار ومعالم وفلسفة بلاد الهند.

وهذا المشهد الرائع، يبدو من خلال نصوص الرواية: "ولم تظهر كاميليا حتى بعد مرور الساعة. أجاب السيد كمال على نظرات ضيفه الباحثة: "كأنك تسأل أين كاميليا؟، إنها تؤدي بعض تمارين اليوجا. تعلقت بها منذ تخرجها في كلية الألسن، والسبب أستاذة هندية زائرة التقتها كاميليا في مصر، وزارتها في الهند ولا تزال تراسلها حتى اليوم. لا تقلق، ستنضم إلينا بعد أن تنتهي.[212]سر المهندس من البساطة التي تحدث بها السيد كمال عن ابنة أخته. لا بد أن الرجل ذكي بما يكفي ليدرك إعجاب الشاب بكاميليا. يعلم كم يحبه الرجل مثلما هو متأكد من الاحترام الكامل الذي يكنه له، بعد أن اتخذه أبا منذ بدأ العمل معه. ولما حضرت كاميليا بعد مضي ساعتين، كاد مجدي ليطرح سؤالا نحوها، مندهشا بما سمعت من كمال عن رياضتها وسعة اطلاعها، فردت محاولة لعدم بسط الموضوع، مركزة على فوائد اليوغا: "أنا أمارس اليوجا

[212] حديقة خلفية ص: 80

وخاصة الآسانا، وهي أوضاع جسدية مختلفة تمارس من أجل تنقية الجسد، وتقوية الأعصاب، وأحاول أن أجعل من بيتنا هنا مثل المعتزل الروحي".[213]

ولما رأت علامات التّساؤل والدّهشة على وجه المهندس، واصلت حديثها عن أهمية اليوجا: "علينا أن نتسامى فوق الوعي الجسدي، وألا نقيد سلوكه بالأعراف الاجتماعيّة. إن أسمى ما نمتلك هو الطّاقة الحيوية الخلاقة داخلنا. وأنا أمارس أيضا، وبشكل متكرر (البندها): وهي مجموعة من تمرينات اليوجا، وخاصة (الراجا يوجا) ذات الثماني خطوات، صحيح، إن أنسب وقت هو من السّاعة الثّالثة فجرا إلى الساعة السادسة صباحا، إلا أنني أحتاج إلى أن أعيش هذه الحالة من الهدوء بين حين وآخر".[214]

وفي الرواية ذكر عن القصيدة الملحمية العريقة 'رامايانا'، وذلك أثناء الحوار المتواصل بينهما، أفصحت عن عمق معرفتها وإعجابها بثقافة الهند وتاريخها العظيم الذي ليس بأقل مكانة من تاريخ مصر، واطلاعها الواسع على الكلاسيكيات الهندية العالمية وأعمال الشاعر العملاق طاغور وغيرها من آداب وروائع الهند. وأثناء المحادثة تمد يدها بكتاب جلبته معها، وتقول: "تصور يا مجدي، إنني حتى وقت قريب، في بداية سني الجامعة، كنت أعتقد: أننا وحدنا أصحاب الأساطير، وإن تاريخنا وحده هو الأعظم، لكنني بعد قراءة الرامايانا الهندية، وهي أقدم

[213] المصدر نفسه. ص: 82

[214] المصدر نفسه. ص: 82

القصائد الملحمية السنسكريتية التي تروي سيرة راما، عرفت ضيق تصورنا وتضخم إحساسنا بذواتنا".[215]

والأمر الذي أثار دهشة مجدي، بعد كل ما جرى بينها من تحاور وتخاطب، كيف تمكنت من هذا الاطلاع الواسع، والثقافة المستوعبة عن الآثار الهندية وأعلام الفن والإبداع ، ومن أين أتت بهذا كله!. ومن خلال حواراتهما الممتدة معا،عرف مجدي: أن لقاءات كاميليا مع أستاذتها الهندية لم تكن سببا وحيدا. فزيارتها للهند وإقامتها فيها لأسابيع بين معابدها تراقب نساكها الزهد، وتكتب وتتعلم ما لم تدرسه بين جدران الجامعة وفوق مدرجاتها.

وفي أثناء المحادثة بينها، ترى كاميليا أوجه الشبه بين خالها السيّد كمال والشاعر الهندي الحكيم طاغور، وبدأت تقول:" لا أعرف كيف وردني خاطر، أنه يشبه شاعر الهند العظيم رابندرانات طاغور"،فعرف مجدي أن تلك مقدمة للحديث عن طاغور، لكنه قد هيّأ نفسه للحوار، لأنه يرى في مذاكرة تاريخ الهند وفنونها وآدابها، جسرا قويا لتمتين العلاقات مع خطيبته الجميلة، وتابعت قائلة: "طاغور عانى الفقد مثلما عانى السّيد كمال. إنه مثله، يحسّ أنه كزهرة انتزعت بتلّاتها واحدة تلو الأخرى، وأصبحت كالثمرة الّتي سيأتي الموت ليقطفها في كمال نضجها، لكنّ صفاءه الواسع وضبطه لنفسه وخضوعه أمام الله يجعله إنسانا نادرا، هكذا كانت إحدى أغنياته التي استلهمها غاندي منه تقول: أنا هذا البخور الذي لا يضوع عطره ما لم يحرق، أنا هذا القنديل الذي لا يشع ضوؤه ما لم يشعل".[216] وبعد غياب لدقائق عادت كاميليا

[215] المصدر نفسه. ص :83

[216] المصدر نفسه، ص90

تحمل مجلّدا ضخما بالإنجليزية عن الشّاعر الكبير، تفتح إحدى الصّفحات وهي تقول: "إن عودة السّيد كمال إلى السراي، تمثل عودة طاغور إلى البيت بعد عناء الرحلة. ثم تقرأ وكأنها تؤدي مشهدا مسرحيا: إنك تسير على شاطئ البحر نحو المعبد البعيد؛ أنا شجرة، وبفيئي سأقبل جسدك"...[217].

ويأتي التّراث الهندي بشكل لافت، من خلال سرد مشاهد و وقائع يوم الزّفاف لمجدي وكاميليا، وفي يوم الزّفاف يعيش مجدي حلما لا يريد أن يستيقظ منه. زفاف أسطوري لم يكن يتخيّل أن يكون له، لأن العروس فتاة أحلامه كاميليا، وفي الليلة تجيئ إليه كاميليا وتقول: "عندي لك مفاجأة!"، نهضت وهي تتجه إلى الدولاب، لتأخذ حقيبة من بين حقائب كثيرة أتت بها من بيتها في القناطر. فتحتها وأخرجت منها كتابا. دهش مجدي وهو يتمتم: "كتاب في هذه الليلة!" قالت: "ليس هذا أي كتاب. كلّ ما علينا أن نقرأه ونحاول أن ندرسه جيدا... الليلة وكلّ ليلة!"، قرأ مجدي عنوان الكتاب بالإنجليزية: "كاماسوترا"،فشرحت كاميليا:"أنا أسمعتك الكثير عن البؤس في الهند، وعن روحانية نسّاكها، وعن الشّعر هناك، وحان الوقت لأدلّك على وجه جديد مفاجئ لها في هذا الكتاب، إنه نص كتب باللغة السّنسكرتية في القرن الرابع دليلا مرشدا في الجنس والإمتاع لفن الحبّ، هدفه كان الأخذ بيدي الرجال والنساء لممارسة السّلوك الأفضل خلال حياتهم، وقد ترجم للمرّة الأولى إلى اللغة الإنجليزية في القرن التاسع عشر وترجمه السيد السير رتشارد بيرتون".[218]

[217] المصدر نفسه. ص91

[218] ص: 107

رواية الترجمان

قد تمظهرت الهند في الترجمان بصور ثلاث شخصيات هندية من الأبطال. ذكر الروائي الشخصيات الهندية والرموز بملحمة رامايانا وأبطالها من راما وسيتا تحت الفصل الأخير المعنون ب"يليق بكما أن تلتقيا وأن تتحابا ولكن -كما يحدث في كل الأزمنة- لن يترككما الحسّاد".

ومن أبرز الشخصيات الهندية 'دارسين' من راجستان التي تعمل مربية في بيت السيدة فوز العبد الله، ترثي لحال سيدتها مشيرة إلى ملحمة الرامايانة: "كلما رأيتُك تصلين من أجله، صليتُ لكِ أيضا، وكأنني أشاهد أمامي ملحمة "راما وسيتا"، التي كان يغنيها لنا الراوي الشعبي في مسقط رأسي بمدينة أوديبور، وكأن ما حدث قبل ألفي سنة يتكرر اليوم، مثلما تتكرر قصص الحب العظيمة. أنت يا ماما "فوز" تشبهين الأميرة "سيتا" ابنة الملك "جاناكا"، وليس مستر "محسن" إلا الأمير "راما" ابن الملك "جاراثا". يليق بكما أن تلتقيا وأن تتحابا، ولكن -كما يحدث في كل الأزمنة- لن يترككما الحسّاد.[219] وكذلك يعرض أشرف شخصية أخرى من الهند، 'شنكر' الذي يعمل في المؤسسة العربية للترجمة ، اتصلت معه 'دارسين' بالهاتف.

كان له عناية خاصة بالهند وثقافتها وآدابها الرائعة، وكان يحرص دوما على نشر وترجمة الأعمال الأدبية المرتبطة بالهند وأعلامها الكبار إلى جانب ما يكتب وينشر من الأخبار والتقاريرفي الدوريات العربية سيما في (آسيا إن). وله عدة مقالات عن شتى الموضوعات المرتبطة بالهند؛ ومنها على سبيل المثال: ما كتب عن رحلات العلامة شبلي نعماني في بلاد المشرق العربي بما فيها

[219] الترجمان ص 349

سوريا ومصر"شبلي نعماني: رحالة هندي في المشرق العربي"، و"مهرجان مومباي الشعري : عشرون عاما على تأسيس بويتريوالا"، و'بوذا في الشعر العربي'. وقد قام أيضا بمهمة تحقيق كتاب 'أشعار بهاراتي' أول ترجمة لمختارات الشاعر التاميلي الأشهر سوبرامانيا بهاراتي (1882-1921)، نقلها إلى العربية د. ذاكر حسين . وفي تحقيقه كتب أشرف كلمة تقديمية بعنوان "جبرتي التاميل يتأمل العالم شعرا"[220] .

رحلاته إلى الهند

قام الكاتب بخمس رحلات إلى الهند لأهداف مختلفة؛ اثنتان إلى كيرالا، ورحلة إلى مومباي بمناسبة مهرجان شعرها الدولي، ورحلة إلى كجرات، وأخرى إلى عشر مدن في راجستان مع العائلة. وقد قام بزيارة كيرالا مرتين؛ أولاهما في نوفمبر عام ٢٠١٧ م، للمشاركة في ندوة دولية باسم "التبادل الثقافي بين الهند والعالم العربي على مر العصور" المنعقدة في قاعة كلية فاروق من ٢٢ إلى ٢٣ نوفمبر ٢٠١٧م. وفي هذه المرة كانت له جولات في ويناد وكاليكوت.

ثم قدم كيرالا في السنة التالية ٢٠١٨م، من أجل الحضور في مناسبة تقديم أطروحة الباحثة سبينة حول 'شعرية السرد في روايات أشرف أبو اليزيد'. وفي هذه المرة قام برحلة إلى نيلامبور ومتحف الساج، ومناظر نهر تشاليار الخلابة، مسجلا تفصيلات ومشاهد الرحلة في مقال موسوم ب: "نيلامبور جسر على نهر تشاليار".

[220] أشعار بهاراتي ... من لغة التاميل إلى العربية . شبكة أخبار المستقبل . 2022/08/24

وأما نصوص كتاباته الرحلية عن الهند، فقد أفرد فصلين في كتاب 'نهر على سفر' باسم "تحت سماء كوجرات"، و"عرش السلطان أكبر". وقد نشر الفصل الأول في مجلة العربي العدد ٥٦٨ مارس 2006. ويتضمن عرش السلطان قرابة ١٨ صفحة في كتاب نهر على سفر، منشورا في العدد ٦٧٦ مارس2015 . ونشر في مجلة دبي الثقافية رحلته إلى مومباي(أسطورة الجزر السبع)، يوليو 2009، وله مقال بعنوان"مومباي قصيدة برية" في تفاصيل رحلته إلى مومباي للمشاركة في المهرجان الشعري، نشرته جريدة القاهرة بتاريخ 23 يوليو 2017م . وقد سجل تفاصيل رحلاته إلى كيرالا في مقالين، أولهما باسم "على خطى ابن بطوطة في قالقوطه" في آسيا إن العربية، ٢٨ ديسمبر ٢٠١٧، ودوّن أخبار رحلته الثانية التي حظي فيها بزيارة نيلامبور في مقال في سفن اي نيوز بعنوان "نيلامبور جسر على نهر تشاليار"، وقد أعاد نشره مصورا في العدد 87، مجلة (أقلام عربية) اليمنية، مارس 2024، ص 18 – 24.

تحت سماء كوجرات

يتضمن تفاصيل ومشاهدات الرحلة الأولى للكاتب إلى الهند في مارس عام 2006 م. يعكس الرحالة صور كوجرات بصفة خاصة، وثقافة الهند عموما، بكل ألوانها وأشكالها المبهرة حينا؛ والثنائيات المتناقضة في نفس الوقت، مع ما فيها من المعالم والآثار وتعكيسات الرفاهية والغنى وعمق المعاناة والبؤس وألوان الفقر والتهميش وملامح الحياة العادية.

"مساجدٌ ومعابدٌ، شيوخ يتعبّدُون آناء الليل، ونسَّاك زاهدون عن ضجيج النهار، مناراتٌ تهتزُّ" ... وهكذا يبدأ الفقرة مشيرا إلى تنوع وتلون الثقافة والحضارة الكوجراتية، مختتما بقوله: إنها

السماء التي تحتها تنام أحمد آباد وسورات وفودرا وغاندي نَجَار، وكثيرٌ من مدن محافظة كوجرات الهندية، متلحفة بألف لون ولون. ثم يحاور مع المضيف الأستاذ عباس عن جذور الاضطرابات والمذبحة والحوادث التي شهدتها ساحة كوجرات في 2002. ومن خلال نافذة الطائرة حين تنقله بين بومباي وأحمدآباد، يسرح النظر في السواحل الهندية الشاسعة التي مر الغزاة والتجار على موانئها،مما جعل للهند نصيبا في تجارة العبيد. ثم يلفت النظر إلى بحث تاريخي عن طائفة السيديين الذين جلبوا من أفريقيا على متن السفن البريطانية.

وقد سجل تجاربه وانطباعاته في بيت أسلم تحت ترجمة 'يوم في حياة أسلم' مع بيان نظام المنازل والبيوت في أرياف كوجرات، وخاصة في أحياء الجاليات المسلمة،مع الكشف عن ظروف وأحوال الأقلية المسلمة وتأخرهم في شتى المجالات، واندثار الآثار الإسلامية العظيمة في المدينة والعمارات الآئلة للزوال من المساجد والمدارس والأضرحة التي تسجل حضور عهد السلاطين بقوة. وهكذا تمتد النصوص بين عناوين وفصول موجزة من: قصة مدرستين والثورة البيضاء ومانشتر الهند ومتحف كاليكو، غاندي ونهرو معا في السماء, الطريق إلى سورات, الجامعة السيفية معابد تيك أواي، خوذة لكل مواطن, ماسة وسط الركام.

عرش السلطان أكبر

كما يبدو من العنوان"عرش السلطان أكبر"، يحتوي هذا الفصل على تفاصيل وأخبار رحلته وتجوله في دلهي وراجستان وصولا إلى آجرا، المتضمنة للمشاهد والمعالم التاريخية التي تدل على عظمة الدولة المغولية، وبشكل خاص على حياة وسيرة عظيم ملكها 'جلال الدين أكبر'

وأحداث بلاطه ومسجد فتح بورسكري، مع دراسة موجزة عن الدول والسلطنات والحكومات المتسلطة على عرش الهند عبر العصور.

بدأ الرحلة في دلهي، ومر بجيبور وأوديبور وغيرها وصولا إلى آجرا، كانت الرحلة إلى راجستان، على مدى ثلاثة أسابيع، مع عائلته في نحو 10 مدن، وسجلها في عرش السلطان أكبر. يبدأ المقال بتذكر ما قرأه في صفحات كتاب "طبقات أكبري" و"أكبر نامه" من مناقب ومدح السلطان أكبر، منبهرا بشخصيته العظيمة. ثم يدون تجاربه مع فيلم 'جودا أكبر' والممثل 'هريتيك روشن' عام ٢٠٠٨ في مهرجان "قازان الدولي لسينما العالم الإسلامي".

وفي مستهل الترحال يقوم الرحالة بزيارة ضريح والد أكبر"السلطان همايون" في دلهي، منبهرا بروعة العمارة المغولية، وساردا لقصة حياة أكبر من الطفولة إلى وصول العرش، مع الإشارة إلى حياة والده 'همايون' ونظامه الحكمي. تستغرق سيرة أكبر الحافلة بالأحداث والإنجازات الحكومية في عناوين" لقاء مع البرتغاليين، سطور"أكبر نامه"، مسجد فتح بورسكري، ترويض الفيلة وصيد القردة، بداية ونهاية. وفي الفصل الأخير يذكر بشكل موجز، تاريخ السلالات والسلطنات التي استولت على أراضي الهند من الغزنويين والأسرة الأفغانية الغورية وسلطنة دلهي ومؤسسها 'قطب الدين أيبك'، وقيام العلاقات بين دلهي والقاهرة من إعلان الولاء للخليفة العباسي الجديد في القاهرة. يختم المقال هكذا: "هنا عرش السلطان أكبر الذي جمع

خصالا وخصائل فرقت الآراء حوله، ولكنه يبقى رمزا لإمبراطورية كبيرة، ذهب رجالها وبقيت آثارها وعاشت قصصها تُروى من أجل عبر وآيات منسية، أو تكاد".[221]

مومباي قصيدة برية

يبدأ فصل "مومباي قصيدة برية" بتذكر زيارة مومباي للمرة الأولى في طريق رحلته إلى ولاية كوجرات، وما تشكل لديه من الانطباع بأن مومباي فطيرة حارة مزجت أكبر مدينتين مصريتين معًا؛ الأولى هي القاهرة بزحامها وعراقتها، والثانية كانت الإسكندرية ببحرها وسحرها. فمرور شوارع مومباي الفائض بمن يتحركون فيه وفوقه، لا بد وأن يذكرك بأعناق الزجاجات لدينا عند كل جسر ومدخل ومحور، ومياه المحيط أمام بوابة الهند قرب فندق تاج محل، ستحملك فورا على شراع الذكريات إلى باحة البحر المتوسط أمام قلعة قايتباي. ولكنها اليوم قد تغيرت أكثر وأكثر من المرة الأولى.

ويأتي ذكر اسم الأمير الهندوسي الذي أسس مملكة مارثا في غربي الهند عند عرض إعجابه بالمطار الدولي باسم"شاتراباتي شيفاجي"(ChhatrapatiShivaji). وتحت عنوان شوربة أميتاب(Amitabh Bachchan) يرسم ما رأى خلال تنقله في شوارع مومباي من صورة ملصق عملاق لبطله المفضل"أميتاب"وهو يعلن عن شوربة شهيرة. ثم يخوض إلى تفاصيل مهرجان مومباي للشعر الذي دعي إليه ضيفا ومن أجل المشاركة فيه توجه إلى الهند. استقبله في الفندق الشاعر"هيمانت ديفاتي"، وكان هناك جماعة من كبار الشعراء والأدباء الهنديين من

[221] المصدر نفسه. ص 163

أمثال"ساتشيدانندن"[222]،وشارك معهم بالحديث والتحاور وأدهشه من بينهم الشاعر الفيلسوف المؤرخ "أشواني كومار" بشعره وحديثه ومهارته في عقد ورعاية مهرجان عظيم، يستضيف ٤٥ شاعرا وشاعرة من كل أنحاء الهند وخارجها لثلاثة أيام في معهد تاتا للعلوم الاجتماعية.

وبعد التعريف بمعهد تاتا وتاريخه موجزا، يدخل إلى وصف فعاليات المهرجان من البداية إلى النهاية، وآل القصيد الذين يحتفلون باليوبيل الفضي للمهرجان، إلى جانب ذكر حركة الشعر ومجلة الشعر الماراثي وروادها ومسيرتها المبدعة حتى الآن، مع الإشارة إلى أبرز أعلام الشعر والكتاب وقصائدهم المقروئة في المؤتمر، بتركيز خاص على أعمال وقصائد ʻهيمانت ديفاتيʼ مع نقل ترجمة نفسه لديوانه بعنوان "فضاء رتيب يبعث على الكآبة"، وتحليل بسيط لأفكاره عن تأثير العولمة في الحياة الهندية العادية.

على خطى ابن بطُّوطة ... في قَالِقُوطهْ

يتناول هذا المقال أخبار رحلته الأولى إلى كيرالا عام 2017. وفي البداية يلفت النظر إلى اسم كيرالا ووجوه التسمية المختلفة. وذلك أن كلمة كيرالا تأتي على إيقاع مسماها العربي الشائع ʻخير اللهʼ، وأن لغة ماليالام تحريف لعبارة ما لا يعلم. ثم يدور البحث عن كلمة كاليكوت وشتى أسماءها في أوراق التاريخ، وفي رحلة ابن بطوطة حيث وصفه بقالقوطه. يستعرض الحديث عن

222 الشاعر الهندي والأديب الناقد، يكتب أشعاره بلغة مالايالم.

مسجد مثقال وتاريخه العريق ومنطقة كوتيشرا، وعدم مشاركة أهلهم في الإضرابات والتظاهرات بإغلاق المحال والدكاكين.

يتمحور معظم النصوص حول الندوة الدولية التي أقيمت احتفالا باليوبيل الماسي، لإنشاء رابطة روضة العلوم للغة العربية في الهند، وكانت بعنوان "التبادل الثقافي بين العرب والهند على مر العصور"، وقد أعدت بمشاركة قسم الدراسات العليا والأبحاث في اللغة العربية بكلية فاروق. ثم يأتي ببيان وجيز عن روضة العلوم وكلية فاروق ومكانتهما المرموقة، ويرصد أخبار ومشاهدات الندوة وفعالياتها المتنوعة، مبديا انطباعاته الشخصية تجاه الأحداث والأنشطة الأكادمية والورقات المقدمة في الندوة.

وقد عرض فيلم سيرته الذاتية "قطرة وحيدة" بمناسبة ترجمة روايته "حديقة خلفية" إلى لغة مليالم. وقدم الكاتب ورقة باسم"أدب الرحلة العربية المعاصرة إلى الهند"، وضمن محتواها بشكل موجز في خلال نصوص الرحلة، ثم ينتقل إلى تفاصيل الجلسة الثانية والثالثة، مشيرا إلى تنوع الموضوعات والعناوين والجوانب التي نوقشت في الندوة. وتناول هو في ورقته الثانية بالجلسة الرابعة موسوعة "الفن الهندي" للأيقونة في دراسات الحضارة الدكتور ثروت عكاشة. وكان أطرف الأوراق بالنسبة للرحالة، ما قدمه عبد المجيدحول"العرب وثقافتهم في السينما المليالامية". وسنحت له فرصة اللقاء مع مترجم رواية ‘دعاء الكروان’، العالم الأديب محمد كوتاشيري. وبعد الفراغ من أنشطة وحركات الندوة، خصص اليوم الأخير للتجول والسير في بعض نواحي كالكوت ووياناد، وزيارة ما فيها من بعض المؤسسات الخيرية مثل ‘مجمع جي. دي.

تي'، والمدارس والمعاهد التعليمية وأماكن النزهة والسياحة في المناطق الجبلية، منبهرا بجمال مناظر 'واينادُ' الخلابة.

نيلامبور: جسر على نهر تشاليار

يبدأ هذا الفصل بنفس العبارات والنصوص التي أوردها في بداية "على خطى ابن بطوطة في قالقوطة"، ثم يخوض مباشرة إلى أخبار مغامرة استطلاعية قصيرة في نيلامبور.

كانت وجهة الكاتب، منطقة مالابرم التي تقع بالقرب من سلسلة جبال نلجريس على ضفاف نهر تشاليار. وقد رافقه في السفر الأصدقاء من أساتذة اللغة العربية بكلية فاروق بما فيهم الأستاذ محمد عابد . يصف نيلامبور بأنها تسمى مدينة الساج بسبب الأشجار العملاقة وغابات الأخشاب التي تغطيها برمتها. ويأتي بتعريف موجز عن المنطقة مع بيان موقعها الجغرافي وأهميتها الطبيعية منذ عصر البريطانيين في ضوء الاستكشافات المجراة في وادي نهر تشاليار.

وبعد الحديث عن هنري كونولي، وإنجازاته في مالابار، وتعرضه للهجوم وتاريخ أحداث المقتل، ينتقل إلى رصد مناظر ومشاهد غابة أو مزرعة خشب الساج التاريخية، مسلطا الضوء على خشب الساج شكلا وحجما، صناعة وزرعا مع سرد التاريخ بعين رحالة مستطلع وباحث مؤرخ. ومن خلال زيارة متحف الساج، تعرف أن ذلك لم يستخدم لبناء السفن وحسب، بل استخدم في صناعة الأثاث الفاخر وإطارات الأبواب والنوافذ والأرصفة، والجسور وفتحات برج التبريد والأرضيات والألواح، وعربات السكك الحديدية والستائر.

الفصل الثالث
المنهج وآليات السرد

من خلال تجارب عمله لعدة سنوات في مجلة العربي، قد اتخذ منهجا خاصا في تسجيل الرحلات الاستطلاعية، يجمع بين المتعة والمعرفة والأصالة والمعاصرة والتقليد والتجديد، يعني محاكاة أيقونات أدب الرحلة القدامى من أمثال ابن بطوطة، ابن جبير، البيروني وابن فضلان وابن خلدون والعبدري، مع الإبداع في المضمون والشكل بأسلوب سلس شيق، يشمل تقنيات السرد الحديثة المجربة في الرواية والقصة من التدرج في الأحداث والسرد الوصفي المذهل والتناص شكلا ومضمونا، إضافة إلى ميزة التصوير، فالصور يلتقطها بعدسته.

وبالحقيقة يمكن وصفه برحالة مستطلع، يجول في البلاد للتعرف على الأشياء وجمع المعلومات، ورسمها في المجلات والجرائد والصحف بشكل تقرير أو استطلاع أو مقال. و يلحظ أن الكاتب لم يقتصر على طريقة واحدة في العرض والسرد، بل ما زال يحاول تجريب مناهج وأساليب السرد المختلفة عبر الرحلات. كانت "تحت سماء كوجرات"رحلته الأولى إلى الهند ، توخى فيه منهج العرض والرصد والتحليل التاريخي مع إبداء ملاحظاته الشخصية تجاه الأحداث والمناظر، ثم انتقل إلى تغيير المنهج في رحلته الثانية إلى"عرش السُّلطان أكْبر". والواقع أنه بدأ فيه نهجا جديدا في كتابة الرحلة الاستطلاعية، وذلك اختيار شخصية ثم الرحلة على خطاها في التاريخ واقتفاء آثارها في الحاضر، كانت ذلك ما حدث في رحلة ابن فضلان في تتارستان، ورحلة الست الحرة الملكة المغربية التي ولدت في شفشاون وحكمت تطوان. تبدو تلك الصورة بشكل رحلة على آثار السلطان جلال الدين أكبر وعلى خطى ابن بطوطة في قالقوطه.

آليات السرد في الخطاب الرحلي

وقد تناول أشرف في تسجيل الرحلات كعادته في الروايات، شتى تقنيات السرد؛ بدءا من العنونة وسيمائيته، والوصف واللغة والتكرار والفن والسحر والموروث الديني، والتناص القرآني والجمل القصيرة والحوار والفكاهية والسينمائية والصورة الشعرية في الرحلة، وتداخل الأجناس الأدبية بين الصحافة والخطابة والرسالة والشعر والمسرح والسينما والتلفزيون وغيرها كثير، مما يجعل الرحلة أشبه بالرواية أوالقصة ويكسبها طابع الفن والأدب.

وكان من عادته أن تكون الرحلة عينا على العمارة والفنون مع الآداب والتاريخ؛ ومن هذا المنطلق، بدلا من طريقة مجرد سرد وسطر الأحداث والوقائع، أنه يقوم بالتعليق والتعقيب وتحليل بعض المعارف مع إبداء آرائه ووجهات نظره الشخصية بعين صحفي مستطلع ناقد، وتجربة رحالة مثقف. ومن مثال ذلك، توجيهه لأكبر وتبرير فكرة التقريب بين الأديان، مستدلا بالآي القرآنية:"هكذا كان السلطان أكبر مسلما وهنديا في آن واحد. فهو كمسلم يتبع القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجد في الكتاب والسنة مصدر سماحته، كما أنه كهندي يعرف أن ترابط تلك الأعراق والأديان في وطن قوي موحد، يستلزم منه أن يكون عادلا في سياسته الدينية التسامحية تجاه من ينتمون إليها كافة الأديان، ودليلاً يهدي إلى حريات التعبد والتسامح فيما بين أصحاب الديانات وأتباعها من مواطني دولته. وتكفي إشارات من آيات الله للتدليل على مصدر نهج السلطان أكبر:«لَا إِكْرَاه فِي الدِّين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغي»

(البقرة 256)«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاًفَلَهُمْ أَجْرُهمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ»(البقرة:62)". [223]

ومن ميزة أسلوبه ما يتمتع به من شعور الفكاهة والدعابة، مما يجعل القارئ ينفعل بطريقة عرضه الزاخر بالملح والنكات والطرف، مازجا حديثه بالحقائق والمعارف. وعلى سبيل المثال، عند زيارة متحف الساج بنيلامبور، يطلع على خشب قديم للغاية ويشرح مدى عمره بصفة هزلية مضحكة، مقارنا مع رجال وأحداث التاريخ. يتوقف الكاتب أمام شريحة ضخمة تشرح تاريخ واحدة من تلك الأشجار المعمرة: "ياللعجب!، لقد شهدت الشجرة ميلاد السلطان أكبر (1542)، وتأسيس شركة الهند الشرقية (1600)، وأول شجرة زرعت في غابة الساج بنيلابور (1840)، وحرب الاستقلال الأولى في الهند (1857)، وميلاد الشاعر رابندرانات طاغور (1863)، ومولد مهاتما غاندي (1869)، والحرب العالمية الأولى (1914 – 1918)، والحرب العالمية الثانية (1939 – 1945)، ومذبحة جالينوالا باغ (1919)، ومسيرة دندي (1930)، واستقلال الهند (1947)، والحرب الهندية الصينية (1962)، وتأسيس قسم بحوث الغابات في كيرالا (1975)".

224

[223] نهر على سفر، ص :154

[224] نيلامبور

ومما يظهر حس الفكاهة وروح الدعابة للكاتب، أنه لما قالوا له أثناء سفره إلى كلية فاروق: إن كلية فاروق تحتل الآن مكان غابة كانت تعجُّ بالثعالب، تابع شقاوة صبيان يلوحون لهم، فقال ضاحكا:"ذهبت الغابة وظلت الثعالبُ!."[225]

وكثيرا ما كان يحاول تقليد ومحاكاة الرحالة القدامى من رواد أدب الرحلة والكتابة على غرارهم، والسير على منوالهم في الشكل والمضمون، مع شيء من الإبداع والتجديد في الأساليب والتراكيب، والاهتمام الزائد والعناية البالغة بجانب الآداب والتاريخ وتحليل الأحداث والتجارب مع إبداء ملاحظاته الشخصية. ومن هنا كان يحرص على إيراد الاقتباسات والتضمين ونقل النصوص من القرآن وأحاديث الرسول، ورحلات القدامى وكتب التاريخ والسير. في ضمن حديثه عن كاليكوت وأسمائها المختلفة، يرى من أطرف الأسماء ما دوَّنه جدّ الرحالة الأكبر ابن بطوطة، ثم يقتبس النص من رحلة ابن بطوطة الذي يراه أنموذجا مثاليا وأيقونة رائعة يسعى تتبع خطاه واقتداء آثاره في إبداعاته الرحلية:

"ثم سافرنا منها إلى مدينة "قَالِقُوط"، وهي إحدى البنادر العظام ببلاد المليبار. يقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان والمهل وأهل اليمن وفارس. ويجتمع بها تجار الآفاق. ومرساها من أعظم مراسي الدنيا ...وأمير التجار بها إبراهيم شاه بندر من أهل البحرين فاضل ذو مكارم، يجتمع إليه التجار، ويأكلون في سماطه. وقاضيها فخر الدين عثمان فاضل كريم، وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازروني، وله تعطى النذور التي ينذر بها أهل الهند والصين للشيخ أبي

[225] على خطى ابن بطوطه

إسحاق الكازروني نفع الله به. وبهذه المدينة الناخوذة مثقال،الشهير الاسم، صاحب الأموال الطائلة والمراكب الكثيرة لتجارته بالهند والصين واليمن وفارس. ولما وصلنا إلى هذه المدينة، خرج إلينا إبراهيم شاه بندر، والقاضي، والشيخ شهاب الدين، وكبار التجار، ونائب السلطان الكافر والمسمى بقُلاج، ومعه الأطبال والأنفار والأبواق والأعلام في مراكبهم."[226]

لغة الكاتب

جاءت لغة الكاتب صافية رائقة في عمومها، مع أسلوب روائيّ عذب، وطريقة تجمع بين أسلوب المذكّرات الشخصية وتدوين المشاهدات في أدب الرحلة، وهو ما يعرف في الأدب الحديث بتداخل الأجناس الأدبية، كما يأتي الجمع بين التوثيق والتحقيق والاستشهاد بالأقوال والتواريخ والأرقام بأسلوب سلس ومباشر ودقيق. وقد لجأ الكاتب في مواضع أخرى من صفحاته إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم، أو نقل نصوص بحرفها دون تغيير تقويةً لحجّته، وتأكيدًا لصدق ما ذهب إليه.[227] اتسمت لغته القوية الجزلة بشتى ألوان وعناصر البلاغة والفصاحة من تقطيع الكلام في جمل قصيرة والتكرار والاقتباس والتضمين، وما إليها من الصور والأشكال الفنية.

القيمة الفنية

ومن الرحلات ما هو مجرد تسجيل الأحداث والوقائع، ورصد المناظر والمشاهدات، ومنها ما تضم ملاحظات الرحالة وانطباعاته أيضا، وبعض منها يحتوي على عناصر ومقومات الفن والأدب،

[226] على خطى ابن بطوطة.ص: 2

[227] د. هيام المعمري، الهند في الرحلة العربية المعاصرة "نهر على سفر" أنموذجًا. الجيل الجديد، العدد العاشر المجلد الخامس، يناير-يونيو 2022

بما استخدمت فيها من تقنيات السرد والوصف وعوامل الإبداع الممتعة من روعة الخيال والعاطفة و جودة الأفكار، وسحر أسلوب السرد القصصي والروائي. بطبيعة كونه روائيا وشاعرا متميزا ،صحفيا مستطلعا، قد تضمنت كتابات أشرف الرحلية، طابع السرد الروائي الوصفي حتى يشعر القارئ في بعض الأماكن كأنه يتصفح أوراق الرواية أو القصة، إضافة إلى ما فيها من شوائب متعة الشعر المسلية ولغته السلسة الطلقة.

ومن هنا تتميز كتاباته الرحلية من غيرها، وتكتسب عنايات الباحثين والشغوفين بأدب الرحلة. وههنا يود الباحث إبراز بعض جوانب الفن والإبداع من نصوص الرحلة في ضوء الأمثلة والنماذج المقتبسة.

وعلى سبيل المثال للسرد الوصفي، يبدأ فصل رحلته (تحت سماء كجرات) بأسلوب روائي فاتن ، يمس مشاعر وأحاسيس القراء بسرد قصصي، واصفا مناظر ومشاهد ولاية كوجرات الهندية ذات بهجة وروعة: "مساجدٌ ومعابدٌ، شيوخ يتعبّدُون آناء الليل، ونسَّاك زاهدون عن ضجيج النهار، مناراتٌ تهتزُّ، وأخرى تختفي، بوابات مهجورة، ودروب مزدحمة، بيوت ليس لها من سمت البيوت شيء، وقصور تستعيد أبهة عصور السلاطين، متاحف نادرة في عرض الطريق، ومقتنيات آسرة تحت حراسة مشددة، أضرحة تعانق قبابها المزركشة السماء، وقبور تفترش توابيتها الحجرية الأرض، غابات من صفيح، وأشجار من أسمنت، وأسوار من خيش، وشواهد من حجر، وهواء من رماد، إنها السماء التي تحتها تنام أحمد آباد وسورات وفودرا وغاندي نَجَار، وكثير من مدن محافظة كوجرات الهندية، متلحفة بألف لون ولون."[228]

[228] نهر ص: 116

ومن تقنيات السرد في الرواية: بنية الزمان والمكان، وبإلقاء النظر إلى تراكيب الرحلة، يبدو هذا اللون جليا حيث يعكس بنى الزمن والمكان للوقائع والأحداث بالتسلسل الزماني وترتيب الأحداث إلى حد ما، مع ذكر الشخصيات مزيجا بين الجمال والخيال. وذلك كما في ختام عرش السلطان أكبر: "أخيرًا، سنصل إلى المكان الذي يجتمع فيه علية الرجال في بلاط السلطان أكبر، كأني أسمع مشورتهم، وإخبارياتهم. كأني به أراه يغضب على أحدهم فيأمره ببدء رحلة الحج، وهي الرحلة الأخيرة في حياة أحدهم. كأني أرى، قرب بركة المياه، منصة تبدأ عليها وصلة من الفن، لعازفين وراقصات. هنا عرش السلطان أكبر الذي جمع خصالا وخصائل فرقت الآراء حوله، ولكنه يبقى رمزا لإمبراطورية كبيرة، ذهب رجالها، وبقيت آثارها، وعاشت قصصها تُروى، من أجل عبر وآيات منسية، أو تكاد."[229]

تتمثل البنية الزمكانية جلية من طريقة سرده محطات ومنازل السفر، وتفاصيل الحل والترحال. مثلا : "نحن الآن في دلهي، أوكما كان اسمها مدونا قديما دهلي، سننتقل إلى نقطة تالية من المحطات التي تحمل بصمات جلال الدين مثل عاصمته فتح بور سيكري، في راجستان، وحتى ميناء سورات في كوجرات، ووصولا إلى آكرا حيث ضريح تاج محل. رقعة جغرافية كبيرة تشير إلى اتساع ملك السلطان الذي شهد نشاطات عسكرية، وصولا إلى بلاط السلطان الذي كان قبلة المؤرخين ومحج الأدباء ومجلس المفكرين وقاعدة العقائد والمذاهب ومدرسة العلماء، ومنهم من كان مقربا في مجلسه الخاص (خاص- ي – محل)، الذي سمي في جل الكتابات

[229] نهر على سفر. ص 163

التاريخية عبادت خانه،أو مكان العبادة. نحن هنا في دهلي التي تمثل مع سلطانها، مركز الهندوستان ونهاية طبقة سلاطينها." [230]

والطابع الأدبي يتجلى بشكل واضح من خلال تطلعه من شرفة بيت 'أسلم' إلى آثار مدينة أحمد آباد، وعرض رثاءه للآثار الإسلامية والعمارات الغابرة الآيلة للزوال، تحت ترجمة عمارة آيلة للزوال:"من شرفة بيت أسلم، أتطلع إلى إحدى بوابات المدينة، تحكي مجدًا غابرًا. كل الأمجاد في أحمدآباد غابرة، ليس فقط نسبة إلى زمان مضى، بل أيضا لكونها في حاضر مليء بغبار العوادم. الآثار الإسلامية العظيمة في المدينة بلا استثناء في حال يُرثى لها، لم تمتد إليها يدٌ لترمم مكانا أو تجدد آخر أو تحيي أثرًا. هنا آثار أحمد آباد متروكة لمصيرها. جُل المساجد تهدمت مآذنها، كثير من بيوت الله لم يعد لها سوى القباب، حتى المسجد الجامع، أكبر مساجد أحمد آباد! إنها دعوة إلى مؤسسة الأغا خان للعمارة الإسلامية لتقيم مسابقة لترميم المدينة، أو نداء إلى اليونسكو ليتبنى إنقاذ آثار عمرها قرون، أو استغاثة موجهة لدول منظمة المؤتمر الإسلامي للاهتمام بترميم مساجد تراثية شهدت ميلاد الإسلام في شبه القارة الهندية. فتراث مدينة أحمد آباد المعماري الأصيل قد يزول ذات يوم، والدول الراعية للتراث الإنساني والإسلامي منوطة بإنقاذ المدينة العتيقةالمسوَّرة المشهورة بشوارعها الضيقة التي تشبه متاهات أبدية."[231]

[230] المصدر نفسه.ص148

[231] المصدر نفسه: ص126

الفصل الرابع
الموضوعات المطروحة في نصوص الرحلات

وقد تناول الكاتب عدة جوانب ونواحي الحياة الهندية العادية والفنية، بالعرض والتحليل والاستطلاع، مع الفحص والتدقيق وإبداء ملاحظاته الشخصية. وههنا يتطرق الباحث إلى أهم محتويات وموضوعات الرحلة، وبعض المحاور العامة التى عالجها الكاتب عبر المسجلات.

السياسة

وتحت عنوان'مظاهرات تشيجيفارا في كيرالا'، يتحدث عن تجاربه الشخصية ومعايناته السياسية، مازجا بشيء من الدعابة والفكاهة، مع بيان موجز لحالة الحزب الشيوعي الماركسي في الهند وكيرالا وتاريخ الصعود والهبوط. وذلك رجوعه من ويناد إلى كالكوت، يرى فجأة وجه "تشي جيفارا"(Che Guevara)الطبيب والكاتب وأحد أيقونات الثورة الكوبية، حتى خارج الحدود استأذن السائق كي يعود في الطريق الجبلية الصعبة إلى موقف الحافلة مجددا، حيث ينتظر جيفارا الأوتوبيس، ليلتقط له صورة مع عشرات المواطنين.

ثم يكشف عن حقيقة المشهد، ويوضح بأنه إذا عرف السبب بطل العجب، ففي الانتخابات المحلية بأربع ولايات هندية ومنطقة اتحادية واحدة في 16 مايو2016،حققت"جبهة اليسار الديمقراطية" ممثلة في الحزب الشيوعي الهندي، والحزب الشيوعي الهندي الماركسي انتصارا انتخابيا كبيرا في ولاية كيرالا.

ثم يلفت الأنظار إلى تاريخ الحزب المندثر في بنغال والظروف الحالية طول الهند. صحيح أن الجبهة لم تستطع العودة إلى حكم ولاية البنغال الغربية، التي دانت لهم ثلاثة عقود، بعد أن خسرت في انتخابات عام 2011م، لكنها عادت بعد خمس سنوات من خسارة رئاسة الحكومة في ولاية كيرالا. وبعد مسيرة عدة كيلومترات يشاهد أيضا صور تشي جيفارا(Che Guevara) في جوانب الشارع، وقد خرجت من موقف الأتوبيس لترتفع على أعلام مظاهرات ضخمة على متن الدراجات النارية والسيارات التي تردد الخطب القوية، لا شك أنها تؤكد على تلبية تطلعات الشعب والحفاظ على قيم التسامح والعلمانية في الولاية.

ويختم رحلته إلى كيرالا بعد جولة في ربوع ويناد وكاليكوت والمشاركة في الندوة : "وهكذا في بضعة أيام وجدت ديانات العالم في بقعة واحدة، الإسلام والمدافعين عنه وعن لغة قرآنه في روضة العلوم وكلية فاروق، المسيحية في الكنائس الأنيقة بعمارتها البهية صباحا والمضاءة كقلاع والت ديزني مساء تزينها تماثيل العذراء، والمعابد الهندوسية صغيرها وكبيرها، مثلما التقيت مظاهرة في حب الطبيعة وأخرى من أجل السياسة. لكنها في نهاية الأمر، كيرالا، جزء من الهند، الديمقراطية أم العجائب."[232]

الفن والسينما

يبدو أن الرحالة كان حريصا على متابعة أفلام هندية والتعليق عليها، خاصة فيما يتعلق بالتاريخ والثقافة والآداب والفنون اللطيفة وألوان الحياة العادية. وقد تضمنت نصوص الرحلة

[232] على خطى ابن بطوطة.ص:13

أخبار وأحداث بعض من السينما البوليوودية مثل"جودا أكبر" حيث سرد شخصية السلطان أكبر و"إريتيك روشن" الذي مثل السلطان في الفيلم. يقول: "أمعنتُ النظر لهذا الشخص الذي بعث شخصية السلطان أكبر من مرقدها بعد 400 سنة، إنه الممثل 'إريتيك روشان'، الذي جاء ليقدم فيلمه 'جودا أكبر' في مهرجان المنبر الذهبي الدولي لسينما العالم الإسلامي قبل أن يصبح اسمه مهرجان قازان الدولي لسينما العالم الإسلامي."

ويأتي ذكر السينما بشكل مفصل في معرض حديثه عن الندوة الدولية المنعقدة بكلية فاروق في كيرالا، قدمت فيها ورقة من قبل الأستاذ عبد المجيد عن حضور العرب وثقافتهم في السينما المالايالامية، حيث ركزت تلك السينما على الصور النمطية للعرب سواء في تصوير ثقافتهم وعاداتهم ولباسهم ومحادثتهم ولهجتهم وتحياتهم، وحتى في إيماءاتهم كما هو المشاهد في أفلام Sharjah To Sharjah , Venu ,Gaddama.

وعند ذكر الاضطرابات الطائفية التي شهدتها كوجرات، يأتي حديث الكاتب مع مضيفه الأستاذ عباس عن الفيلم "بومباي" الذي أنتجته بوليوود، مدينة الصناعة السينمائية في الهند عام 1994، ليجسد إحدى صور هذه الاضطرابات على خلفية قصة حب بين فتاة مسلمة وصحفي هندوسي، لم يستطيعا الزواج في قريتهما بسبب الاختلاف في الدين، فجاءا إلى بومباي، التي يحمل الفيلم اسمها.

الآداب والعلوم

وكان من عادة الكاتب، تتبع نواحى الآداب والعلوم، والتعليق عليها مجملا أو مفصلا في نصوص مدوناته، مع إظهار انطباعاته وملاحظاته. ومن هنا يأتي أهمية لقاءه مع الكاتب محمد كوتاشيري، مترجم رواية 'دعاء الكروان' لطه حسين إلى لغة مليالم. وفي أثناء حضوره في مهرجان مومباي للشعر، تعرف إلى الشاعر الإنجليزي الهندي والفيلسوف والأكادمي'أشواني كومار'(Ashwani Kumar)، مدرس العلوم السياسية في معهد تاتا للعلوم الاجتماعية، وأعجب بشخصيته وشعره وانبهر بملكته وأشاد بحيويته ونشاطه في عقد الحفل الرائع. وتحت عنوان 'ثلاثية المدن الدينية الكبرى' يبحث عن ديوان الشاعر المشهور 'باناراس والآخر' ومحتواه الثري المميز المتضمن لمجموعة من القصائد التي كتبها الشاعر لتكون ثاني السلسلة من ثلاثية يعتزم إتمامها عن المدن الدينية الكبرى في الهند.

وكان أشرف يقدر ويثمن جهود الشاعر ورائد حركة الشعر الماراتية هيمانت ديڤاتي(Hemant Divate) وزوجته سمروتي(Smruti)، منوها بإنجازاتهم الرائعة المبدعة في تطور ونشر مجلة الشعر باللغة الماراتية. وفي الجلسة الأخيرة لمهرجان مومباي يرى ضرورة تحتم تقديم التحية في نهاية المهرجان للشاعر صاحب الجهد الأكبر وراء الستار ديڤاتي، ويحكي أحداث قرائتهم بالماراتية والهندية والإنجليزية والعربية قصائد له من ديوانه الذي صدر باللغة العربية مؤخرا في القاهرة والذي ترجمه وشرحه بالإنجليزية سارابجيت جارشيا (Sarabjeet Garcha) وهو محرر كُتب، فضلا عن كونه مترجما محنكا بفضل كفاءته في اللغات الإنجليزية والهندية والبنجابية والماراتية. كان أول ديوان له بالشعر الهندي: حتى ذلك الحين كان الصوت هاديء

القلب، 2011 ومن ترجمته لديوان: فضاء رتيب يبعث على الكآبة يقرؤون صوت هيمانت وهو يقدم وجها ثانيا لمومباي المعاصرة بلا رتوش.[233]

يأتي أشرف في كتابه بنموذج من قصائد هيمانت، قام هو بترجمته إلى العربية، يقول هيمانت ديڤاتي في جزء من أطول قصائده بالديوان وكأنها هلوثة لا تتوقف: "بأي لغة علي أن أعبّر؟ لو كان علي أن أقول شيئا، فماذا يجب أن أفصح عنه؟ هل العولمة طيبة أو سيئة؟ أيجب أن أفكر في نفسي أو أفكر في العالم؟ هل نحن بمفردنا أم أننا ضمن الغوغاء؟ وهل ستعيش اللغة؟ وبأي وسيلة على أطفالي دراستها؟ يمكن أن نتحول إلى العدم في أي وقت؛ انفجار قنبلة سيفتتنا إلى أشلاء جثث أسينزعنا أحدهم بشدة؟ هل تغوص السكين الحادة في بطوننا؟ هل يعود الأطفال من المدارس، وهل أحصل على راتبي لهذا الشهر؟ أينبغي لنا أن نصرح بالحقيقة أو نفشي الأكاذيب بدون مواراة؟ هل يوجد إله، هل سأشعر بتحسن إذا زرت راعي المعبد الهندوسي؟ ماذا لو أصبت بنوبة قلبية، هل سيتوقف نزول المطر؟ زاد التلوث وتفشت البطالة، والأسعار تتجه شمالا فأي الأفلام يجب أن أشاهدها، أم ينبغي أن آخذ إجازة؟ هل يجب أن أعتني بوالديَّ أم لا؟ ماذا تفعل الحكومة، كيف يمكنني توفير الضرائب؟ بائع البطاطا يجني المال الوفير، فسلاسل الذهب السميكة تطوّق عنقه...". [234]

وبتتبع فصل عرش السلطان أكبر، يبدو أن الكاتب قد عني بالحياة الفكرية والثقافية للحقبة المغولية في الهند التي دامت ثمانية قرون، مع تسليط الضوء بشكل موجز على تاريخ السلطنات

[233] مومباي قصيدة برية.ص11

[234] مومباي قصيدة برية.ص:12

والدول التي حكمت الهند منذ بداية الحملات العربية إلى تسلط الاستعمار الإنجليزي عبر القرون. وكما يبدو من ترجمة الرحالة، أن هذا الفصل قد احتوى على حياة وسيرة الإمبراطور أكبر بشيء من التفصيل مع تعريف كتاب أكبر نامه لأبي الفضل، يصف "أكبر نامه"سجلا تاريخيا لسنوات حكم السلطان جلال الدين، يقدم فيه الوزير أبو الفضل بن الشيخ مبارك(958-1011هـ/ 1551-1602م) القائد العسكري والمستشار الخاص للسلطان سيرة تفصيلية.

وفي مقابل ما ذكره أبو الفضل من مدح مفصل في أكبر نامه، لا ينسى الكاتب ذكر'منتخب التواريخ' للإمام المؤرخ البدايوني وإسهاماته في مجال نشر الثقافة الفارسية والعربية حيث قام بترجمة كتاب 'معجم البلدان' للياقوت الحموي و'جامع التواريخ' لرشيد الدين الحمداني إلى الفارسية. ثم بين ما جرى بينه وبين السلطان من الخلاف والنزاع في قضية فكرة التقارب بين الأديان الذي حاول السلطان تنفيذها. يعرف الإمام البدعوني[235] "بأنه أحد سبعة أئمة بمسجد السلطان (إمام الأربعاء، حيث كان هناك إمام لكل يوم من أيام الأسبوع)صاحب الصوت الحسن والترتيل الجميل ومترجم اللغة الفارسية، الذي نقل من العربية بناءً على أمر السلطان معجم البلدان لياقوت الحموي وجامع التواريخ لرشيد الدين الهمداني. لم يحب البدعوني فكرة التقارب بين الأديان فغاب عن ساحة الحوار وسحب السلطان منه نصف أرض كانت تدر عليه مخصصاً يقتات منه وعياله، فاعتزل مجلسه واستقال من الإمامة فسحبت منه بقية الأرض فاعتزل الناس والبلاط واختفى علنا، بينما أخذ يراقب سرا الأحداث ويدوّنها من شاهدي عيان ثقة، دَوّن أسماءهم في

[235] وبالحقيقة اسمه بدايوني نسبة إلى بدايون(BUDAUN)،مدينة في ولاية أتربرديش،الهند

منتخب التواريخ، وأخفى كتابه، وحين عُثر عليه أصبح أكثر المؤلفات طلبا، وخاصة أنه أخرج بجرأة سلطان البلاد من الدين كليا"[236].

العادات والتقاليد

أثناء قيامه بزيارة منطقة كوتيشرا، اطلع على عادة طريفة لأهل تلك المنطقة التجارية بأنهم لم يكونوا ليشاركوا في الإضرابات أبدا، ففي عهود التظاهرات أو القلاقل السياسية والدعوة إلى إغلاق المحال، تبدو منطقة كوتيشيرا وحدها عصية على العصيان، ويبدو أن دماء رجال الأعمال التي تجري في العروق هنا تمانع وقف الحال وتجعله من المحال!.

ومن الملحوظ، أن نصوص الرحلة تتميز من غيرها بما تضمنت من المعارف والمعلومات التاريخية عن وضع الهند في العصر المغولي، وسلاطينه الكبار وما اعتادوه من الهوايات والتقاليد من طرق الصيد الغريبة وترويض الفيلة إلى جانب تصوير مشاهد ومناظر الأحداث والوقائع التي شهدتها القصور والبلاط وعاينها حواشي الملوك من الأمراء والعلماء ورجال الفن والأدب.

عند سرد سيرة السلطان أكبر، ناقلا من أكبر نامه وطبقات أكبري للبخشي، يتطرق الرحالة إلى الحديث عن طريقة متميزة في الصيد السائدة آنذاك بين سلاطين المغول تسمى بصيد القمرغه، و"ذلك في سنة حكمه الثانية عشرة،التي بدأت الثلاثاء الثاني من رمضان 974 هجرية، أراد السلطان أكبر أن يمضي أيام النوروز في صيد القمرغه. ثم ينتقل إلى تعريف القمرغه بأنه كلمة تركية تصور إحدى طرق المغول بالصيد وفيها يحيط الجيش بمنطقة الصيد من كل جانب ثم

[236] نهر على سفر.ص:156

يتقدم أفراده من كل جانب لتضيق الحلقة، بينما يقوم السلطان بالصيد داخل هذه الدائرة ثم يُسمح للوزراء والمقربين في أيام النوروز الأخيرة بالمشاركة في الصيد"[237].

التاريخ والآثار

كما أن من أبرز فوائد مسجلات الرحلات، احتوائها على حقائق ومعارف تاريخية، يعز الحصول عليها في أماكن أخرى، قد سلطت تلك الرحلة الاستطلاعية الأضواء على نقاط وبيانات وملاحظات ذات أهمية تاريخية، لا يطلع عليها إلا من له إلمام وشغف بقراءة التاريخ الهندي.

والرحلة عبر صفحاتها مفعمة بأخبار التاريخ والأحداث والوقائع مع ذكر الأعلام والرجالات التاريخية من السلاطين والملوك والعلماء وأعلام الفن والأدب، كما هو الملحوظ في فصل 'عرش السلطان أكبر' حيث يسافر من دلهي إلى آجرا، آخذا بيده كتاب 'طبقات أكبري'، متصفحا له معجبا ومنبهرا بحياة السلطان جلال الدين محمد أكبر. ثم يحكي حياة أكبر وشخصيته المميزة مع إبراز جوانب الإيجاب والسلب في ضوء كتابي 'طبقات أكبري وأكبر نامه' بشكل تفصيلي لتاريخ مسلمي الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني، مع الإشارة إلى الدولة المغولية والسلطات المسلمة التي حكمت الهند إلى جانب أخبار وحياة السلاطين الكبار.

تتضح أمثلة تلك الصور من خلال تعريفه بطائفة السيديين الذين استقروا في سواحل كجرات. "وهم بالحقيقة الأفارقة ذوو الأصول الحبشية الذين جلبوا بسبب تجارة العبيد، على متن السفن البريطانية والهولندية والبرتغالية وغيرها. يسرح الرحالة النظر في السواحل الهندية

[237] المصدر نفسه.ص:157

الشاسعة من نافذة الطائرة، بين بومباي وأحمد آباد، متذكرا مرور الغزاة والتجار على موانئها، وهو ما جعل للهند نصيبا في تجارة العبيد. في ولاية كوجرات وحدها41 ميناء، وفي بعضها استقر بالشتات طائفة السيديين، وهم الأفارقة ذوو الأصول الحبشية الذين جلبوا بسبب تجارة العبيد، على متن السفن البريطانية والهولندية والبرتغالية وغيرها. إن الحضور البحري القوي تاريخيا للهند في بحر العرب، وارتباط البلاد بشبه الجزيرة العربية وأفريقيا أدخل الهند في منظومة التجارة (العالمية) آنذاك، وأسهم في وجود هذه التجارة."[238]

ثم يقدم ملاحظاته بصفة مكتشف مستطلع مؤرخ عن هذه الطائفة، و مظاهر عيشهم بالمهجر: "يعيش اليوم بمناطق الهند الغربية في كوجرات وكارناتاكا وآندرابراديش وماهاراشترا، أحفاد هؤلاء الذين جلبوا من أفريقيا، لن نرى ذلك الخط الوراثي في ملامح وجوههم السمراء وحسب، بل وفي العمارة التي تسللت لتنقش بصماتها على الأبواب والنوافذ، وتدق بإزميلها على الأفاريز والشرفات، وتبقي معالمها في الثياب والسلوك. لقد بقي في كوجرات وحدها نحو 20 ألفا منهم، انخرطوا في الأعمال الدنيا بالمناطق العمالية، ونادرا ما تجدهم يفلحون داخل القرى. لقد أصبحوا شريحة من نسيج الفقراء الضخم الذي تصافحه العين في المناطق القديمة من المدن والموانئ الكوجراتية. كان يطلق على هؤلاء اسم 'حبشي'، ثم لقبوا باسم 'سيدي'، وهم الأجراء. وهكذا فإن من لم تقطفه في أفريقيا يدا تجارة العبيد عبر المحيط الأطلنطي حصدته يدا الرقيق عبر المحيط الهندي. ويقال إن معظم هؤلاء جاءوا من إثيوبيا، ولكن منهم أيضا من جاء من منابع النيل في الصومال وغيرها. وفي القرن السادس عشر حين بزغ نجم الأوربيين . ومنهم

[238] نهر على سفر.ص:119

البرتغاليون في المشهد الهندي، تم جلب العبيد من مناطق إفريقية قاصية داخلية وساحلية مثل موزمبيق، وتنزانيا، ومالاوي، والكونغو."[239]

"في أحمد آباد وسورات، سنجد قبورا على قارعة الطريق تعلوها أعلام خضراء، إنها لهم! هؤلاء هم الحبشيون الذين ينسبون أنفسهم إلى بلال مؤذن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأنه كان من الحبشة، ويطلقون عليه حضرة بلال، ويقتدون في سلوكهم الحياتي بما كان عليه بلال (رضي الله عنه)، لعلهم يجدون في القوة الرّوحانية لهذا النسب مخرجًا من فقرهم المدقع"[240].

على العكس من هؤلاء القادمين إلى كوجرات من أفريقيا قسرًا، وعلى النقيض من سلالتهم الفقيرة، يعيش المسلمون المهاجرون من كوجرات في جمهورية جنوب أفريقيا. ففي إحدى الضواحي المتاخمة للعاصمة جوهانسبرج توجد أغلبية هندية كوجراتية مسلمة، وقد تأجج حضورهم خلال الحرب على أفغانستان بملصقات وزعوها تندد بالحرب، ووزع الكثير منهم شرائط صوتية معادية. هؤلاء يقولون إنهم ينتمون للإسلام أولا وأخيرًا، وإنهم ليسوا هنودًا لمجرد أن آباءهم وأجدادهم جاءوا من كوجرات، وبالرغم من ذلك لا تزال عائلات كثيرة منهم تمارس حياتها وفقا للطقوس الكوجراتية في الأعياد والملابس والزواج، حتى تلك العادات المقتبسة ثقافية من تقاليد الهندوس."[241]

[239] نهرعلى سفر.ص:120

[240] المصدر نفسه.ص:120

[241] نهر، ص:120

ولا شك أن تاريخ الهند بكافة أصعدته وأعلامه، كان من اهتمامات الرحالة، حتى لا يترك لافتة ولا تمثالا تكريميا ومعلما من معالم التاريخ، إلا وقد استعرض ذكره، وعلق عليه شيئا من أفكاره وانطباعاته وآرائه الشخصية، مع بيان نبذة من الخلفيات التاريخية. وتتضح تلك الصورة من وصفه مدينة أحمد آباد (مانشستر الهند) بالإشارة إلى تاريخ بداية صناعة القطن في أراضي الهند على يد رائدها راو باهادوب رانشو ليلال تشوتالال.

أثناء الجولة في ربوع كجرات بين متحف المدينة ومسرح طاغور، يصادف الكاتب تمثال تكريمي تهديه المدينة إلى روح راو باهادوب رانشو ليلال تشوتالال(1824 - 1898)، أول من أدخل صناعة القطن في أحمد آباد، وأول رئيس هندي لبلدية أحمدآباد من سنة 1884م حتى وفاته.[242]

وحين عرض مشاهد متحف كاليكو، يشير الكاتب إلى العلاقات التجارية بين الهند ومصر في القرون الغابرة، وذلك "بأن قرب الفسطاط في مصر القديمة، كشفت التنقيبات خلال القرن التاسع عشر عن بقايا من الأقمشة التي تم تصنيعها في كوجرات. ثم يوضح بأن هذه اللقى وغيرها من المنسوجات الهندية المشتراة من بريطانيا والولايات الهندية الأخرى تنام بسلام تحت سقف متحف واحد في أحمد آباد هو متحف كاليكو لصناعة النسيج في الهند الذي يزاوج بين الفن والتاريخ، في عرس تضمه القاعات التي يشبه المرور فيها دخولا إلى بيت جحا"[243].

[242] Ranchhodlal Chhota Lal رانشودلال شوتالال، راي بهادور CIE (29 أبريل 1823 - أكتوبر 1898) كان رائدًا في صناعة النسيج في أحمد آباد، غوجارات، الهند. يعتبر مؤسس مدينة أحمد آباد الحديثة وكان أيضًا ناشطًا اجتماعيًا.

[243] نهر.ص:133

ومن المعارف التاريخية التي تدل على مدى العلاقات الثنائية بين الهند ومصر والتبادلات الثقافية في العصور الوسطى، ما أوضح الرحالة من "ظهور اسم الخليفة المستكفي بالله على نقود تداولها تجار دهلي في معرض البحث عن دولة تغلق. ودولة تغلق التي تلتها واستمرت 4 سنوات، على الرغم من أنها حافظت من ضرب العملات باسم الخلفاء الراشدين الأربعة، وحين اتخذت الدولة المملوكية في مصر من الخلفاء العباسيين خلفاء للدولة، أدركت سلطنة دلهي أنها مضطرة لإعلان الولاء للخليفة العباسي الجديد في القاهرة، فظهر اسم الخليفة المستكفي بالله على نقود تداولها تجار دهلي(1244 ميلادية). وحين حضر موفد الخليفة العباسي بموافقة رسمية للسلطان تغلق، دعا خطيب المسجد في يوم الجمعة للخليفة العباسي ووزعت دراهم ذهبية وفضية على الفقراء والمحتاجين. لكن حملات الأمير تيمور حتى على قلب دهلي، جعلت ممارسات جنوده تعيد البلاد إلى فوضى وبؤس ومعاناة لم تعرفها، وهي المدينة العامرة بالنشاط والعمران والحضارة"[244].

وخلال تطوافه بربوع كيرالا، اضطر إلى عبور جسر معلق على نهر تشاليار(Chaliyar River)، للوصول إلى مزرعة كونولي، وعند استعراض أخبار تلك الأحداث ومشاهداته في السير يتحدث مفصلا عن شخصية كونولي التاريخية لإسهاماته المرموقة في مجال بناء القنوات والممرات المائية في شتى نواحي كيرالا، إلى جانب ذكر السيد فضل بوكويا تانجال المنفرمي[245] المرتبطة قصته بالهجوم على كونولي.

[244] نهر .ص:162

[245] هو السيد فضل بن السيد علوي المنفرمي ولد عام 1823، توفي في القسطنطينيةعام 1900

العمارة والهندسة

كثيرا ما يهتم الرحالة طوال جولاته وتنقلاته في مختلف أرجاء الهند، بفن العمارة والهندسة وروعة النحت والتصوير وأساليب صناعة الأبنية والمعالم السياحية وآثار الهند الخالدة، مسلطا الضوء على تاريخ وظروف بناءها بعين باحث مؤرخ مستطلع، له تخصص بفن العمارة والهندسة. ومما يدل على سعة اطلاعه وإلمامه بفن العمارة والنحت تعليقاته على الأبنية والأضرح والمعالم التاريخية الهندية، وقيامه بالمقارنة والموازنة بين ميزات العمارة الهندية والفارسية مع كشف نواحيها الفنية بشكل متعمق.

وحين وقوفه أمام مدخل ضريح السلطان همايون(1530م) في دلهي، يسجل انطباعته بروعة المشهد والمنظر، موضحا مآثر العمارة المغولية، التي ترى آثارها اليوم في الهند الإسلامية (قديمًا)، الهند والباكستان وبنجلاديش وكشمير. يصف ضريح هميون بأنه"عمارة مزجت بمرونة تقاليد العمارة المحلية في الهند قبل الإسلام وحضارة ما بعد الفتوحات، حيث استخدمت - كتقليد محلي - الحجر والخشب كمادتين أساسيتين، وهو ما يجعلها تختلف عن العمارة الفارسية في إيران وتركستان وأفغانستان التي شيدت من الطوب الطيني (اللبن) والمحروق (الآجر) وزينت بالفسيفساء الخزفية. بديلا عن التزيين الخارجي تميزت العمارة المغولية بالنقش على الحجر والجص والفسيفساء الرخامية والترصيع والحجارة الملونة.

كانت مساقط الأبنية المغولية في رحلتنا ذوات مساقط، وهي صحون واسعة محاطة بأروقة مسقوفة أحيانا بقباب صغيرة، ومن النافورة التي رأيناها أمام الضريح، والحدائق التي أحاطت بالقلاع، كما شاهدناها من عل، تتضح العناية الكبرى بتنظيم الحدائق والمياه، وهو إرث من أسرة

الصفويين في إيران، وشاعت العقود المدبب الفارسية، (قسمها العلوي مقعر نحو الخارج) والفاطمية (بقوس علوي مستقيم)، كما انتشرت القباب ذوات الأقواس المدببة والدائرية ومعظمها من طبقتين بينهما فراغ واسع، مما يجعل عنصرها العلوي يشبه الكأس المقلوب. أما الأروقة فهي مظللة أو غير مظللة، تعلوها قبة أو قنطرة. وهناك رفارف بارزة في الواجهات أو فوق الأروقة أو أسفل طاسة القبة من ألواح حجرية كبيرة أو رخام محمول بواسطة مساند حجرية، وقل استعمال الأعمدة واستخدمت العضائد بدلا منها"[246].

العلم والثقافة

كان التعليم والتربية ومراكز العلم من المدارس والمعاهد والجامعات، من أولويات الرحالة، حيث أولى عناية بالغة بكل ما له ارتباط بالعلوم والمعارف وطرائق التعليم والتحصيل المتبعة في شتى المعاهد والكليات، وذلك بزيارة المدارس والتواصل مع الطلبة والأساتذة والتقاط العدسة معهم تخليدا للذكريات وتوثيقا لنصوص الرحلة. ومن هنا يوجد ذكر تلك المراكز ضمن صفحات الرحلة بشكل ملحوظ، كما ذكر معهد تاتا للعلوم الاجتماعية بمومباي عند سرد تفاصيل وأخبار مهرجان مومباي للشعر المنعقد بمعهد تاتا الذي استضاف فعاليات المهرجان الدولي. وقد أشاد الكاتب بذكر المعهد ومآثره المتألقة مشيرا إلى مكانته الأكادمية ومنجزاته الملحوظة. تأسس المعهد في عام 1936 باسم كلية السير دورابجي تاتا للدراسات العليا للعمل الاجتماعي، لتخريج مهنيين يعملون في خدمة الناس وتمكينهم من التغلب على الفقر والحرمان والبطالة. ولا يزال المعهد حتى اليوم يحافظ على هذه الرؤية حية من خلال تعليمه المكثف،

[246]نهر على سفر. ص: 150

ودعم سياسات وبرامج العمل الميداني، لذا يحتفظ بمكانه بين أفضل الجامعات في الهند، كما تركز مناهجه على إدارة الموارد البشرية والدراسات الإعلامية والثقافية الريفية والحضرية والتنمية، وسبل العيش وتغير المناخ والتصدي للكوارث، ويعمل أشواني مع أعضاء هيئة التدريس على أكثر من 500 مبادرة بحثية. ولدى المعهد برامج تبادل الطلاب مع أكثر من 100 جامعة ومؤسسة عبر العالم. وهذا المعهد في مومباي هو واحد بجانب ثلاثة أفرع أخرى له في تولجابور وحيدر آباد وجواهاتي.

وكانت العرب والعربية ومراكز تعليمها ومعالم ثقافتها وآثارها، مما أثارت انتباه الكاتب حيث لم يضيع فرصة لتصوير آثارها. يقول: "كان البحث عن العرب، واللغة العربية في سورات ضربًا من المستحيلات. الكوجراتية هي اللغة الأم والأب معًا، وتحل اللغة الهندية ثانية، أما الإنجليزية فلن تجدها إلا في بعض المطاعم (النباتية جميعها)، وما بالك باللغة العربية؟"[247]. وقد انبهر بالجامعة السيفية بسورات التي يكمل بها طلاب هنود وآسيويون وأفارقة دراساتهم االعليا.

وقدر جهود القائمين عليها بقوله:"تمتلك الجامعة السيفية حياة أكاديمية متكاملة، فنسبة الأساتذة للطلاب والطالبات(1 : 7)، وتكاد الفصول الدراسية تكون دراسة شخصية فعدد الطلاب في كل فصل وصف محدود، ويقل كلما صعدنا عامًا دراسيا من الأعوام الأحدعشر مدة الدراسة بالجامعة. وهم يدرسون في قاعات مجهزة تجهيزًا لافتا، من معامل للصوتيات، واستوديوهات لتسجيل قراءات الطلاب للقرآن، وغرف للتدريب على التلاوة، لأصحاب

[247]نهر.ص:136

المستويين الصوتيين العالي والخفيض، ومكتبة من أربعة طوابق، بين الدوريات اليومية والأسبوعية والشهرية والفصلية، وصولا إلى المراجع الأدبية واللغوية والتاريخية، بأكثر من لغة، ومساكن إقامة منفصلة لكل من الطالبات والطلاب، القادمين من أنحاء الهند والعالم الإسلامي. وفي عمارة الجامعة آيات كثيرة، بعضها مستمد من المساجد الفاطمية في مصر كالأزهر والأقمر، وبعضها يعتمد أحدث التقنيات لترديد صدى الصوت والاحتفاظ به نقيا. ويشرف سلطان البهرة الذي ينفق على الجامعة والجامع، على الامتحانات سنويا في شهر شوال من كل عام، حيث يتابع طوال فترة زيارته إلى سورات، الاستماع إلى الطلاب الممتحنين في قاعة الصلاة."[248]

ثنائيات الثقافة الهندية والصور المتناقضة

وقد أولى الكاتب عناية في إبراز مناحي الحياة الهندية الدالة على ثنائية الثقافة ومظاهر التناقضات البديهية من آثار الغنى والفقر وملامح الرفاهية والمعاناة والبؤس والتقدم العلمي والتكنولوجي من ناحية، وسيطرة الأساطير والخزعبلات على الهنود، وشيوع العادات والتقاليد والطقوس العجيبة والمعتقدات الغريبة بين الجاليات والشعوب والطبقات المختلفة.

يقول:"لكن الأرقام غير ما سنراه، تصافحنا في المدينة مشاهد وتصفعنا مشاهد أخرى: شحاذون ليس فيهم من الحياة سوى الأنفاس، ومحسنون لست تعرف عنهم غير الأسماء، بيوت تراثية آيلة للسقوط، ومجمعات جديدة تتحدث بلغة العولمة، أطواق من ورد متوهج وسحابات من

[248] نهر.ص: 138

عطور التوابل النفاذة، جمال لجرِّ العربات، وأفيال لمؤانسة السياح، وبقر للعبادة، وخيول للقيادة، غربانٌ وعصافيرُ، فراشات خضراء وسناجب سمراء، بحيرةٌ تغرد فيها مراكب شراعية، وعشوائيات تتعذب تحت وطأة التلوث، دراجات نارية، وعربات ريكشا، سيارات يحركها العادم، وأخرى تحرك الغبار، شعارات رنانة تخفي تحتها الكثير، وعبارات فضفاضة عن رياح التغيير، وآراء تلونها الأيام، مصانع تقليدية يدوية تنقرض، وأخرى ديناصورية تنهض متخمة بالمال والعمال والآلات الحديثة، آلهة هندوسية مصنوعة من الورق والحجر والخشب، وعباد مسلمون يعيشون في بيوت من ورق وحجر وخشب!."[249]

الخصائص والمميزات

إن رحلات أشرف قد اتسمت بخصائص وميزات فنية، في الرصد والسرد ومنهج التحليل، وإبداء الملاحظات والتعليقات مغزى وشكلا، إضافة إلى ما تضمنت من عناصر الفن والأدب. وهنا بعض من الخصائص البارزة:

- تجريب منهج جديد في تسجيل الرحلات، وذلك اختيار شخصية ثم الرحلة على خطاها في التاريخ واقتفاء آثارها في الحاضر، كما حدث في رحلة ابن فضلان في تتارستان.
- التركيز الخاص على الآداب والفنون والتاريخ والعمارة.
- إبراز مناحي الحياة العادية الدالة على ثنائيات الثقافة الهندية ومظاهر التناقضات من الغنى والفقر والرفاهية والمعاناة والتقدم العلمي والتكنولوجي من ناحية، وسيطرة

[249] المصدر نفسه .ص:121

الأساطير والخزعبلات في الوقت نفسه وتجليات التدين في الطقوس والعادات والمعتقدات.

- الاقتباس من آي القرآن وكتب التاريخ.
- الجمع بين الأصالة والمعاصرة والتقليد والتجديد والمحاكاة والإبداع، يعني محاكاة أعلام أدب الرحلة القدامى أمثال ابن بطوطة وابن جبير وابن فضلان ومحاولة التجديد والإبداع في المضمون وتقنيات السرد وطرق التحليل والوصف.
- سرد حقائق التاريخ بذكر الأرقام والإحصائيات والتقارير.
- استخدام تقنية الفكاهية والأسلوب المليء بالطرافة والملح والهزل.
- استخدام آليات السرد المختلفة من الوصف والحوار والعنونة والبنى الزمكانية.
- الاعتماد على أدب الرحلة المصورة، يعني استخدام القلم والعدسة معا، رصد المظاهر بالقلم والمشاهد بالعدسة.
- تجريب أسلوب الاستطلاعات الصحفية وتوظيفها في أدب الرحلة.
- توظيف مفهوم تداخل الأجناس الأدبية عبر النصوص مع الجمع بين المعرفة والمتعة.
- الاهتمام الخاص بالمعالم والآثار الإسلامية ومراكز الثقافة واللغة العربية وآدابها.
- الإنصاف والتفاؤل في تمثيل الأنا والآخر، وتعكيس صور الهند المتعددة الأشكال والألوان مع الميل إلى تعزيز الجوانب الإيجابية، ورصد عظمة وروعة الحضارة الهندية العريقة بشكل كبير.

تأثير الرحلات في الأدب العربي والهندي

الرحلات المصرية إلى الهند قد أثرت بشكل ملحوظ في الأدب العربي و الساحة الأكادمية بين أوساط الوطن العربي. تتجلى أثارها وملامحها من عدة نواح؛ حيث دفعت تلك المدونات أعلام العرب وساستها و أدبائها إلى توجيه الرحلات إلى أرجاء الهند و الاهتمام بالآداب الهندية و روائع أعمالها المبدعة والقيام بترجمتها إلى اللغة العربية .

نتيجة لانعكاس آثار الرحلات وتمثل صور وملامح الهند لدى العرب؛ ظهرت الشخصيات الهندية في القصص والروايات العربية كما تبلورت الآثار والمعالم الهندية الرائعة بشكل رموز في الشعر والقصائد .

بالنسبة لتأثيرات رحلات أشرف على الأدب العربي والمصري، تتضح آثاره جلية في عالم الثقافة العربية، وذلك أنه قد وظف شخصيات ورموزا هندية في ثنايا أعماله شعرا ورواية، كما تبلورت صوره وأشكاله في رواية "حديقة خلفية"بشكل مفصل وفي رواية 'الترجمان' بتجريب الشخصيات الهندية.

وقد أثرى أشرف التراث العربي الحديث بترجمة الأعمال الهندية وتعريف رواد الفن وأعلام الأدب الهنود في الأوساط العربية، كما يسهم في نشر المشروعات والحركات الثقافية من حركات الشعر والندوات والمؤتمرات المرتبطة باللغة العربية التي تشهدها الهند وبالخصوص في صفحات آسيا ان. وقد صدر له كتاب باسم "فضاء رتيب يبعث على الكآبة"، قام فيه بترجمة ديوان الشاعر الهندي 'هيمانت ديفاتي' إلى العربية بلغة شعر شيقة. وترجم أيضا

قصائد الشاعر 'أشواني كومار' إلى العربية تحت عنوان "أشواني كومار قرية الألف مجاز قصائد من الهند"، فضلا عن ترجمته لقصائد شاعرات هنديات معاصرات، مثل الشاعرة راتي ساكسينا(Rati Saxena).

ولا يستهان في هذا المضمار تأثيرات أعماله المبدعة على الأدب الهندي بالمقابل، وذلك أن الرحالة الصحفي لا يزال ينشر ويكتب تقارير وتعليقات عن الهند والحركات الأكادمية فيها، خاصة في كيرالا وجامعاتها ويعمل كسفير وجسر تواصل وتفاعل بين الهند والعالم العربي بشكل عام ومصر على الخصوص. ومن هذا المنطلق، قد احتلت أعماله المبدعة مكانة خاصة بين الجالية الأكادمية الهندية وأجريت حولها بحوث ومقالات ودراسات ورسائل جامعية إلى جانب ترجمة أعماله إلى اللغات الهندية مثل روايته'حديقة خلفية' إلى مليالم. وقد أخذت بعض من أعماله موقعا في المقرر الدراسي في كيرالا .

المؤاخذات على صاحب الرحلة

وبين هذا وذاك، لم تخل النصوص من بعض الأخطاء النحوية واللغوية الإملائية والأسلوبية والمطبعية وأحيانا في المضمون والمحتوى. ومن الخطأ النحوي- قوله مساجد ومعابد... بالتنوين وهي بالحقيقة ممنوعة من الصرف باعتبار منتهى الجموع.

وكذلك عند تعريف مؤلف الكتاب المشهور "منتخب التواريخ" كتب الإمام البدعوني، والحق البدايوني. واسمه الكامل الشيخ الفاضل عبد القادر بن ملوك شاه الحنفي البدايوني. ومن مثال وقوع الغلط في الفهم ما ورد عند ذكر فيلم خدامة. وتستند القصة على مذكرات حقيقية

نشرتها ك يو إقبال. وبالحقيقة إقبال كاتب بارز في اللغة المليالمية لا كاتبة. وهكذا من الأخطاء المسموحة التي يغتفر بها في مقام كتابة الرحلات سيما عند تسجيل رحالة أجنبي من مصر يسرد تفاصيل ومعارف دقيقة عن واحد من بلاد العجائب حافل بالغرائب والدقائق.

الخاتمة

وهنا يتم السير مع عدد من مؤلفات وكتابات الرحلة للمصريين الذين قاموا برحلات إلى الهند، وسجلوا أخبار التنقل وتفاصيل التجول في ربوع الهند في فترة ما بعد الاستقلال.

ولا يزعم الباحث بأن هذه الدراسة استوعبت جميع الرحلات المصرية وشملها وأحاط بها، بل قد بذل قصارى جهوده لتتبع ورصد معظم الرحلات المصرية المتوفرة، واستخراج المواد الوفيرة الثرية من المعارف، والمعلومات المتعلقة بالهند وتاريخها الثقافي والسياسي، واستجلاء صور الهند وثقافتها العامة بآدابها وفنونها العريقة، كما تمظهرت في الأوساط العربية مع بيان تأثير تلك الرحلات على الأدب العربي، ودورها في تعزيز العلاقات الهندية المصرية. ويرجو أن يكون هذا البحث فاتحة وبوابة لبحوث لاحقة،و لمن يريد الاطلاع على هذا المجال والتعمق في مجال أدب الرحلة المصرية إلى الهند والاهتمام بالعلاقات الهندية المصرية.

نتائج البحث

وبعد تتبع ودراسة مواد الرحلات وتحليل النصوص، توصل البحث إلى النتائج التالية:

- يعد أدب الرحلة من أهم وأمتع أنماط الإبداع العربي، لمزجه بين المعرفة والمتعة، والمغامرة والاستكشاف، كما يتضمن المشاهدات والانطباعات، بلغة شيقة ظريفة، حافلة بعناصر الفن والأدب، مع ما فيه من تداخل الأجناس الأدبية وانفتاحه على مجالات العلوم المختلفة من الجغرافيا والتاريخ والأنثروبولوجيا والأثنولوجيا وعلوم الاجتماع.
- الرحلات المصرية المعاصرة إلى الهند، قد أسهمت بشكل ملموس في تعزيز العلاقات الثقافية والحضارية بين الهند ومصر من جوانب شتى، كما أثرت دراسات النقد الثقافي والتفاعلات الحضارية، والتبادلات الأدبية العلمية.
- تمثل نصوص الرحلات المصرية إلى الهند، مواد ثرية من المعارف والمعلومات التاريخية والسياسية والاجتماعية الهامة عن الهند وثقافتها العامة، وحياتها العادية وأوضاع المرأة وأخبار نظم السلاطين والأمراء والمهاراج في فترة ما قبل الاستقلال وما بعدها، إلى جانب غرائب العادات والتقاليد والطقوس.
- منذ منتصف القرن السابع الهجري إلى أواخر القرن العاشر، شهدت بلاد الهند قدوم جملة من العلماء المصريين ورجال السلطة في عهد المماليك؛ نتيجة سقوط الخلافة العباسية في بغداد والفوضى السياسية التي أحدثها الغزو المغولي في الحواضر والعوالم

الإسلامية، ولما حققت أرجاء الهند من سواحل مومباي وكوجرات من النهضة الملحوظة والتطور والتقدم في مجال علم الحديث على أيدي تلاميذ المشايخ من أمثال العسقلاني والسخاوي وزكريا الأنصاري.

- ومن أبرز العلماء الوافدين إلى الهند في العصور الوسطى: محمد بن تميم الإسكندراني، بدر الدين الدماميني المالكي، الشيخ زكي الدين الملطي، جلال الدين بن محمد المصري، صلاح الدين الأقفهسي، شمس الدين محمد بن إبراهيم الصوفي.
- ثمة عدد من الرحالة العرب المحدثين، قاموا بزيارة الهند ودونوا أخبار تجوالهم وانطباعاتهم. منهم: وديع البستاني، محمد سعيد الطريحي، محمد ناصر العبودي، أغناطيوس نوري صاحب 'رحلة إلى الهند'، عبد الله ناصر سلطان العامري، صاحب 'على ضفاف نهر الغانج'، عبد الوهاب العمراني في كتاب 'رؤية يمنية في أدب الرحلات'، محمد مجذوب، وارد بدر السالم مؤلف'الهندوس يطرقون باب السماء'، لويس شيخو صاحب 'من بيروت إلى الهند'، علي الطنطاوي، محمد النابلسي صاحب'تمر ومسالا'، خليل النعيمي صاحب 'كتاب الهند: الحج إلى هاري-دوار'، يحيى مطر صاحب 'آسيا بعيون العربي'، رابح خدوسي صاحب 'رأيت في الهند'، د. سناء الشعلان صاحبة 'الطريق إلى كريشنا : رحلات في كشمير والهند'.
- ومن أعلام الهند الذين أسهموا دورا بارزا في توطيد العلاقات بين الهند ومصر، خصوصا قبل1947، الشاعر الهندي طاغور وغاندي وجواهر لال نهرو ومحمد إقبال

وأبو الكلام آزاد و شبلي النعماني. قام طاغور بزيارة مصر مرتين، و كان صديقاً مقرباً للشاعر المصري أحمد شوقي.

- لقيت الهند عددا من الرحالة المصريين منذ بداية القرن العشرين إلى ١٩٤٧، لأهداف وبواعث مختلفة من السياحة والصيد والاستجمام والسياسة والمهام العلمية والثقافية، قدموا الهند وسجلوا أخبارهم بشكل مقال أو كتاب أو مدونة. ومن أبرزها: عجالة في رحلة الهند للشيخ رشيد رضا، رحلة الأمير يوسف كمال، الهند كما رأيتها لفتح الله أنطاكي، رحلاتي في مشارق الأرض لمحمد ثابت، رحلة حسين فوزي، مشاهدات في الهند لأمينة سعيد، رحلة إلى الهند لعبد الوهاب عزام.
- إن فترة ما بعد الاستقلال(1947)، قد شهدت نسبيا، كثرة الرحلات المصرية إلى الهند، بعدما استقرت الأوضاع والظروف السياسية، وقامت السفارة المصرية في الهند،إلى جانب إنشاء المجلس الهندي للعلاقات الثقافية.
- و من أبرز العوامل التي أدت إلى كثرة الرحلات ما يأتي: قيام المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، تكاتف نهرو مع جمال عبد الناصر في حركة عدم الانحياز، إصدار مجلة صوت الشرق ومجلة الثقافة، إنشاء مركز مولانا آزاد الثقافي الهندي، عقد الندوات العلمية والمؤتمرات السياسية والمهرجانات الثقافية في الهند، المهام الصحفية والإعلامية.
- ومما ساهمت في جذب الرحالة إلى الهند، الرحلات العلمية التي قام بها العلماء الهنود إلى مصر لأجل مواصلة الدراسات العليا في جامعة الأزهر و القاهرة، وفي مقدمتهم

الدكتور محيي الدين آلواي والسيد عبد الرحمن العيدروس المليباري والسيد محمد علي شهاب الفانكادي والأستاذ أبو الصباح أحمد المولوي، د.بشير محيي الدين، بالإضافة إلى رحلات الشيخ أبي الحسن الندوي الدعوية وجولاته الأكادمية محاضرا ومدرسا ومقابلا مع الكتاب والعلماء المصريين.

- هناك قائمة طويلة للرحلات المصرية إلى الهند بعد 1947 في شكل كتاب، مذكرة، مدونة، مقال، حلقات من المقالات أو ضمن مجموعة الرحلات، ومنها حسب اطلاع الباحث: الشرق الجديد لحسين هيكل، الهند أسرار ومفاتيح لإيهاب الشريف، رحلاتي في العالم لنوال السعداوي، رحلة جديدة للتاريخ لحسنين هيكل، تاريخ الإسلام في الهند لعبد المنعم النمر، العالم في 200 يوم لأنيس منصور، اكتشاف قارة ليوسف إدريس، عائد من رحلة إلى الهند لعبد المنعم الخفاجي، رحلات شاب مسلم في الهند لمحمد الجوادي، نهر على سفر لأشرف أبو اليزيد، جنوبا وشرقا رحلات ورؤى لمحمد المخزنجي، ناماستي لسامية علي، سبع سماوات لسعد القرش، البحث عن شاروخان 40 يوما في الهند لمهدي مبارك.
- هناك مناحي ومظاهر، وملامح وموضوعات مشتركة عن الهند وثقافتها العامة، قد تحدث عنها معظم الكتاب والرحالة. ومن أعمها: التناقضات والتباينات في المناظر والمظاهر وثنائية الثقافة الهندية وأشكالها المتناقضة، ومستغربات الطقوس والتقاليد، والمعالم والمآثر التاريخية. وقد تضمن عدد من الرحلات، الحديث عن الأبقار الهاجعة في الشوارع والقردة المطلة، والأفيال وعن أوضاع المرأة الهندية، وتعدد الديانات والآلهة

والتنوع الحضاري والديني، بالإضافة إلى روعة الأفلام الهندية وكثافتها في العدد و ظاهرة الإعجاب بالفنانين والنجوم المفضلين مثل أميتاباشن والشاروخان.

- قد أثرت الرحلات المصرية إلى الهند بشكل عام في الأدب العربي من جوانب شتى؛ منها ما لقيت الهند وآدابها وأعلامها، من الذيوع والشيوع في الوطن العربي. وكان الشاعر إقبال ودواوينه الشعرية من اهتمامات عبد الوهاب عزام، وأخرج عبد المنعم النمر كتابا عن الزعيم مولانا أبو الكلام آزاد بشكل رسالة الدكتوراه، وآخر بعنوان 'تاريخ الإسلام في الهند'.
- قد أسهمت الرحلات في ذيوع صيت فنون الهند الهادفة من الأفلام والموسيقى وأشكال الرقص والمسلسلات والنحت والفن المعماري وغيرها من ألوان الفنون العريقة المبهرة، وبشكل كبير في رواج الأفلام الهندية وبوليوود ونجومها الأعلام المفضلين بين مشاهدي الوطن العربي.
- لقيت الآداب والفنون الهندية مكانةً وذيوعاً في الأوساط العربية، ونالت إعجاب الأدباء والكتاب العرب حتى تقدموا لترجمتها إلى لغتهم.
- قامت السعداوي بدراسة شاملة عن الروائع والكلاسيكيات الهندية وعرفت بمضمونها، كما روجت أعمال وإبداعات الأديبات الهنديات بين العرب،مثل الكاتبة 'نيانتارا ساهجال'، 'أمريتا بريتم'، الكاتبة 'كملا داس'، والشاعرة أكيلا. وحظيت بإجراء مقابلة مع إندهرا غاندي وجها لوجه، وكتبت عما جرت بينهما من الأحاديث حول الهند والعلاقات الهندية المصرية وأهمية ترجمة الآداب الهندية إلى العربية وبالعكس.

- تسببت الرحلات للتنمية الاقتصادية الهندية، نتيجة تزايد السياح متأثرين بكتابات الرحالة المحفزة، حيث جذبت عددا من الأجانب إلى بلاد الهند لأجل الاستكشاف والنزهة والسياحة العلاجية والاستشفائية مثل العلاج الآيورفيدي وممارسة اليوغا.
- يتضمن بعض الرحلات على الأخبار والمضامين السياسية والدبلوماسية الهامة، يعز الحصول عليها في أماكن أخرى، كما في رحلات أمينة سعيد وفتح الله أنطاكي ونوال السعداوي وأنيس منصور وعبد الوهاب عزام، و رحلة الإعلامي حسنين هيكل، المحتوية على معلومات وتفاصيل المتعلقة بفلسفة جواهر لال نهرو وأيديلوجياته السياسية وأفكاره المتميزة والأخبار العادية بعائلته وابنته السيدة إندرا غاندي.
- قد ربطت هذه الدراسة مفاهيم ومقاربات مستجدة من الصورولوجيا وتمثلات الأنا والآخر بأدب الرحلة بوجه عام، وكشفت عن طرق تطبيقها في مجال أدب الرحلة، ودورها في تعزيز التفاعل الحضاري والثقافي بين البلاد.
- تتجلى هذه الظاهرة وفق ميول وأفكار ومقاربات صاحب الرحلة (أنا)، ولذا ربما تبدو ملامح هذا الصراع والاحتكاك الحضاري بشكل عام من خلال المقارنة والموازنة بين ثقافة صاحب الرحلة(أنا) والوطن الذي يتجول بين أرجائها (الآخر).
- وفي الرحلات المصرية تتمثل 'أنا' في الحضارة المصرية بشكل عام، و العربية في بعض الأحيان، و'الآخر' في الحضارة الهندية وثقافتها بصفة عامة، والثقافة العجمية أو الآسوية عند بعض الكتاب.

- ومن نماذج الرحلات التي غلب طابع الاستخفاف والسخرية و التقبيح والتجريح بالهند وأهلها، رحلة مهدي مبارك ومحمد الجوادي وأنيس منصور. ومن المنصفين أشرف أبو اليزيد ونوال السعداوي ومحمد المخزنجي وسعد القرش وسامية علي ويوسف إدريس، حسين هيكل وحسنين هيكل.
- أشرف أبو اليزيد، روائي وشاعر وصحفي مصري، وكاتب متخصص في أدب الرحلة. له قرابة 40 كتابا في الرواية والشعر وأدب الرحلة والسير الذاتية والترجمة وأدب الأطفال.
- قد سجل أشرف تفاصيل رحلاته إلى الهند في خمس مقالات مطولة، نشرها في شتى المجلات في أزمنة مختلفة، جمع مقالين في كتاب "نهر على سفر" باسم 'تحت سماء كوجرات' و'عرش السلطان أكبر'. وآخر بعنوان "موباي قصيدة برية".و ضمن رحلتيه إلى كيرالا في مقالين 'على خطى ابن بطوطه في قالقوطه' و 'نيلامبور جسر على نهر تشاليار'.
- قد وظف أشرف شخصيات ورموزا هندية في ثنايا أعماله شعرا ورواية، كما تبلورت صوره وأشكاله في رواية 'حديقة خلفية، وفي رواية الترجمان، بالإضافة إلى ما قام به من ترجمة قصائد الشاعر أشواني كومار إلى العربية تحت عنوان 'أشواني كومار قرية الألف مجاز قصائد من الهند'. و صدر له كتاب "فضاء رتيب يبعث على الكآبة"، قام فيه بترجمة ديوان الشاعر الهندي هيمانت ديفاتي إلى العربية بلغة شعر شيقة.
- إن رحلات أشرف قد اتسمت بخصائص وميزات فريدة؛ في الرصد والسرد ومنهج التحليل. ومن أبرزها: تجريب منهج جديد في تسجيل الرحلات؛ وذلك اختيار شخصية، ثم الرحلة على خطاها في التاريخ واقتفاء آثارها في الحاضر كما حدث في رحلة ابن

فضلان في تتارستان، التركيز الخاص على الآداب والفنون والتاريخ والعمارة ، الاقتباس من آي القرآن وكتب التاريخ.

- ومن منهجه الفريد: الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والتقليد والتجديد، والمحاكاة والإبداع، يعني محاكاة أعلام أدب الرحلة القدامى، أمثال ابن بطوطة وابن جبير وابن فضلان وياقوت الحموي وابن المجاور والهمذاني، محاولة التجديد والإبداع في المضمون، تقنيات السرد وطرق التحليل والوصف، الاهتمام الخاص بالمعالم والآثار الإسلامية ومراكز الثقافة والعلوم الإسلامية.
- قد جرب أشرف في كتابة الرحلة عددا من تقنيات السرد وآلياته الشائعة في الروايات والقصص. ومن أهمها: استخدام تقنيات السرد المختلفة من الوصف والحوار والعنونة والبنى الزمكانية، استخدام تقنية الفكاهية والأسلوب المليء بالطرافة والملح والهزل، الاعتماد على أدب الرحلة المصورة، وتجريب أسلوب الاستطلاعات الصحفية وتطبيقها في أدب الرحلة المعاصرة، توظيف مفهوم تداخل الأجناس الأدبية عبر النصوص، مع الجمع بين المعرفة والمتعة والمغامرة.

التوصيات والاقتراحات

- إجراء المزيد من البحوث حول الرحلات العربية من بلدان شتى إلى الهند مع التركيز على المحتويات واستخراج معارف ومعلومات هامة من ثنايا الكتب والمدونات، واستجلاء صور الهند ورصد المظاهر الحضارية مع نقد المحتويات وإبراز السمات الفنية وجوانب أخرى دقيقة؛ مما يعزز العلاقات الثنائية بين البلدين.
- تناول أدب الرحلة من نواحي ورؤى مختلفة وتطبيق منهجيات متعددة؛ من استخدام مفاهيم ومقاربات جديدة مثل الصورولوجيا ،أدبية الرحلة، تمثلات الأنا والآخر، النقد الثقافي، دراسات ما بعد الكولونيالية ، انعكاسات الصراع الحضاري والثقافي بين البلدين، ظهور الكاتب من خلال النصوص، تقنيات السرد المختلفة، مدى الزمكانية وما إليها من اتجاهات ونظريات وأسس مستجدة في مجال السرد والإبداع .
- تتبع كل رحلة من الرحلات المصرية على حدة بشكل مستقل، والقيام بتحليلها مضمونا ونقدا، بهدف استجلاء الثروات المعرفية والمعلومات التاريخية والسياسية عن الهند من خلال صفحات الرحلات كما في رحلة نوال سعداوي وأنيس منصور وأنطاكي وبشكل خاص، رحلة حسنين هيكل، الحافلة بأخبار مقابلات متعددة أجراها مع السيد نهرو وابنته السيدة إندرا غاندي.
- القيام بترجمة النصوص الرحلية المصرية إلى اللغات الهندية.

المصادروالمراجع

المعاجم والموسوعات

1. جمال الدين ابن منظور الأنصاري . لسان العرب. ط 3. بيروت :دار صادر ، 1994.
2. خير الدين الزركلي. الأعلام . ط 15. بيروت: دار العلم للملايين، 2002.
3. د.حمدى السكوت. قاموس الأدب العربي الحديث. دار الشروق.
4. شوقي أبو خليل. أطلس التاريخ العربي الإسلامي. دمشق : دار الفكر، 2006.
5. عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
6. مجد الدين محمد الفيروزابادي. القاموس المحيط . القاهرة: دار الحديث.
7. مجدي وهبة وكامل المهندس. معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب. ط2 .مكتبة لبنان ، 1984
8. المعجم الوجيز . مصر :مكتبة الشروق الدولية، 2012
9. المعجم الوسيط. المكتبة الإسلامية. تركيا.
10. منجد الطلاب . ط 56. بيروت: دار المشرق.
11. الموسوعة العربية العالمية .ط2. الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999 .

الكتب

12. إبراهيم عبد القادر المازني . رحلة الحجاز . ط1. القاهرة: مطبعة فؤاد -١٣٤٩هـ
13. أحمد أمين. قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية. القاهرة :دار الشروق، 2010.
14. أحمد حامد محمد حجازي. أدب الرحلات في الأدب العربي في مصر في العصر العثماني رحلة الشهاب الخفاجي إلى الحرمين الشريفين نموذجا. مجلة كلية دار العلوم، العدد 144. مارس 2023.

15.أحمد رمضان. الرحلة والرحالة المسلمون. جدة: دار البيان العربي.

16.أسانيد المصريين. أسامة السيد الأزهري. دار الفقيه.2011

17.أشرف أبو اليزيد. التُّرجُمان. القاهرة : مؤسسة بتانة ، 2017

18.أشرف أبو اليزيد. أيام دمشقية . عمّان: دار خطوط وظلال للنشر والتوزيع، 2021.

19.أشرف أبو اليزيد. حديقة خلفية. القاهرة: مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، 2011.

20.أشرف أبو اليزيد. قافلة حكايات مغربية . أبو ظبي: ارتياد الآفاق. 2017.

21.أمين الريحاني . ملوك العرب .ط 8 . بيروت : دار الجيل ،1987

22.أنيس منصور . أعجب الرحلات في التاريخ . ط 15دار نهضة مصر، 2016.

23.ثروت عكاشة . الفن الهندي. القاهرة :دار الشروق، 2005.

24.الجبرتي .عجائب الآثار في التراجم والأخبار.بيروت: دار الجيل.

25.جلال الدين السيوطي.حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة.مكتبة الخانجى.2007.

26.جمال الغيطاني. مقاصد الأسفار. مصر. دار نهضة .

27.جيمس بيكي. مصر القديمة. ترجمة نجيب محفوظ. دار مصر.

28.حسني محمود حسين. أدب الرحلة عند العرب. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976.

29.حسين محمد فهيم . أدب الرحلات . الكويت . عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 1989

30.حسين نصار . أدب الرحلة. القاهرة : الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩١م.

31.حمود خضر موسى محمد. أشهر أعلام الرحالة العرب ونتاجهم. دار الكتب العلمية. بيروت، 2011.

32.د. الجوهرة بنت عبد الرحمن. الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض .

33.د. زغلول سلام. الأدب في العصر المملوكي. دار المعارف. ١٩٧١.

34.د. شوقي ضيف. الأدب العربي المعاصر في مصر . دار المعارف القاهرة . 2018.

35.د. عبد الله مبشر الطرازي . موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب. جدة: عالم المعرفة. 1983.

36.د. عماد الدين خليل . أدب الرحلات. دمشق. دار ابن كثير. 2005.

37.د.محمد كامل الفقي. الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة. مجمع البحوث الإسلامية. الأزهر . 1445هـ.

38.د. نوال عبد الرحمن الشوابكة. *أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري*، دار المأمون، عمان، الأردن. 2008م

39.د. ياسر عبد الجواد المشهداني. العلاقات المصرية - الهندية في العصر المملوكي دراسة في الجوانب السياسية والحضارية. القاهرة : المكتب العربي للمعارف، 2018.

40.د.محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف. المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة . السعودية. دار الأندلس الخضراء . 2000م

41.راشد شاز . الطريق إلى الجزيرة العربية . بيروت :الدار العربية للموساعات. 2007

42.رفاعة رافع الطهطاوي. تخليص الإبريز في تلخيص باريز . مؤسسة هنداوي، 2011.

43.سيد حامد النساج. أدب الرحلات في حياتنا الثقافية . مجلة العربي ، 1987

44.شوقي ضيف. الرحلات، دار المعارف،1956.

45.الشيخ أبو الحسن الندوي بحوث ودراسات. الرياض. مكتبة العبيكان 2005.

46.الشيخ أبو الحسن الندوي .المسلمون في الهند. ط 2. ندوة العلماء 1976م.

47.عبد الباسط زين الدين بن شاهين الحنفي . الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم . المكتبة العصرية للطباعة والنشر. القاهرة. 2014.

48.عبد الحي الحسني الندوي . نزهة الخواطر. طيب أكادمي. ملتان.

49.عبد الحي بن فخر الدين الحسني. الهند في العهد الإسلامي. مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد. 2001.

50.عبد الله ناصر سلطان العامري .الاتجاه شرقا . مدينة الشارقة للنشر . أوستن ماكولي بابليشرز. الشارقة . الإمارات . 2019.

51.عبد الوهاب العمراني. رؤية يمنية في أدب الرحلات . مؤسسة الرسالة، دمشق .

52.عبد الوهاب عزام . الرحلات الثانية ،ط1 القاهرة مطبعة الرسالة 1951م

53.العلامة مرعي الكرمي الحنبلي. نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين. كويت. دار النوادر 2012م

54.عواطف نواب. الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين. الرياض: مكتبة ملك فهد الوطنية .

55.الفاضل أحمد. تاريخ وعصور الأدب العربي . دار الفكر اللبناني.

56.فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي . دمشق. الدار العربية للكتاب ، 2002.

57.كراتشوفسكي أغناطيوس. تاريخ الأدب الجغرافي العربي. ترجمة: صالح الدين عثمان هاشم، مكتبة لسان العرب،لجنة التأليف والترجمة والنشر.

58.محمدأيوب تاج الدين الندوي. دليل الجرائد والمجلات العربية في الهند. مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية. الرياض. 1445ه

59.محمد السوادي . مملكة في الميزان . القاهرة :المطبعة العالمية.

60.محمد بن عبد الله بن محمد أبي عبدالله بن بطوطة الطنجي . تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. دمشق :دار الكتاب العربي.

61. محمد بن ناصر العبودي. في جنوب الهند، سلسلة الرحلات الهندية، الرياض: مطبعة الفرزدق التجارية،1997م.

62.محمد حسين هيكل . في منزل الوحي - القاهرة: دار المعارف.

63.محمد كيلاني . الأدب المصري في العصر العثماني. مكتبة الفرجاني،1969

64.محمد واضح رشيد الحسني الندوي .الرحلات الحجازية و مناهج كتابها في العصر الحديث .دار الرشيد ،لكناؤ.2016

65.ناصر عبد الرزاق الموافي. الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري. مكتبة الوفاء، ط11995م .

66.الندوي . مذكرات سائح في الشرق العربي. بيروت. مؤسسة الرسالة.

67.نقولا زيادة . الجغرافيا والرحلات عند العرب . ط3 بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع،1982م

كتب الرحلات للمصريين

68. أحمد عبد المنصف محمود. بلاد البقرة المقدسة . القاهرة ،دار المعرفة.

69. أشرف أبو اليزيد. أدب الرحلة العربية المعاصرة الى الهند، الأهرام، 6-12-2017.

70. أشرف أبو اليزيد. سيرة مسافر، القاهرة. 2008دار هفن للنشر .

71. أشرف أبو اليزيد. نهر على سفر: استطلاعات مختارة من مجلة العربي.ط1.الكويت: وزارة الإعلام مجلة العربي ،2015م.

72. الأمير يوسف كمال. سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير، ارتياد الآفاق 2004، أبو ظبي.

73. الأمير يوسف كمال. سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير 1913-1914،دار السويدي للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى،2003 أبو ظبي.

74. أمينة السعيد. مشاهدات في الهند . مصر .دار المعارف للطباعة والنشر.

75. أنيس منصور. حول العالم في 200يوم، دار نهضة مصر 2019.

76. أنيس منصور. لأنهم متعلمون فقراء .المقالة. الشرق الأوسط. 10-11- 2005العدد 9844.

77. إيهاب الشريف. الهند أسرار ومفاتيح، نيو دلهي .المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، 2002.

78. رشيد رضا . عجالة من رحلة الهند. مجلة المنار، أغسطس.

79. عبد المنعم النمر. تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
80. فتح الله الأنطاكي. الهند كما رأيتها . مصر، مطبعة أبو فضل.
81. محمد المخزنجي. جنوبا وشرقا رحلات ورؤى، القاهرة .دار الشروق.2019
82. محمد حسين هيكل . أحاديث في آسيا، القاهرة، دار الشروق.
83. محمد عبد الوهاب عزام. رحلة إلى الهند، الحلقة 2، مجلة الرسالة، 7 يوليو 1947م، ع 731
84. مهدي مبارك. مرح الآلهة 40 يوما في الهند. مخطوط .
85. مهدي مبارك. البحث عن شاروخان 40يوما في الهند. الدار المصرية اللبنانية، 2022.
86. نوال السعداوي. رحلاتي في العالم . مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، 2006

المقالات

87. أ.بوقرط طيب. أدب الرحلة بين محوري التموقع والتوقع من منظور النقد الأدبي قراءة في الإشكالات والآفاق، مجلة تاريخ العلوم ،العدد السادس،جامعة وهران.
88. أشرف أبو اليزيد: الأدب العربي يدين بميلاده لأدب الرحلة. حنان عقيل. صحيفة العرب.2020/01/19
89. أشرف الرحالة به مس من نار الجاسوسية وثراء العلماء .مجلة الإذاعة والتلفيزيون.
90. د. مبارك بشير .مدينة مليانة في العصر الوسيط دراسة تاريخية من خلال كتب الرحالة والجغرافيين العرب .دفاتر البحوث العلمية. العدد الثاني عشر. جوان 2018
91. د.حسن عزوزي. دور طرق الحج ورحلات الحجاج في التواصل الحضاري. الرابطة العدد:647 ،أغسطس2020م
92. د.هيام المعمري، الهند في الرحلة العربية المعاصرة "نهر على سفر" أنموذجًا. الجيل الجديد، العدد العاشر المجلد الخامس، يناير-يونيو 2022
93. ذكر الرحمن. تعميق العلاقات الهندية -المصرية. مركز الاتحاد للأخبار . 5يوليو ،2023

94. سامية علي. المثلث الذهبي رحلة الضياع الجميل في الهند. مقالة، رصيف 22 2-04-2019

95. الشاعر والروائي أشرف رواياتي بنات أدب الرحلات، الأهرام. حوار. جيهان إمام. 2022/03/06

96. فراج محمود النابي. "مرح الآلهة" يوميات كاتب عربي في الهند. العرب، 15-03-2020

97. كتاب الاتجاه شرقا : تحفة إماراتية في أخبار هندية. د محمد عابد يو. بي، مجلة الصباح للبحوث. المجلد -5 يناير 2020

98. محمد المخزنجي الاتجاه جنوبا وشرقا . أشرف أبو اليزيد، 7e News.

الرسائل والأطروحات

99. بورقبة مريم .أدب الرحلة عند محمد الخضر حسين(الرحلة الجزائرية) أنموذجا. بحث الماستر،جامعة أدرار ،الجزائر . قسم اللغة والأدب العربي. 2013

100. جميلة روباش. أدب الرحلة في المغرب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة .رسالة الدكتوراه، 2014-2015

101. د. سبينة. شعرية السرد في روايات أشرف أبو اليزيد، جامعة كاليكوت .كيرالا.

102. د. عبد الرحمن آدرشيري. تجليات الثقافة الهندية في الأدب العربي الحديث.جامعة كاليكوت.2016 م.

CERTIFICATE

This is to certify that this thesis work titled **"AN ANALYTICAL STUDY OF THE EGYPTIAN TRAVEL LITERATURE TO INDIA SINCE 1947 WITH SPECIAL REFERENCE TO WORKS OF ASHRAF ABUL YAZEED"** submitted to the University of Calicut, in partial fulfillment of the requirements for the award of Doctor of Philosophy in the Arabic literature is a bona fide record of research work carried out by **Mr. Mohamed Saeed** under my supervision and no part of the thesis has formed for the award of any degree earlier.

Dr. Jabir K.T.

Assistant Professor, Department of Arabic

TMG College, Tirur

Place:

Date:

DECLARATION

I**, Mohamed Saeed**, hereby declare that the work presented in the thesis titled **"AN ANALYTICAL STUDY OF THE EGYPTIAN TRAVEL LITERATURE TO INDIA SINCE 1947 WITH SPECIAL REFERENCE TO WORKS OF ASHRAF ABUL YAZEED"** is based on the original work done by me under the guidance of Dr. Jabir K.T, and has not been included in any other thesis submitted previously for the award of any degree. The contents of the thesis are undergone plagiarism check using Ithenticate software at C.H.M.K. Library, University of Calicut, and the similarity index found within the permissible limit. I also declare that the thesis is free from AI generated contents.

Mohamed Saeed

Place:

Date:

AN ANALYTICAL STUDY OF THE EGYPTIAN TRAVEL LITERATURE TO INDIA SINCE 1947 WITH SPECIAL REFERENCE TO WORKS OF ASHRAF ABUL YAZEED

(Revised Copy)

Thesis Submitted to the University of Calicut in Partial Fulfillment of Requirements for the Award of the Degree of

DOCTOR OF PHILOSOPHY

IN ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

By

MOHAMED SAEED

Under the supervision of

Dr. JABIR K T

Assistant Professor
Research Department of Arabic
Thunchan Memorial Govt. College, Tirur

THUNCHAN MEMORIAL GOVT. COLLEGE, TIRUR.

UNIVERSITY OF CALICUT

2025